مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

حضرموت الثقافية

ربيع الأول ١٤٤٦هـ - Hadhramaout AL-Thaqafiah - September 2024
مجلة فصلية - السنة الثامنة - العدد (33)



"فاطمة"
مسرحية
عربية - إندونيسية
مثيرة للجدل

علي محمد حميد
أديـــب حضـــرمي
أهملته الأضـــواء

جسور العلاقات
بين اليمن والسودان
أزلية ضاربة الجـــذور

آخر حوار
مع الشاعر الرقيق والملحن الشّجي الرّاحل
صالح عبدالرحمن المفلحي

من أعلام حضرموت



السلطان

صالح بن غالب القعيطي

(1884– 1956م)

- تولى السلطنة بعد وفاة عمه عمر بن عوض القعيطي سنة 1936م.
- ازدهرت السلطنة القعيطية في عهده ازدهاراً كبيراً في مجالات مختلفة.
- كان إلى جانب كونه سلطاناً عالماً وفقيهاً.

محتويات العدد

حديث البداية

- **حديث البداية: مرجعية الجن** ..... د. عبدالقادر علي باعيسى - رئيس التحرير .. 4-5

أضواء

- **ركن التراث الثقافي الحضرمي**
  تأملات في الدين والاجتماع للعلاّمة أحمد بن زين بن حسن بلفَقِيه .... د. محمد علوي بن يحيى 9
- **ابن خلدون بين انتقاد ابن حجر ودفاع فرانز روزنثال حيال تاريخه**..... طارق بن محمد العمودي 12
- **مرزوق.. اللحن الحضرمي الخالد** ..... بدر بن عقيل 16
- **جسور العلاقات بين اليمن والسودان أزلية ضاربة الجذور** ..... محمد فضل أبو فراس 21

ترجمة

- **"فاطمة" مسرحية عربية - إندونيسية مثيرة للجدل** - هوب دي يونج ..... ترجمة: د. سعيد الجريري.... 27
- **السلام في حضرموت** .. دبليو. أتش. إنجرامز، أو. بي. إي (ج٢) .....
  ترجمة: نجيب سعيد باوزير - نورة نجيب باوزير 40

لقاء

- **لقاء مع السيد محمد أبوبكر بن يحيى: رحلة السينما من سنغافورة إلى حضرموت**.... حاوره: علي اليزيدي 50

حوار

- **آخر حوار مع الشاعر الرقيق والملحن الشّجي الرّاحل صالح عبدالرحمن المفلحي**.... حاوره: صالح الفردي....55

دراسات

- **الجامع.. أول مسجد في غيل باوزير القرن ٨ هـ**
  ورمزيته في مراسيم الاحتفال التراثي بأيام العيد ..... أ.د. محمد بن هاوي باوزير 63
- **أصالةُ التَّحديث في مسار الفكر القوميّ عند علي عقيل .. دراساته اللغوية والنقدية أنموذجاً ..**
  قراءة في كتاب تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن (ج١) ..... د. زهير برك الهويمل ... 70
- **تعليم البنات بتاربة** (ج٣) ..... عوض سالم غريبان 76

شخصيات

- **أضواء على أديب حضرمي أهملته الأضواء.. علي محمد حميد** ..... د. أحمد هادي باحارثة 82
- **مِن أخْبَار الشَّيْخ المَكّي: سَعِيْد بن صِدّيق جَان بحَضْرَمَوْت** ..... محسن علوي أبوبكر باعلوي 85

استطلاع

- **رباط باعشن.. إحدى أقدم مناطق دوعن وأكبرها وبها أول مدرسة تعليم حكومية**.... يوسف عمر باسنبل 92

نقد

- **التشكيل البصري لسيميائية علامات الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات)**
  للشاعر سالم عبدالله بن سلمان (ج١) ..... عبدالله رجب عمر باصدّيق 101

كتابات

- **أقبلت تمشي رويداً.. أم أعرضت عني قليلا!! رجاءً يأهل القرن دلّونا** ..... غالب صالح بن علي الحامد 106

إبداع

- **سترومبريا** (سرد) ..... خالد لحمدي 109
- **هدنة** (سرد) ..... صالح بحرق 112
- **رمضان** (قصيدة) ..... د. أبو بكر محسن الحامد 113

توقيع قلم

- **" لو نشبت يا فصيح لا تصيح "** ..... أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي... 114

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة الثامنة العدد (33)

يوليو - سبتمبر 2024م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

أ.د. صادق عمر مكنون

أ. د. أحمد سعيد عبيدون

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنيّة إخراجية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تلتزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخطاليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

hadcenter1@gmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشريف سابقًا) - ت: ٣٥٠١٢٥

العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

مرجعية الجن



د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

سأنقل لكم هذه الرواية كما وردت في إحدى وسائل التواصل الاجتماعي (واتس أب) إذ يقول كاتبها المهتم بالشؤون التاريخية بالنص "اسمعوا هذه الرواية نقلها لي شخص من مدودة الليلة وكان يتواصل معي تلفونيًا في أمور تاريخية قال إنه سمع جنيا في أحد الموسوسين يتكلم مع القارئ المعروف بن عبدالعزيز في مسجده بقارة آل عبدالعزيز قبل فترة، الظاهر أن القارئ هذا توفي رحمه الله، يقول له هذه القارة أرض بني سعد من كندة.

فالشخص السائل لي قلت له الجن أعمارهم طويلة أكثر منا وربما لديهم معلومات تاريخية فعلاً قديمة، لكن فيهم الكاذب وفيهم المنافق والكافر والعاصي، والمدلس، فقد يكون بهذا القول قصد الفتنة أو التحريش بين بني سعد وآل عبدالعزيز والقارئ منهم والله أعلم.

وفي كل الأحوال بني سعد في هذه المنطقة حوالي شبام قديم وجودهم"

يستنتج القارئ من هذا القول ما يأتي:

١) تصديق الكاتب بما يقوله الجن من روايات تاريخية (الجن أعمارهم طويلة أكثر منا، وربما لديهم معلومات تاريخية فعلا قديمة).

٢) التشكيك بما قد يقوله بعضهم (لكن فيهم الكاذب، وفيهم المنافق، والكافر، والعاصي، والمدلس) وفي هذا التشكيك تأكيد بصورة غير مباشرة على أن بعضهم صادق، وأنه يمكن اعتماد روايته.

٣) إمكانية تدخلهم في إثارة الفتنة بين العشائر الحضرمية (فقد يكون بهذا القول قصد الفتنة أو التحريش بين بني سعد وآل عبدالعزيز، والقارئ منهم).

العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

وربما فات الجني الإشارة إلى أنه ربما كان هناك تعاون بينهم وبين بعض أجدادنا الأقدمين في موضوع كتابة التاريخ الحضرمي.

يعمل مثل هذا الطرح على فكرة الغاية تبرر الوسيلة، لكن الغاية هنا لا وجود لها، وهي اعتماد كتابة التاريخ من خلال مرجعية الجن، فلا وسيلة هنا ولا غاية، والذي يأتي بوسيلة غير جيدة لغاية غير جيدة ربما كان يفكر في تلك اللحظة التي كتب فيها بصورة غير جيدة، وقد أشرنا في إحدى افتتاحيات مجلة (حضرموت الثقافية) إلى أنه كيف سوقت بعض معلومات التاريخ الحضرمي، واعتمدت انطلاقاً من أحلام النائمين، وليت المسألة تنحصر في مجرد مرجع كما في هذه الحالة يمكن أن ينتقده الكثيرون، ولكن في أسلوب تفكير معتمد عند بعض مثقفينا.

إن الاهتمام بمراجع ما هي بمراجع أكثر من الاهتمام بالمعرفة ذاتها يثير إشكالاً كبيراً يتمثل في الذهاب عند البحث عن المعرفة إلى خارج المعرفة، ولنفترض أننا مددنا في الحبل لمثل هذا الطرح، فإلى أي حقل يمكن أن تنتسب مرجعية الجن؟ إلى حقل العلوم الإنسانية بمختلف تشعباتها الاجتماعية والتاريخية، أو إلى أفكار تجعل تاريخ جنس عند جنس آخر ذي طبيعة مختلفة، فهي مرجعية غير متسقة في ذاتها ومجالها قبل أن تكون مرجعية غير طبيعية للمعرفة، وإن الحديث عن هذه المرجعية -ولو في قول في الواتس- يعد دالا على ارتباك حاصل لدينا يمكن أن تضطرب معه جدوى العلم، وعليه فإن البعد الثقافي في تعيين المصادر إن لم يحضر بصورته العلمية في فعل التنمية الثقافية والعلمية لدينا فإننا سنظل نصارع ونعاني من أهواء وطرق حرة في تعيين مصادر معرفة التاريخ الحضرمي تدخلنا في أفق من الأوهام.

وقد عرف في ميثولوجيا الإغريق أن الصراع كان يدور عنيفا بين آلهتهم، ولا وجود لهذا الصراع إلا في أذهان الشعراء اليونان، ومن ثم في أذهان المعتقدين بتراهتهم، ولدينا نحن مراجع لا وجود لها إلا في أذهان من قالوا بها، ومن ثم في أذهان من يصدقونها، وربما أخذوا في تناقلها واعتمادها.

وزير الإعلام والثقافة والسياحة يزور مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر



إعلام المركز/ خاص:

زار معالي وزير الإعلام والثقافة والسياحة أ. معمر الأرياني والوفد المرافق له مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مطلعاً على نشاط المركز وفعالياته مشيداً بدوره الواضح في تعزيز الثقافة الوطنية والحفاظ عليها.



وقال رئيس المركز أ.د. عبدالله الجعيدي إن هذه الزيارة الأولى لمعالي الوزير تمثل تشريفا كبيرا للمركز شاكراً له هذه الزيارة. وفي ختام الزيارة أهدي للوزير عدد من الإصدارات الخاصة بالمركز من مجلة حضرموت الثقافة.

منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية بعنوان "تدهور العملة الوطنية وانعكاسها على الوضع الاقتصادي"



إعلام المركز/ خاص.

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي بمدينة المكلا فعالية بعنوان "تدهور العملة الوطنية وانعكاسها على الوضع الاقتصادي" حاضر فيها د. محمد صالح الكسادي وأدارها أ. محمد عبدالله المنصب باوزير.

وفي خلال المحاضرة عرج الدكتور الكسادي في البداية على الوضع العام المالي للدولة وفق دراسات علمية وإحصاءات والمقارنة بين الفترة الماضية والحالية. وقال: عدم استغلال القطاعات الاقتصادية (الزراعة والصناعة والأسماك وغيرها) جعلنا نتعرض للصدمات الحالية في انهيار العملة بسبب اعتمادنا على قطاع النفط فقط بنسبة ٩٠٪.

وفي حديثه أيضاً ضمن عنوان الفعالية تحدث عن مدى أهمية الاهتمام بالصادرات على حساب الواردات، المواكبة مع تزايد النمو السكاني، حيث تخلل المحاضرة مداخلات من الحضور وعبر الشبكة العنكبوتية "شبكات التواصل الاجتماعي" على الهواء مباشرة. ويستمر نشاط المنتدى في فعالياته الشهرية بواقع محاضرتين في الشهر في عناوين مختلفة تهم المجتمع.





ندوة بعنوان (البلدة .. الظاهرة الطبيعية الاجتماعية، دلالاتها وأبعادها) في منتدى عميد الوفاء



إعلام المركز/ خاص:

نفذ مكتب وزارة الثقافة بمحافظة حضرموت بالتنسيق مع منتدى عميد الوفاء الثقافي التابع لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في قاعة المنتدى محاضرة بعنوان **(البلدة .. الظاهرة الطبيعية الاجتماعية : دلالاتها وأبعادها)** تحدث فيها د. عبدالقادر علي باعيسى، وأدارها د. عمر سعيد باصريح، وذلك ضمن برنامج موسم نجم البلدة لهذا العام ٢٠٢٤م الذي تحتفي به مدينة المكلا من منتصف هذا الشهر الجاري (يوليو) إلى نهايته.

وفي المحاضرة قال الدكتور باعيسى إن احتفالات البلدة تحولت إلى عادة اجتماعية لن تختفي بعد اليوم، فصرنا نكيف أنفسنا اجتماعيا ونفسيا وفق هذه التغيرات الطبيعية.

وقال أيضاً: الاغتسال في البلدة كان مرتبطا بالسواحل القديمة بعاداتها وتقاليدها الشعبية وقد غاب جزء كبير منها بسبب عمليات الردم، فنشأت أجيال جديدة لا تعرف الساحل القديم، فطلعت بأمزجة ونفسيات أخرى مختلفة وفق السواحل الجديدة الممتدة في الأحياء الجديدة.

وفي ختام المحاضرة دعا د. باعيسى إلى إقامة مهرجانات بحرية ومتاحف للسفن القديمة، والأدوات البحرية، والاهتمام بالتراث البحري مشيراً إلى أهمية التخطيط الاستراتيجي لتطوير الاحتفاء بالبلدة سنوياً وإلا فإنها ستظل تكرر نفسها آلياً كل سنة من باب إسقاط الواجب ورفع الحرج.



حضر المحاضرة أ. أمين باعباد مدير عام مكتب وزارة التربية والتعليم بساحل حضرموت، وعدد من الأساتذة والمهتمين والمتابعين عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

جلسة نقاشية للتجهيزات الأولية لمهرجان امرئ القيس



إعلام المركز/ خاص:

زارت أ. عبير الحضرمي مدير مكتب وزارة الثقافة بساحل حضرموت مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر للاطلاع على التجهيزات الأولية لمهرجان امرئ القيس الذي يأتي بإشراف مباشر من محافظ محافظة حضرموت أ. مبخوت بن ماضي.

وبدوره يعكف مركز حضرموت للدراسات التاريخية على العمل للظهور بمهرجان مميز يعكس العمق التاريخي لمدينة الهجرين وجمالها وسيرة امرئ القيس.

منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية

"محاولة توحيد الكلمة في حضرموت ١٩٢٧ ـ ٢٠٢٤م"



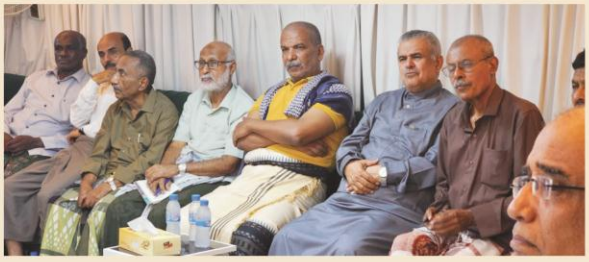
إعلام المركز/ خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء فعالية "محاولة توحيد الكلمة في حضرموت ١٩٢٧-٢٠٢٤م" يوم السبت ١٧ اغسطس ٢٠٢٤م بقاعة منتدى عميد الوفاء بمدينة المكلا حاضر فيها أ.د. عبدالله سعيد الجعيدي وأدارها د. عادل صالح اليماني.

وفي خلال الفعالية تحدث أ.د. عبدالله الجعيدي عن أبرز محطات محاولات توحيد الكلمة من مؤتمرات ومعاهدات وكيف وصلت فاعليتها إلى هذا العام ٢٠٢٤م.

حضر الفعالية عدد من الشخصيات الاعتبارية والأكاديميين والشباب في القاعة، وعلى شبكة الأنترنت ZOOM تفاعل مع الفعالية عدد من الحضور.







منتدى عميد الوفاء الثقافي يقيم فعالية بعنوان "مقاربة في فهم الدان الحضرمي"



إعلام المركز/ خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية بعنوان "مقاربة في فهم الدان الحضرمي" تحدث فيها: أ. طارق عوض باحشوان وأدارها: أ. محمد علي باعيسى.

وفي خلال الفعالية التي تم بثها على الزوم تحدث أ. طارق عن أهمية الدان من حيث كونه شكلاً غنائياً مميزاً بوصفه أساس الأغنية الخليجية، ونظراً لتنوع الدان واختلافه تشكلت منه الأغنية الحضرمية ذات النغم الموسيقي الذي يقرب من مقام الحجاز مع اختلاف قليل يجعله يتميز عنه، حاثاً على الاهتمام بالدان الحضرمي وتوثيقه ضمن قائمة اليونسكو للتراث اللامادي.

وفي ختام الندوة تداخل الحضور بتساؤلاتهم وإبداء آرائهم حول عنوان الموضوع. علماً بأن منتدى عميد الوفاء مستمر في إقامة الندوات الثقافية في الشهر مرتين سبتًا بعد سبت.

9
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

ركن التراث الحضرمي (١)

تأملات في الدِين والاجتماع للعلاَّمة أحمد بن زين بن حسن بِلْفَقِيه

يزخر التراث الثقافي الحضرمي الأصيل -بعلومه وآدابه المختلفة- بسَيْلٍ متدفِّقٍ من المؤلَّفات القيِّمة التي أسهمَت، خلال الحقَب السالفة والمعاصرة، في نهضة ثقافة الشعب الحضرمي عامَّة، كما أضافت إلى المكتبة العربيَّة والإنسانيَّة إضافات ثقافيَّة نوعيَّة لا يُستهان بها.

ونتطلَّع في أن نجعل هذا الركن -من هذه المجلة الغرَّاء- خاصّاً بعرض مختارات من الكتب التراثيَّة الحضرميَّة، بحيث نسلِّط الضوء، في كل حلقة منه، على محتوى مادته العلمية عموماً، ونقتطف منه نصوصاً تُبرز شيئاً من الجوانب القيِّمة فيه.





د. محمد علوي بن يحيى

تأمُّلات في الدِين والاجتماع:

كتاب هذه الحلقة كتاب دينيّ تربويّ، موسوم بـ(**تأمُّلات في الدِين والاجتماع**)، وهو من تأليف العلاَّمة المربِّي السيِّد: أحمدَ بن زَين بن حسن بن محمد بن إبراهيمَ بِلْفَقيه، المولود في مدينة (تريم)، بمحافظة (حضرموت) اليمنيَّة، سنةَ (١٣٣٨ هـ).

وقد نشأ متتلمذاً على عددٍ من شيوخ مدينته، في علومٍ شرعية ولغوية شتَّى. ثم انتقلَ للدراسة في (جمعيَّة الأخُوَّة والمعاونة) بـ(تريم)، وبعدَما تخرَّجَ فيها سافرَ إلى الجهة الأفريقيَّة، واستقرَّ في مدينة (ممباسا)، بدولة (كينيا)، سنةَ (١٣٦٣ هـ)، مدرِّساً. ثم انتقلَ إلى مدينة (زنجبار) بدولة (تنزانيا)، مع والده. ثم قفلَ راجعاً إلى (حضرموت)؛ ليتزوَّجَ هناك. ثم عاد إلى مدينة (زنجبار) الأفريقية، مرَّةً أخرى، سنةَ (١٣٧٨ هـ)، ليتَّصلَ هناك بشيخٍ فَتحه العلاَّمة السيِّد (عُمرَ بن أحمدَ بن سُمَيط)، ويغترفَ من معينه العلميِّ والأخلاقيِّ المتدفِّق.

وبعدَ سنوات حافلات بأنوار العلم وأسراره، عاد إلى موطنه (حضرموت)، وعُيِّنَ مدرِّساً تابعاً لوزارة التربية والتعليم بالمحافظة، ثم انتقلَ إلى محافظة (عدن)، وعُيِّنَ فيها مدرِّساً -أيضاً- في بعض مدارسها.

وخلالَ إقامته هناك بمدينة (المُعلَّى)، استطاع أن يجذبَ عقولَ عددٍ كبيرٍ وقلوبهم، من شريحة الشباب، إلى منهجِ السلف الصالح بـ(حضرموت)، القائم على: العلم، والعمل، والدعوة إلى الله (سبحانه وتعالى)، بالحكمة والموعظة الحسنة، والاكتفاء الذاتيّ. كما أسَّسَ له مجلسَ علمٍ منتظم، في مسجد (البَصير) -الغفَّار حاليّاً- المجاور لسكنه، فانتفعَ مُريدُوه به

وبعلمه، أيَّما انتفاع، كما كان منزلُه مقصداً لكلِّ طالبِ علمٍ، وطالبِ حاجة، على السواء.

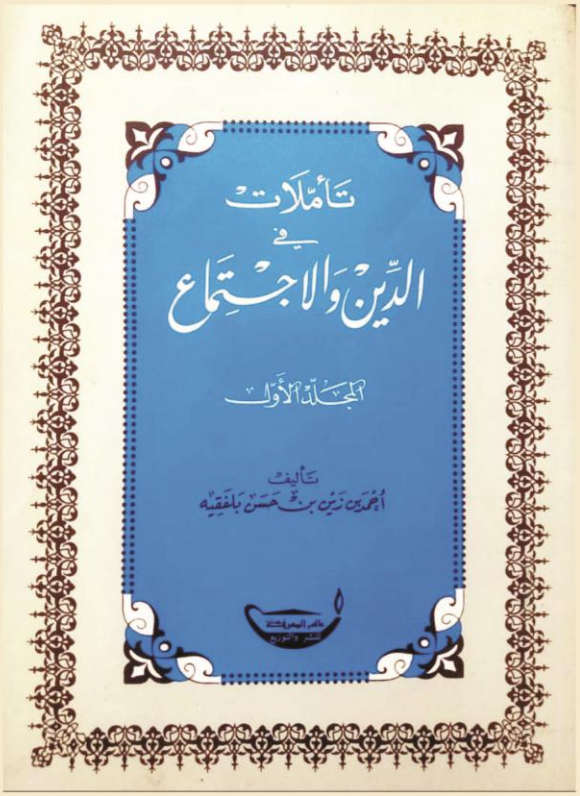
ثم أُصيبَ بوعكةٍ صحِّية، سنةَ (١٤٠٧هـ)، أقعدَتْهُ عن الحركة، فسافرَ إلى (المملكة العربيَّة السعودية)؛ للعلاج. ومكثَ هناكَ في مدينة (جُدَّة)، ثم في المدينة المنوَّرة متمرِّضاً، حتى فارقَت روحُه الطاهرةُ الحياةَ، سنةَ (١٤١٤هـ)، تاركًا عدداً من المؤلَّفات القيِّمة، أبرزُها: ديوانُ شعرِه الموسوم بـ(مختاراتٌ من ديوان بلفقيه)، وكتابُ حلقتنا هذه، الموسومُ بـ(تأمُّلات في الدين والاجتماع).

[للاستزادة ينظر: لوامع النُّور، للعلاَّمة أبي بكر العدنيّ بن علي المشهور: ٢/ ٨٩٩- ٩٠١].

معالم الكتاب:

وقد طُبِعَ هذا الكتابُ بمطبعة دار عالم المعرفة، للنشر والتوزيع، بمدينة (جُدَّة)، في (المملكة العربيَّة السعودية)، سنةَ (١٤٠٩هـ)، الموافقةَ سنةَ (١٩٨٩م)، في (٢٤٦) صفحةً، من القطع الكبير.

أمَّا محتوياتُه فهي: المقدِّمة، فمفارقاتٌ، ففكرةٌ وعقيدةٌ، فكلماتٌ جامعةٌ للإمام جعفر الصادق، فالطمأنينةُ، فهذه النتائجُ لا تساوي هذا الكفاح، ما أرادَه اللهُ لك خيرٌ ممَّا أردتَه لنفسك، فكلماتٌ جامعةٌ تلخِّصُ مبادئَ عظيمةً، فبينَ الشكل والحقيقة، فصراعٌ مستمر، فعذابٌ أليمٌ، فأمخيَّرٌ أنتَ أم مسيَّر؟، فأنتَ لا تعرف، فضعيفٌ وجبّار، فالحظُّ، فالروحُ والجسد، فالإعجابُ المؤقَّت، فالكمالُ البَشَريّ، فالقليلون والكثيرون، فذرُوا المراءَ، فباحثون عن الحق صادقون، فالتسرُّع في الإفتاء، فتعلُّم الناس أشياءَ تضرُّ بهم، فمن عظيم قُدرةِ الله (الأملُ)، فهديَّةٌ وعطيَّة، فعوائقُ في الطريق، فالقلوبُ أوعية، فخاتمةُ الجزء الأول- القرآنُ وعملُه في النُّفوس، فقصيدةٌ حولَ الإيمان، وبها يُختَمُ الكتاب.



مختارات من نصوصه:

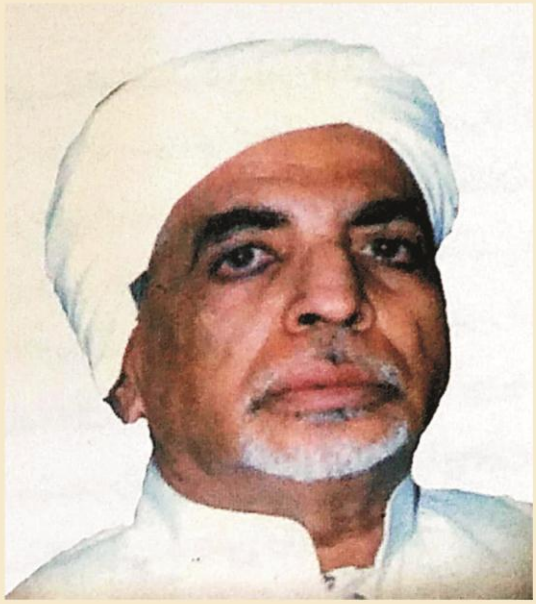
أمَّا الآنَ فننتقلُ إلى فحوَى الكتاب، ونبدأُ باقتباسِ نَصٍ، يعلِّقُ فيه على (كلماتٌ جامعةٌ للإمام جعفر الصادق)... يقول فيه: **"وأهمُّ الأعمال المقرِّبة إلى الله: أعمالُ القلوب، وهي أهمُّ بكثيرٍ من أعمالِ الأجساد؛ فالقلبُ السليمُ من الشرك بالله، ومن الأحقاد على إخوانه، ومن النميمة والفتنة بينَ الناس، ومن السخريَّة، والاحتقار للغير، أو الظلم له، وأمثال هذه النقائض، وهذه العيوب القلبية: كالغيبة والكذب- أشدُّ فساداً لدين المرء، بل وللمجتمع، فمن حقِّ المؤمن أن يبدأ بتنظيف قلبه من هذه الأمراض، قبلَ القيام بأعمالٍ جسديَّة، كنَفل الصلاة، والصيام، وغيرهما"**. ص (٣٨).

ومن مقالته التربويَّة القيِّمَة، التي عنونَها بـ(الإعجابُ المؤقَّت)، نقتبسُ النصَّ الذي يقول فيه: **"إنَّ الطلبةَ الذينَ عرَفْناهم، عندَ حصولهم على (الثانوية العامَّة)، يندفعُون- بدونِ تروٍّ- إلى التخصص في المجال العلميّ، إذا أحرزُوا**

11
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

درجةً في الرياضيات، والعلوم، تؤهِّلُهم لذلك (وقد بذَلُوا الجهودَ التي تحقِّقُ لهم هذا الوصول)، الجهودُ من طُرقٍ شتَّى معروفة، وأقنَعُوا أنفسَهم أنَّ القسمَ الأدبيَّ إنَّما يصلحُ للطلبة الضعفاء الناقصين!... ونقولُ لهم (مراراً): إنَّ سادةَ المواقف في الأمم، هم (الأدَبِيُّون)، منهم: الرئيسُ، والحاكمُ، والوزيرُ، والمحامي، والمربِّي إلخ... أمَّا (العلميُّون) فيَبْذُلون نشاطَهم في المصانع، والمعاهد، والتخطيطات الهندسية، على اختلافها، وكذا الطبُّ، وهو من أهمِّها، والاختراعات... إلخ؛ فهم عُمّال متخصِّصُون، كما أنَّ (الأدبيِّين) - أيضاً - هم الذين يهتمُّون بالتربية، والأخلاق، والسيرة، والسلوك، والاجتماع، والآداب، ومن ضمنها: الشعرُ، والخطابةُ، والكتابة". ص (١٢٢).

ومن مقالته الموسومة بـ(القليلُون والكثيرُون)، التي شَرَحَ فيها واقعَ أمَّة الإسلام المتشَرْذِمَة، في عصرنا الراهن، نقتبسُ قولَه: "الكثرةُ المشؤومةُ لها المزايا الملحوظةُ، التي تَجنَحُ بالأمم - من حيثُ يشعرون، ومن حيث لا يشعُرون - إلى السبيل المضادِّ، الذي يسوقُها إلى الفشل، وقد تكونُ هذه الكثرةُ الضارةُ منبثَّةً، في صَميم أجهزة السلطات الحاكمة، فتكونُ الخسارةُ أفدحَ، يَستفحِلُ الداءُ ويلوِّثُ أفكارَ الأعداد الكبيرة من الأمَّة، ممَّن قد استجابَت لمبدأ القلَّة الصالحة، فيتحوَّلُ خطُّ الاتجاه. وهكذا نحنُ -أمَّةَ الإسلام، وأمَّةَ العرب- قد وصَلْنا في طريقنا الملوَّن بالسُّموم، إلى اعتناق مبادئَ زيَّنَتْها لنا، في مسيرتنا تلك، الكثرةُ الفاسدةُ، وصيَّرَتْها من مبادئنا الأوليَّة، ومن ذلك اعترافُنا -بل وتأييدُنا- لتعدُّد السُّلطات الحاكمة، في الدول الإسلاميَّة، بينما الإسلامُ نفسُه حريصٌ على أن تكونَ دولةُ الإسلام واحدةً، مهما تباعدَت الأقطارُ، وهذه الدائرةُ الواسعةُ الرَحبةُ ضيَّقَتْها علينا الدعواتُ المحدودةُ، التي زرعَتْها في قلوبنا الدعواتُ القوميَّةُ في المسيرة، وهناك وحدةُ الضاد، التي طالما لهجَ بها دعاةُ القوميَّة -أيضاً- بأسلوبٍ أجمعَ، ومبدأٍ أرحَب...". ص (١٣٨).



أحمدَ بن زَين بن حسن بن محمدِ بن إبراهيمَ بلْفَقِيه

ومن مقالته التي عنوانُها (القلوبُ أوعيةٌ)، نقتبسُ نَصّاً مهمّاً للمؤلِّف، يبيِّنُ نوعيَّةَ الثقافة، التي ينبغي أن يتسلَّحَ بها الجيلُ الناشئ، يقولُ فيه: "هناك موضوعٌ من الأهميَّة بمكان، يتعلَّقُ بالشباب، بصورة خاصَّة، وبهم وبغيرهم، بصورة عامَّة؛ ذلك أنَّ المصادرَ التي يُنمِّي بها الطالبُ ثقافتَه، ويأخذُ منها المثقَّفُ المتَنوِّرُ معارفَه، يكونُ مصدرُها معلومات مبعثرَة، وصحفاً وجرائدَ: تجاريَّةً وغيرَ تجاريَّة، ومنشورات: سياسيةً وغيرَ سياسية، إلى ما يضاهي ذلك من بيانات، يبلُغُها الجمهورُ، أو تغطِّي مسافاتٍ من الأرض منبوذةً، استغنى عنها صاحبُ الضيافة، أو حتَّى الرئيسُ في بيته، أو الخادمُ، أو قد يأخذُها المضيفُ، أو أحدٌ من أعضاء الأسرة؛ ليقرأ أو يستفيدَ منها في شأنٍ آخرَ، في الحمّام!... هذا الركامُ من الورق، قد يكوِّنُ ثقافةَ الجماعات في بيئة ما، ثقافةٌ مبتورةٌ مضطربةٌ لا يُمكنُ أن تُبنَى عليها أفكارٌ منسَّقةٌ لجيلٍ طامحٍ، يُرجَى منه الخيرُ، ويرتفعُ به الفكرُ إلى المستوى الذي يحقِّقُ لرجاله السعادةَ، للحاضر والمستقبل، كما يظُنُّون...". ص (٢٣٤).

12
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



ابن خلدون

بين انتقاد ابن حجر ودفاع فرانز روزنثال

حيال تاريخه



طارق بن محمد سكلوع العمودي

في هذه الأيام العشر المباركة من شهر ذي الحجة لعام (١٤٤٥هـ) تناولت قراءة الكتاب الرائع القيم: (**مقدمة المقدمة في سيرة ابن خلدون والتعريف بمقدمته**) للمستشرق الكبير الألماني اليهودي (فرانز روزنثال)، صاحب التحقيق الشهير لكتاب: (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) للحافظ السخاوي. وقد توفي بأمريكا عام (٢٠٠٣م).

صدر كتابه (مقدمة المقدمة) مؤخَّراً في عام (١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م) مترجمًا ومعلِّقًا عليه الدكتور أحمد العدوي، عن مركز تراث للبحوث والدراسات بمصر. وأنا أستمتع بالكتاب وأنهل من فوائده استوقفني كلامه الآتي:

(فقد لقي كتاب "**العبر**" إساءات مباشرة وغير مباشرة.

بدأ هذا التيار من الإساءات عندما أبدى ابن حجر – وقد علمتَ أنه كان أشهر تلاميذ ابن خلدون – رأيه القاضي بأن معرفة شيخه بمشرق العالم الإسلامي وتاريخه ليست دقيقة، وهو قول – رغم أنه صحيح إلى حدٍّ ما – ساذج للغاية، لا مغزى له، حتى إنّ المرء يودُّ لو سكت ابن حجر ولم ينبس ببنت شفة في هذا الصدد قط.

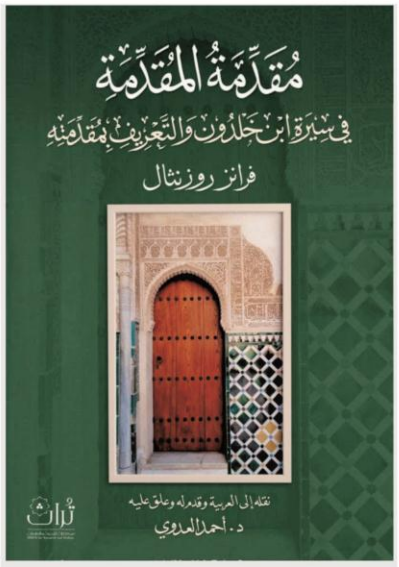
ليت الأمر اقتصر على علماء القرون الوسطى؛ بل أعرب العلماء في العصر الحديث – غالبًا – عن رأي مفاده أنَّ كتاب "**العبر**" لا يعكس الرؤى التاريخية والاجتماعية للمقدمة).

ولنا مع كلامه وقفات وتعليقات على النحو الآتي:

– استخدامه للفظة (إساءات) ليست دقيقة، وليست بالموفَّقة، ولا ينبغي استعمالها تجاه علماء متخصصين مجتهدين، أمثال الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)؛ إذ تشعر تلك اللفظة باستخدام الجرح المباشر، وخشونة القول تجاه ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) وتاريخه، وهذا غير صحيح كما سيأتي، فكان الأنسب استخدام لفظة (انتقادات)؛ (إفادات)، (تقييمات).

– ذِكْرُهُ أنَّ الحافظ ابن حجر من تلامذة ابن خلدون، سَبْقُ قلمٍ، وهو خطأ ظاهر ولا شك؛ بل هما متعاصران، قد يسمع

الحافظ ابن حجر شيئًا من فوائده عند التقائه به، وهذا لا يجعله تلميذاً له، وقد ترجم الحافظ ابن حجر لابن خلدون في كتابيه الرائعَيْن: "**إنباء الغمر بأبناء العمر**"، و"**رفع الإصر عن قضاة مصر**"، فما وصفه بأنه شيخه، ولم يذكر العلوم التي تلقاها منه سواء سماعاً، أو إقراء، أو مدارسة. ولم يذكر أحد ممَّنْ ترجم لابن حجر عند ذكر مشايخه أن ابن خلدون منهم؛ فضلاً عن أن ابن خلدون عريٌّ عن أي تخصص، سواء من علوم الشريعة أو من علوم الآلة، وهذا باعتراف المستشرق نفسه في مقدمته.



– أنَّا وجدنا كلام ابن حجر في نقده الذي ذكره المستشرق فرانز روزنثال هنا؛ قد ذكره في كتابه: "**إنباء الغمر بأبناء العمر**"، (٢/ ٣٤٠)؛ فقال: (وصنَّف "**التاريخ الكبير**" في سبعة مجلدات ضخمة؛ ظهرتْ فيه فضائلُه؛ وأبان فيه عن براعته، ولم يكنْ مُطَّلعًا على الأخبار على جلِيَّتِها؛ لاسيما أخبار الشرق، وهو بيّن لمن نظر في كلامه).

فكما ترى الكلام الرائع الجميل الرائق المنصف العادل من المؤرخ الخبير ابن حجر –رحمه الله– تجاه ابن خلدون وكتابه، وسجَّل للتاريخ رأيه بكل حرية وأدب بعدم اطلاع ابن خلدون على أخبار الشرق، وهو واضح جَلِيٌّ لِمَنْ نظر في كلامه.

فأين الإساءة التي ادَّعاها المستشرق المحترم؟!

وأين السذاجة في كل ما قاله؟! إنما السذاجة فيمن ينبري للكلام عن أخبار الشرق من غير دراية كافية.

ثم إنَّ ابن حجر إمامٌ حُجَّةٌ مجتهدٌ، فله مطلق الصلاحية في أن يُقَيِّم ويبيّن ويلاحظ، وإلاَّ كان ساذجًا بحق إنْ كتم ما يجبُ إذاعته وتبيانه؛ وحاشاه من ذلك.

ثم مَنْ كان في مكانة الحافظ ابن حجر الذي يتكلم على أسانيد المتون النبوية الشريفة تصحيحًا وتضعيفًا وتعليلاً، والكلام في الرجال والرُّوَاة جرحًا وتعديلاً؛ بل صنَّف في علم الرجال مصنَّفات جليلةً من أُمَّات هذا الفن والناس بعدَها عيال؛ فهل بعد كل هذا يُعجزُه ويُعيقُه الكلام نقداً أو مدحًا فيما دون ذلك، ككتاب ابن خلدون في التاريخ مثلاً.

بل إننا نرى أنَّ لابن حجر الوجه الآخر المختلف تجاه المؤرخ القاضي المالكي ابن خلدون في كتابه: "**رفع الإصر عن قضاة مصر**"، فهي ترجمة شبه مظلمة فلتنظر هناك.

وعليه ليس مقبولاً البتَّة من المستشرق المحترم وصف ابن حجر بالسذاجة، وأنه كما قال: (ليته سكت ولم ينبس ببنت شفه)؛ فهذا تضييق وإرهاب فكري، وقلَّة أدب منه تجاه الحافظ الإمام الفقيه القاضي المؤرخ ابن حجر، فابن حجر أعلمُ وأفضلُ وأنفعُ للأمة بما دونه خرط القتاد من ابن خلدون بملايين المرات ولا شك.

– هناك فرق بين التقييم الواقعي للشيء، وبين التبرير وتقديم المعاذير تجاه ذلك النقص.

فابن حجر بيَّن من واقع خبرته وقراءته لكتاب ابن خلدون الخلل الذي فيه، سواء كان لابن خلدون أسبابه ومعاذيره أو لم تكن.

فلا باس للمستشرق المحترم أو غيره الدفاع عن ابن خلدون حينها، فإنه لا تنافي ولا تضاد.

– ثم لاحظْ أن الخلل الذي ذكره ابن حجر تجاه مادة تاريخ ابن خلدون من ناحية عدم الإلمام بأخبار الشرق؛ لم يمنعه من وصفه ابن خلدون في أول كلامه تجاه كتابه التاريخي الكبير بـ: (ظهرت فيه فضائله، وأبان فيه عن براعته)، وهذا إنصاف وعدل منه، لا أدري كيف غفل عنه مستشرقنا المحترم؟!

– ولا ننسى أن المستشرق وصف ملحوظة الحافظ ابن حجر بأنها صحيحة إلى حد ما؛ فكيف ساغ له بعدها مباشرة الوصف بأنها سذاجة وليته سكت، وهذا تناقض صارخ منه ولا ريب.

- ثم إن المستشرق فرانز روزنثال ذكر بعد كلامه المنقول أعلاه تبريراته حيال ابن خلدون في عدم إلمامه بأخبار الشرق، وعدم تطبيق المعايير التي ذكرها في مقدمته الشهيرة حيال المادة التاريخية في كتابه، وقد يوافقه البعض على ذلك، ويخالفُه آخرون، وهذا أمر طبعي ولا شك، لا يتنافى مع واقع الكتاب من وجود خلل في عدم الإلمام بأخبار المشرق، وهو ما سجَّله ابن حجر في ترجمته؛ فكان ماذا؟.

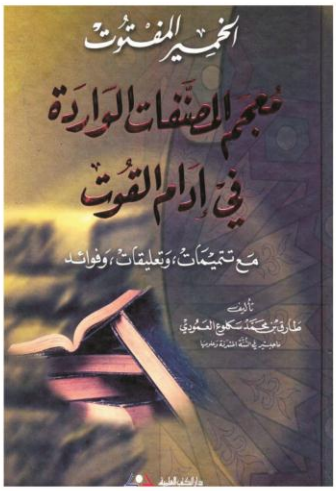
هذا ما استحضرته من تعليقات أو وقفات تجاه كلام المستشرق المحترم تجاه الملحظ الثاقب لابن حجر، الذي أزعج أيّما إزعاج مستشرقنا المحترم؛ ممَّا لا أعلم سببه، فأرجو أن أكون قد أصبْتُ في بيان جليَّة الأمر، والدفاع الذي أتشرف به تجاه حافظ الدنيا ابن حجر رحمه الله، ولا ننسى قدر العلامة ابن خلدون الحضرمي رحمه الله.

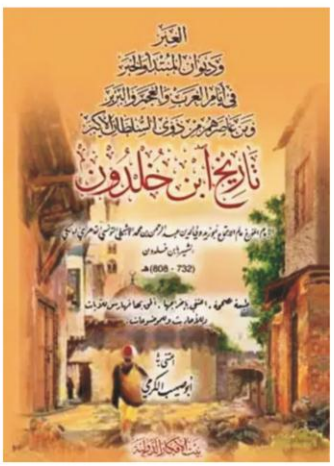
وأخيراً؛ ففي كتابي المطبوع: "**الخمير المفتوت معجم المصنفات الواردة في إدام القوت**"؛ قد ذكرتُ تاريخ ابن خلدون؛ وذيَّلْتُ تحته فوائد تجاه الكتاب ومؤلفه، قد لا يجدها القارئُ مجموعةً في مكان واحد غير كتابنا؛ فاستحسنت نقلَها هنا، وبه مسك ختام مقالتنا هذه، فقلت حينها:

- اسم كتابه؛ كما ذكره ابن خلدون في مقدمته: "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**".

- لابن خلدون في مقدمة تاريخه قاعدة أوردها في ضبط الأنساب؛ هي أن لكل مائة سنة ثلاثة من الآباء، وقد اتخذها البعض للطعن في بعض أنساب الأسر المعروفة المشهورة، سواء في حضرموت أو غيرها؛ فجاء البحاثة المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه (ت ١٤٠٠ هـ) فنقض قاعدة العلامة ابن خلدون بما لا مزيد عليه في كتابه: "**الشواهد الجلية عن مدى الخلف في القاعدة الخلدونية**"، وهو مطبوع باعتناء سقاف بن علي الكاف.

- ثم رأيت في مؤلفات السيد علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢ هـ): "**الرد على ابن خلدون في قاعدته في النسب ونقضها**"، يوجد منه كراسان. [انظر: مقدمة: "المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى" لعلوي بن طاهر الحداد، تحقيق محمد ضياء شهاب، دار المعرفة بجدة].





- ووجدت أيضاً تفصيلاً آخرَ وردّاً يهدم ما ذكره ابن خلدون في قاعدته تلك للسيد علوي بن عبدالله بن حسين السقاف (ت ١٣٩٢ هـ) في كتابه: "التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي"، (ص ٨١ ٨٢).

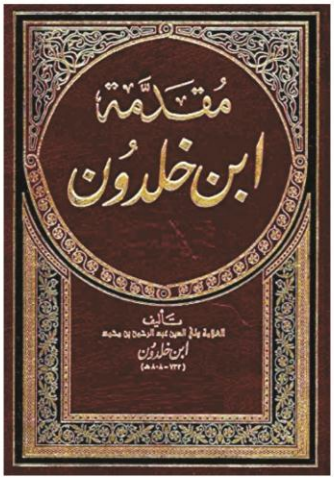
- يقول السيد أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤ هـ): (أربع مقدمات ينبغي قراءتها وتكرارها للمبتدئ والمنتهي؛ المبتدئ تنفعه والمنتهي تذكره؛ لاحتوائها على علوم كثيرة؛ وهي...) وذكر منها: مقدمة ابن خلدون. [انظر: "ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس" لابنه علي بن أحمد العطاس، (ص ٢٣)].

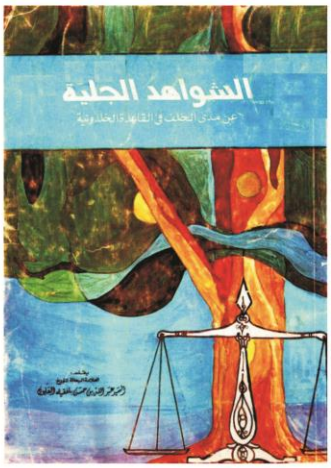
- إنَّ درجة الدكتوراه الثانية للأديب طه حسين (ت ١٣٩٣ هـ) كانت عن: "فلسفة ابن خلدون".

- في كتاب: "أيام مع طه حسين" للدكتور محمد الدسوقي؛ (ص ٩٢) انتقاد طه حسين لابن خلدون الذي حكم على العرب أنهم ما دخلوا بلداً إلا وأسرع الخراب إليه؛ وعَدَّهُ خطأً فاحشاً منه، وأن العكس هو الصحيح.

• قال المحدث الألباني (ت ١٤٢٠هـ): (وقد أخطأ ابن خلدون خطأً واضحًا؛ حيث ضعّف أحاديث المهدي كلها، ولا غرابة في ذلك، فإن الحديث ليس من صنعته) [انظر: "فضائل الشام" للربعي؛ تخريج الألباني، (ص ٤٤)].

• وقفت مؤخراً في: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، (١٣/ ٢٤٣) سنة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م) على مبحث يقع في (٤) ورقات؛ بعنوان: "مرض ابن خلدون وتأثيره على تآليفه" للدكتور محمود الجليلي؛ أوضح فيه إلى إصابة ابن خلدون بمرض المفاصل؛ إذ رجَّح أنَّ لدى ابن خلدون التهاب المفاصل شبه الرئوي، وكان سن ابن خلدون حينها (٤٢) سنة، وعاش بعد إصابته (٣٤) سنة؛ وكان المرض ينتابه طوال هذه الفترة، وتوفي بعد أنْ ثار عليه المرض. وألمح الدكتور إلى أنه ربما نجد في مرض ابن خلدون تعليلاً لقسوته على العرب؛ وهو يقصد بهم الأعراب؛ لأجل أنهم هاجموه في الطريق، ونهبوا ما معه، فبقي يومين في القفر قبل أن يلحق بأصحابه.





• ذكر الحافظ المؤرخ ابن حجر العسقلاني كلاماً خطيراً حيال المؤرخ القاضي ابن خلدون في كتابه: "رفع الإصر عن قضاة مصر"، (ص ٢٣٧) لكن لا يخلو من مهمَّات مفيدات في الغاية؛ فقال: (والعجب أنَّ صاحبنا المقريزي كان يُفْرِطُ في تعظيم ابن خلدون؛ لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عُبيد؛ الذين كانوا خلفاء بمصر؛ وشهروا بالفاطميين؛ إلى علي، ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نُقل عن الأئمة في الطعن في نسبهم، ويقول: إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي. وكان صاحبنا ينتمي إلى الفاطميين، فأحب ابن خلدون لكونه أثبتَ نسبتهم؛ وغفل عن مراد ابن خلدون؛ فإنه كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة، وادَّعى الألوهية كالحاكم، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض؛ حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة. وكانوا يصرِّحون بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم؛ فإذا كانوا بهذه المثابة وصحَّ أنهم من آل علي حقيقة، التصق بآل علي العيب، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم والله المستعان).

• قال الدكتور محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩هـ) في "المقالات" (٠٢/ ٤٥٩): (شاعت عن ابن خلدون في حق ابن هشام كلمة تناقلها مترجموه، وهي قوله: (ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية، يقال له ابن هشام، أنحى من سيبويه)، ولم أجد هذه الكلمة بسياقها هذا وحروفها في مقدمة ابن خلدون، وإن كان الكلام الذي نقلته من المقدمة يؤول إليها ويدل عليها. وقد تتبعت الكلمة فوجدتُ أن الذي ذكرها بهذا النسق والسياق: هو ابن حجر العسقلاني، في ترجمة ابن هشام من الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢/ ٤١٦، ويلاحظ أن ابن حجر صدر هذه الكلمة بقوله: (قال ابن خلدون) فهو سماع إذن، وقد ذكر شمس الدين السخاوي في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٤/ ١٤٨، أن ابن حجر اجتمع بابن خلدون مراراً، وسمع من فوائده).

قلت: قد أطال الحافظ السخاوي في ترجمة ابن خلدون من كتابه: "الضوء اللامع"، (٤/ ١٤٥ -١٤٩) إذ أبان فضائل الرجل وما انتقد عليه؛ والسعيد من عُدَّت غلطاته.

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

الثلاثاء ١٢ / ١٢ / ١٤٤٥هـ

مرزوق
اللحن الحضرمي الخالد





بدر بن عقيل

ارتبطت أغنية (حَـيَّا ليالي جميلة) بوجدان المستمع في مناطق عدّة من الوطن، وخاصة في حـضرموت وعدن، وصَدَح بـها صوت (محمد جمعة خان)، وصوت الفنان (أبوبكر بلفقيه) الذي أجاد تأديتها أو عبـر (فرقـة الإنشـاد) بـعدن، ولا يعلم المغرمون بـها أنها أصلاً من ألحـان (سـعيد مبـارك مرزوق)، والكثير يجهل ذلك، ولا أي إشـارة حـتى من قبـل الإذاعة والتلفزيون إلى ملحّنها الحقيقي، وهذا أمر موسِف حقّـًا.

ومن ألحانه أغنية (من قُمت ماهو بحد رزقي) وهذا اللّحن من الألحـان الشـائعة العذبـة، غنّاه كثير من الفنانين، وغنّاه الفنان (بلفقيه) أيضـًا بأبيات مطلعها:

ذا فضل ضاعَت علَي دُرَّه في الأرض من شانها بادُوْر

ومن ألحانه أيضـًا أغاني (تمناة قلبي يالمختَّم)، و(يقول بـن هاشم بكت لَعيان دم)، وهذه الأغنية تغنَّى بها الفنان (محـمد سـعد عبـدالله)، والفنان (أبوبـكر سـالم)، و(قـال الفتى غن باتغزَّل)، و(ياغُصن قد ربّوك أهلك).

أمّا لحن أغنية (يا بـوعلي والخاطر امكَدَّر) فقـد غنّته الفنانة (رجاء باسودان)، والمجموعة بقصيدة مطلعها:

دوب الزّمن والقلب يتذكَّر

إنَّ ألحـان (بـن مرزوق) كثيرة ومتعدّدة، ولها نكهة خاصة، ولون خاص، فلا غرابة في أن أطلَق عليه الشّعراء بحضرموت لقب (ملحِّن ألحان الدّان).

ولا شك في أن سيئون المدينة الفاتنة حورية وادي حضرموت الخصيب سكنت مهجة ملحـن الحـان الدان الراحـل سـعيد مبـارك مرزوق، فأحـبَّها وأحـب أهلها وناسـها، وزرعها وضرعها، وعبـر عن تصوفه بـذلك الحـب الوقَّاد بالقـصيد عندما أطربنا بقوله:

كل من قال لي أرضك قلت أرضي سيئون

نعم سيئون أرضي منبع أشكال وألوان

وعلى لحـنه الشَّهير (ذا فَصْل حِن يالنُّوب لَخضَر)، يقـول سعيد مرزوق:

17
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

سلام يَهل (القَرْن) رُدُّوا ردُّوا العوايد لَوَلّيه

ياكم وكم أيَّام مَرَّت

هدُّوا على الجودات هدُّوا

لُغصُون ماتَت!

خَلُّوا وكَد (مرزوق) يسْلَى

ويقول: عاد (القَرْن) ما مات!

كما يقول:

(سيئون) أرض الفنِ تعجب كلّ سالي

يابختهم حِلان فيها دوب يتسلّون

بالدّان والمغنى رخص لي كان غالي

إجبالها وديارها بالدّان كل ليله تناديك

* * *

من ألحانه ومساجلاته:

على صوت لحن الدّان الشَّهير (ذا فَصْل ضاعَت عَلَي دُرَّه) لملحّنه سعيد مبارك مرزوق؛ إذ قال مرزوق عليه:

من قُمْت ماهو بحَد رِزقي

رِزقي عَلَى بَالكَرَم والجود

مانا مرَّكَب عَلَى حَد في الجهه جِنْسي ومِثْلي

رَبّ فوقَنا قاسِم الأرزاق

فَرَدَّ الشّاعر حَدّاد بن حَسَن الكاف بهذا البيت:

الأرض قال (الحكَم): حَقّي

بَظهَر خُطُوطي عليها اشهُود

ومن (قَسَم) لا (القزه) ماليوم شُوه السّوق سُوقي

وانته تُقُول آه ياسَرَّاق؟!

وعندما ذهب شاعر الدّان الحضرمي ومغنّيه وملحّنه سعيد مبارك مرزوق إلى زيارة نبي الله هود (عليه السلام)، ثم حَلَّ ضيفًا عند أهل القرن من مدينته سيئون (الطويلة)، ومن داخل خدرهم خاطبهم بلحنه فقال:



عميد الدان الحضرمي الشاعر حدّاد بن حسن الكاف

فَصْل ياهل (القَرن) شِلُّونا

واطرَحُونا حيث ماترضُون

في مَحَل ترضُون فضلاً رِيِّضُونا

بي مرض من وِلفكم مَتعوب

شُو دُواي اللّيم لي في (بير مَشهور)

وعلى ذلك اللحن بَنَى عميد الدان الحضرمي الشاعر حدّاد بن حسن الكاف هذه الأبيات، فقال:

نِسنسُوا بالدَّان واحيونا

عندكم مِن مات حَد تحيُون

ضيفكم والضّيف واجب تكرمونا

(خَلِع راشِد)* فيه لي مطلوب

إن حَصَل والأَ كَفى ولعاد بازُور

* * *

لي ليالي صِيح ما اتهنَّا

نومي اتزعَّل من اللّعيون

شي بَصَر والأَ نَظَر باترحَمُونا؟

شُو غريب الدَّار له ماجوب

من رِحِم لُه فَضل عند الله مأجُور

* * *

عَ الوفـــاء والـــشَّرع شُوفونـــا
لَنَّنـــا مـــن نـــاس لـــي يُوفـــون
جيت بيِّه ضيق خاطـر نسمُّونـا
بَيْت باتسَمَّع حَنيـــنِ النُّـــوب
والجَنَـا إن لا وُقِـع مَعـــذور .. مَعـــذور

* * *

وعلى شعر لحن سعيد مرزوق:

ذا خَرَج فصْل والثّاني بَرارِيد مَصريّه
والمَعالق تحن رأسي لها ياعرَب يدْوِي
رَوَّح العَقل من رَيحَة عَشيّه
ما تفَنَّد لي الكَف من زجاج الفناجين

* * *

يقول الشاعر مَستور سليمان حُمادي:

حَسبَك اللّه يالمَضنون، بالجَبر قاتلنا
قَنَّعونا وانا لي قلب ما طاع يتقَنَّع
بانحط الوَصيّه كان مُتنا
عَ الشَّواهِد وقولوا: مات مسكين مَقهور

* * *

عَبَرت اسنين والأشهُر ولَبعَد توافَقنا
لي نخاطُبه ما تخاطَب ولا طاع لي يسمَع
ريتنا ماعرِفته أو عرِفنا
في سَبايبه جُمله عُذُّبوا قَبل (مستور)

* * *

كيف بَسلى في الدّنيا و (عاشور) خاصَمنا؟
بعد ما كنت انا وايّاه بالصّدق تَو نصدَع
في (عنيزات) سَيَّبنا!، قَلَعنا
قُلت له: بارَك اللّه فيك، ياخوي مشكور

* * *

ويقول سعيد مرزوق على صوت (ذا فصل حي ممساك) واللّحن له:


الشاعر مَستور سليمان حُمادي

ذا فصَل حبّة مَيْس لي تِقْطَع الكاشات
من دون كاشه في الولايه ما قدر فيها
ما باقي الكاشات قَطَّعْهِن على ارباع واثمان

ويقول سعيد مرزوق الذي كان يعمل بمهنة نقش البيوت وطلائها وعلى صوت دان من ألحان وغناء مغنّي الدان عوض عبيد فاضل:

(جثمه) لقيتي جم مصايب قوم منش عاطله
كمّين فالق فيه نقَّش شهر (بن مرزوق)
أصبح عدانه يوم مالش يالخبيثه تاليه
(سواقي المنكأ) و(صَقره) و(الفَلَس) تحتش يصيحون

* * *

هم غشّوا الفضّه وهي كانت معاهم صافيه
حطَّوا رَشَد فيها عويله من عيال السُّوق
كل ما نظرها صيغ نكَّر قال: فضّه باليه
ذلا بُدع فيكم ولا كنتوا كذا قُل لَهل (سيئون)

* * *

ياسيل عصري بالعشيّه ما عبر في السَّاقيه
ظلّى مفرَّق في (الطَّويله) بينهم مفروق
من عند (بن داعر) وكم عدّى القصور العاليه
شو ربّنا بايقبل التّوبه عساهم با يتوبون

19
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



مغنّي الدان عوض عبيد فاضل

ويعد صوت (ياغُصن قـد رَبُّوك أهلك من زمن محـروب) من أجمل أصوات الدان الحضرمي ..

هذا الصوت من الحـان الشـاعر والملحّن ومغنّي الدان المرحوم سعيد مبارك مرزوق إذ قال:

ابديت بالله يا رفيع الشَان لك باتُوب
انظر لحالي في كَلَف نا شفتها زرَّه
ذا فصل فيَ أشجار العنب وشجرة النّاناس
ترعِش ثماره بالزّهر مغروس في الهلاّس ما بين البساتين

* * *

وبالسّهَـاله كِيه دُعُوا لي يومنا مغصوب
وبِالعياده عندكم بانطرح المَدره
ودِّي مَحَلِّه في الطويله شوَّقت في الرَّاس
ما مثلها في مصر واسطنبول وارض الهند لي فيها الملايين

* * *

ثم نظم عليه الشاعر المرحوم: حداد بـن حسـن الكاف هذه الأبيات الخالدة الجميلة:

ياغُصن قد رَبُّوك أهلك من زمن محروب
يسقونك الاّ الطائفي قُطره قفا قُطره
مُولاك متْعزِّز بحث لك داخل الهلاّس
وطَرَحَك في قصعة عسل والله يا ذا الغُصن لا يلمسك شي طين

* * *

ياحيّ يامرحيب من جاء ألف لك ترحوب
يا (باسعيده) خُذ سلام آلاف لك مرّه
هت لي خَبَر في اهل الطَّويله كيف حال الناس؟
هم عادهم في بسطهم. أو هم كمايه ضقـت وكِثْرن التّماحـين

* * *

وعادهم يتذكّرون الخِّل والمحبوب
ويذكرون الوقت . وقت الشَّرع والعِشره
ويتقنون أيّام مرّت دايرين الكأس
وان قُد نسونا. كيف بَنسى شرعهم والجود من ذيك المضانين

يالليِ طلعته في الخواطر عندنا مشبوب
وش يخرج الشابات لا طلعت في النّظره
ما باقي الاّ الذكر . يوم الذكر بين الناس
يحيي القلوب الميّته لي شوّقت لَرواح من بُعد المضانين

* * *

مسكين من مثلي معذّب في المحبّه لُوب
عطشان مابين الموارد قطِّع العَبره
ماحد رثي حالي سمير الشُّهب في لغلاس
خايف يقع موتي ونَا عطشان ما بين الموارد والـمعايين

* * *

لي هاش عقلي عَذب في قَصرُه مَسَى محجوب
حسيبك الله هُشتنا ياباهي الغُرَّه
خلّيتنا هايم وحاير غايب الأحواس
سلّيت حـالي يا رضي قَطَّعت في قـلب المحـب من غير سكّين

* * *

عيني على ميزَر مخرَّج صنعته ملبوب
زين الحَدِيْده والمشط ما يمتسك خصره
ياريتنا بَتسلّبُه بلقي عمامة لاس
ياخير سُلبَه شَلَّت الشُّهره ولا تستاهل الاّ للسلاطين

عَبرَت حياتي في تعب يَهل الهوى منشوب
في عذب تنظر في جبينُه مطلع الزّهره
والمطلبِ نلقاه في سمرَه ندير الكأس
ننظر خدوده والعيون النّاعسه لا شط واذلاق الحجابين

* * *

لا قلت له واصل مُحبَّك قال لي: مغصوب
واهلي عليِّه مَنَّعَوْا . والا نُبَا سمره
وندير كاسات الهوى والقلب في إيناس
واطرحك وسط العين يالحبّان لي توفي عهودك للمحبّين

* * *

ياجُبح عامد في جبل شمسان في شنطوب
ما عذر ما ندبسك واقطع منّك الحسره
لا ياعسل مأزون بالأقفال والمقياس
ويا دواء العشّاق من نسع الخناجر ياعسل مصبوب في صِين

* * *

ومتاه يالَصحاب يلقى الطالب المطلوب؟
ويحصّل الحبّان يُسرُه بعد ذي العُسره؟
والصين شو قدّه مخادر من حبوب المّاس
والسّعد لا هبّت نُوادُه بايهزّ الغصن من ذيك البساتين

* * *

مُدُّوا بسجله للفتى يا دابسين النّوب
لا هُو ملأ فنجان واحد يقطع العبره
والكبد باتت تنقلي كالبُنّ في المحماس
يا قلب يظفر من صَبَر بانخزي الحُسَّاد مرّه والشياطين

* * *

كما يقول شاعر الدان مستور سليمان حمادي وعلى لحن (تشوّقنا الخضيره) لعملاق ملحّني أصوات الدان (سعيد مبارك مرزوق):

هذا خرج فصل والثاني تشوّقنا الخضيره
لا خضّرت قلبي الميّت بها خضّر
قتلتنا خذت عمري بالحياء يا غصن ضِيره
سبحان ربّك
أخلقك وأنشاك من طين

* * *

يا ريت لي تحت ظلّك زام في هجر الهجيره
يا طِب لرواح من غبّش ومن هجّر
بعدت شذابك على المسكين لي يدّه قصيره
يومه يحبّك
لحمه برته السكاكين

* * *

و يقول الشاعر والملحن سعيد مرزوق:

لما قعوضه نا نويت العزم سارح
جا بن يمانى قال لا تسرح
قبلك رصاص الشرف والباروت ذالح
بوفي كلامي قلت له جاء خط مشروح

رد الشاعر مستور حمادي:

ذا فصل والثانى خرج فى بير راجح
واحد دلى دلوه وبا ينزح
والدلو ما جمّل جرت فيه الفضايح
جرذان كلن الدلو يومه كان مطروح

فقال الشاعر جعفر عبيد:

الناس لا طرحوا نا مانا مطارح
على الخط لا قالوا لزم تطرح
ماحد يبيع الولف بيعه بالمصالح
ريت المشاغل كلها يا سعيد لشحوح

* * *

21
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

جسور العلاقات بين اليمن والسودان

أزلية ضاربة الجذور

أبدأ حديثي عن اليمن السعيد بحديث خير البرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة منها رواية البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبًا، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم".

كان يطلق على اليمن قديمًا مملكة سبأ، وقصة ملكة سبأ مع سيدنا سليمان عليه السلام مذكورة في القرآن الكريم، واليمن في اللغة تعني الجنوب، وكما أن الشام تعني الشمال.

يظل تبادل الثقافات بين الشعوب(Transculturation) ضرورة ملحة على مر التاريخ، وكنا نستمتع ببرامج التبادل الإذاعي على الإذاعة السودانية، في ديار الغربة نختلط بجنسيات وثقافات متعددة، فلكل شعب الكثير من المعارف عن علوم الحياة وشؤونها، وكل منها يُطلع الآخر عليها بوسائل وطرق متعددة، منها المهرجانات التي تُخصص فقرات لتعكس تراثها من خارج البلد، فالبعض يتأثر بثقافة سالبة، تؤثر في حياته الدينية والاجتماعية وهذا غير محمود.

من باب التبادل الثقافي تلقيت خطابًا أنيقًا من مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وإصداراتها (مجلة حضرموت) الأنيقة الدسمة بالمعلومات الثقافية والتاريخية، وهي لا تقل شأنًا عن مجلة العربي العريقة وبقية الإصدارات العربية.

الخطاب ممهور بأسماء علماء أجلاء من اليمن السعيد:

- أ. د. عبدالله الجعيدي المشرف العام.
- د. عبد القادر باعيسي رئيس التحرير.

كانت سعادتي بالغة بأن أطل على القراء في اليمن السعيد عبر بوابة حضرموت، فاليمن أصل العرب، والتاريخ اليمني ضارب في عمق التاريخ، من الجاهلية وشاعرها امرؤ القيس الملك الضليل، الذي ملأ الأسماع بشعره وحكمه، وهو ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ولد بحضرموت.



محمد فضل أبو فراس

يضرب الكثيرون منهم في فجاج الأرض بحثًا عن الرزق والأمان، ويطيب بهم المقام، وتظل تلك الديار وطنهم الثاني، فقد جعلنا الله شعوبًا وقبائل لنتعاون ونتصاهر، ورغم هذه الحدود الجغرافية يظل الجسد العربي والإسلامي واحداً مهما كثرت خطط الأعداء لزرع الفتن بشتى الأساليب، فكلنا من آدم وآدم خلق من تراب.

مدينة بورتسودان من أكثر المدن السودانية التي بها أسر ذات أصول يمنية، وكان لها دور بارز في مجتمع المدينة اجتماعيًا وثقافيًا، وسآخذ في هذا المقال بعض النماذج على سبيل المثال، ونتطرق لبعض الرموز السودانية ذات الأصول اليمنية.

وهناك عوائل حضرمية كثيرة في بورتسودان، مثل: باعوم، وبابعير، وباجسير، وباوارث، وبازرعة، وباعبود، وباعشر... الجالية الحضرمية في بورتسودان كبيرة وقديمة جداً، وتعد من النسيج الاجتماعي والثقافي، وقد تصاهرت مع القبائل المحلية في بورتسودان، مثل البني عامر، والهدندوة وغيرهم من قبائل البجا.

ومن أمثلة العلاقات الاجتماعية وانصهار بعض المبدعين في بيئات مختلفة الفنان الصومالي اليمني السوداني/ **أحمد ريشة**، وقد وصفه المراقبون بأنه صاحب عبقرية غنائية قلَّ أن يجود الزمان بمثلها، وكان عاشقًا للسودان وترابه وأهله لدرجة


الفنان
أحمد ريشة

الجنون، وكثيراً ما شوهد يُقبّل تراب الأرض السودانية بحب وصدق، وفي الاتجاه نفسه حظي بحب السودان لذلك كان سوداني الغناء، وهو يمني المنبت. وصومالي الجنسية، وأثرى السودان بتجربة ذات دلالات ومعانٍ، أضاءت ما حولها، حتى لُقب بـ(أب الأغنية المعاصرة) التي ما يزال أثرها حاضراً في لونية كثير من الأصوات الغنائية السودانية، من الذين تأثروا بتجربته، ونهلوا من معينها الصافي العذب منذ مطلع السبعينيات، وهو الذي قال عنه صديقه الموسيقار يوسف الموصلي لقد التحق الفنان (أحمد ريشة) بـ(الدفعة الخامسة) بـ(معهد الموسيقى والمسرح)، فهو فنان ليس له مثيل لا في السودان ولا حتى في الدول العربية.

ويضيف: لقد قصَّرْنا في حقه، وتركناه يرحل في صمت مدهش. وكان يجيد عدداً من اللغات، منها الإيطالية، والإنجليزية، والأمهرية، والعربية، والصومالية.

توفي عام ٢٠٠٣ بلندن.


مدينة بورتسودان
من أكثر المدن السودانية التي بها أسر ذات أصول يمنية

23
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

ومن الشخصيات ذات الأصول اليمنية **البروفوسور عون الشريف قاسم** - رحمه الله - ولد وترعرع بمدينة حلفاية الملوك



بالخرطوم بحري، وكان له دور بارز في الحياة الاجتماعية والثقافية في السودان، عمل مديراً لقسم الترجمة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠م، وعين وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية عام ١٩٧٣م، ورئيس المجلس الأعلى للشئون الدينية عام ١٩٨٠م، ورئيس تحرير مجلة الدراسات السودانية ١٩٦٨ - ١٩٨٢م، وشغل منصب رئيس مجلس جامعة أم درمان الاسلامية ١٩٧٦ -١٩٨٢م، ورئيس مجلس إدارة دار الصحافة للطباعة والنشر ١٩٧٧ - ١٩٨٢م، وترأس تحرير مجلة الوادي (عن دار الصحافة وروز اليوسف) ١٩٧٩م- ١٩٨٢م، ثمَّ تمَّ منحه وسام العلم والآداب والفنون عام ١٩٧٩م، وعمل مديراً لمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية عام ١٩٨٨م، ورئيس مجلس جامعة الخرطوم ١٩٩٠ - ١٩٩٤م.

في عام ١٩٩٣م منحته جمهورية مصر العربية وسام العلم من الدرجة الأولى، وشغل منصب مدير جامعة أم درمان الأهلية ١٩٩٦م.

- **له عدد كبير من الكتب والأبحاث، أبرزها:**

١/ موسوعة الثقافة الإسلامية.

٢/ موسوعة القبائل والأنساب في السودان.

٣/ قاموس اللهجة العامية في السودان.



وعدد كثير من المراجع والكتب التي أثرى بها المكتبة العربية والإسلامية.

ومن الشعراء **الشاعر الكبير بازرعة** - رحمه الله -، ولد حسين بازرعة في عام ١٩٣٤م بمدينة سنكات بولاية البحر الأحمر بالسودان، وهو حسين بن محمد سعيد بازرعة، و(بازرعة) اسم عائلي أصله من حضرموت.

وكثيراً ما يكتب بازرعة عن تجاربه الذاتية في الحياة. فقصيدة (قصتنا) تعبر عن تجربة عاطفية لم يكتب لها النجاح، بل إنها أدت به إلى رحيله إلى المهجر، حيث الشعور بالاغتراب والحنين للوطن وللحب الذي ولى، فيقول مخاطباً الطيور المهاجرة التي تمر فوق سمائه:

كل طائر مرتحل
عبر البحر قاصد الأهل
حملته أشواقي الدفيقة
ليك ياحبيبي للوطن

لترابه.. لشطآنه للدار الوريقة

هل تصدق تنتهي قصتنا يا أجمل حقيقة

نحن عشناها بدموعنا وبالضنى في كل دقيقة

كما شكلت القضايا العربية أحد المحاور الأساسية في شعره؛ فكتب أشعاراً تدعو إلى الوحدة العربية، ومساندة المقاومة الفلسطينية، ومن تلك الأشعار قصيدة ألَّفها بمناسبة الذكرى الأربعين للانتفاضة الفلسطينية بعنوان (عرس الأربعين).

وتركز إنتاجه الأدبي في القصائد الغنائية، التي يتغنى بها فنانو الطرب والغناء في السودان، وفي مقدمتهم الفنان عثمان حسين - رحمه الله - الذي ربطته ببازرعة علاقة صداقة قوية منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي، وكتب بازرعة غالب أغنيات عثمان حسين الشهيرة. وتعد قصيدته (القبلة السكرى) هي أول قصيدة له تم تلحينها والتغني بها من قبل عثمان حسين، وقد نظمها بازرعة عندما كان طالباً في المرحلة الثانوية؛ ليشارك بها في مسابقة للقصيدة الغنائية السودانية، نظَّمتْها مجلة «هنا أم درمان» السودانية، التي كانت تنشر أشعاراً يتهافت عليها المغنون السودانيون. وقد فازت القصيدة في المسابقة، وتمكن الفنان عثمان حسين من الفوز بها ليلحنها، فيقدّمها أغنية لجمهوره نالت شهرة فيما بعد. تقول بعض أبيات القصيدة:

وقطرات الندى الرقراق.. تعلو هامة الزهرِ

وألحان الهزار الطلق.. فوق خمائل النهر

ولما ينقضى الليل.. وينعس ساقي الخمر

يرف الضوء كالحلم.. ويسكب خمرة الفجر

أتذكري قبلتي والليل.. يروي طلعة البدر

وكيف أناملى الحيرى.. تداعب خصلة الشعر

إن أنسى ما أنسى

ذكراك يا سلمى



الشاعر حسين بازرعة

في وكرنا المهجور

والصمت قد عمَّا

تحلو لنا الشكوى

والحب والنجوى

وقبل عودته إلى السودان كتب شعراً عن شَقَّته في جدة، التي قرَّرت سلطات البلدية هدمها:

غداً أقول وداعاً شقة العمر

على صدى من قرار غير منتظر

قضيت شرخ شبابي بين أضلعها

وبين أركانها أودعت مدخري

وللشاعر الكبير - رحمه الله - عدد من دواوين الشعر، صدر منها: البراعم وسقط المتاع، حسب إفادات حفيده صديقي الأستاذ علي بازرعة.

وبرز في مجال الفن والغناء الأستاذ **الطيب عبدالله أحمد الذبحاني**، من مواليد مدينة شندي العريقة، عام ١٩٤١م، شمال الخرطوم، وهو مطرب وشاعر وملحن سوداني، من أصل يماني، مشهور ذاع صيته وبزغ نجمه عالياً منذ بداياته الأولى في الستينيات في سماء الطرب إبَّان العصر الذهبي للغناء والفن السوداني.

25
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

اشتهر الأستاذ الطيب عبدالله بعذوبة صوته ذي الطابع الحزين، وتمكنه من امتلاك القرار والجواب في الأداء الغنائي، وانتقاء الكلمات الرقيقة البالغة الحساسية. وقد أجمع الكثيرون من معجبيه على أنه فنان استماع بالدرجة الأولى.

نشأ الذبحاني وترعرع في مدينة شندي، لأب يمني، هو المرحوم عبدالله أحمد الذبحاني، وكان تاجراً قد قدم من اليمن من لواء تعز، من قبيلة ذبحان من منطقة التربة الحجرية المعروفة؛ ليستقر في مدينة شندي بالسودان في أوائل العشرينيات، وتزوج من شقيقة أخواله "التيمان"، وهم شركاؤه في التجارة من قبيلة الجعليين الزيداب.



الطيب عبدالله أحمد الذبحاني

توفي والده وهو صغير السن في عام ١٩٤٨م بشندي ودفن بها، وكان أخوه الأكبر سليمان بمثابة الراعي الأول له؛ ليواصل تعليمه، ويتخرج في معهد التربية بشندي؛ كي يعمل في مجال التدريس، وكان ذلك في أواخر الخمسينيات، وكان له اهتمام بالأدب والتراث العربي القديم، وقد حفظ منه الكثير، وكانت موهبته الواعدة في الغناء قد بدأت تتصاعد بشكل ملحوظ؛ إذ كان قد أتقن حينها العزف على العود، وجذب بصوته الرائع إعجاب الكثير من الناس في مدينة شندي. وكان أهم ما تميز به هو وضوح مخارج الحروف العربية، والنطق السليم لها، وكان شقيقه الأكبر سليمان والأصغر عوض وأخواته وأقرباؤه قد شجعوه كثيراً واهتموا به، وتوقعوا له أن يصبح فناناً كبيراً. وقد تعلم العزف على آلة العود على يد ابن خالته الفنان الخاتم الطيب، مكوّن الثنائي الغنائي (ختم وحسن).

وتعد أسرته أسرة فنية مترعة بالفنون؛ إذ تحتضن كذلك ابن خاله الدرامي الراحل سليمان حسين (جحا)، الذي جسد شخصية جحا ببرامج الأطفال، وأيضاً ابن أخته بريقع.

شارك للمرة الأولى بوصلة غنائية في حفلة بمسرح السينما بمدينة شندي في أوائل الستينيات، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يراه مسؤولون كبار من لجنة إجازة الأصوات، الذين حضروا من إذاعة أم درمان بالخرطوم، وأبدوا إعجابهم الشديد به، ودعوه للحضور إلى إذاعة أم درمان، واهتم به أحد كبار رجال الدولة والسياسة في الحكومة السودانية آنذاك، وهو الدكتور إدريس البنا، الذي كان رئيساً لمجلس رأس الدولة في منتصف الثمانينيات، ولطالما ذكر الفنان الطيب عبدالله أنه كان الأب الروحي له؛ إذ قدَّمه للأوساط الفنية المرموقة كفنان قادم وجاهز للعطاء، لا لصقل الموهبة، وتفاجأ الطيب عبدالله عند ذهابه للأستوديو لأول مرة، عندما تصور بأنه سوف يخضع لامتحان من لجنة الأصوات ليفاجأه أعضاء اللجنة أنه قد تمَّ اعتماده كفنان من الدرجة الأولى مسبقاً وأنه مطلوب منه أن يبدأ فوراً بتسجيل أولى أغنياته، وهي أغنية (أماني) من كلماته وألحانه، وكان مطلعها:

كيف هان عليك يا حبيب تسلاني وتنسى عطفي عليك وحناني
سيب الخصام وتعال صافيني يا حبيبي الدنيا أماني..

وقد لاقت الأغنية قبولاً فاق كل التكهنات والتقديرات، وأصبحت تذاع مرات عدَّة في اليوم الواحد؛ وذلك لما كان يتمتع به المذياع - الراديو - كوسيلة إعلامية قوية في ذلك الوقت. وبرز الفنان الطيب عبدالله فنَّانًا ذا حس فني عال، وفي زمن قياسي، مما جعله يحترف الغناء. وبالرغم من أنه كان يكتب ويلحن أغانيه لكنَّ كبار الشعراء كانوا قد عرضوا عليه أشعارهم، وقدم منها الكثير. استمر الطيب عبدالله في تقديم روائعه الفنية الخالدة للجمهور، فأصبح نجمًا ساطعًا في عالم الغناء السوداني.

أغنية يافتاتي:

جذبته ذات مرة القصيدة الرائعة بالعربية الفصحى - ذات الفراء (والتي عرفت بأغنية يا فتاتي) لأحد الشعراء السودانيين الكبار، وهو الشاعر الطيب محمد سعيد العباسي، تضمنت القصيدة الحالة النفسية التي انتابت الشاعر، الذي كان بالقاهرة ذات يوم، عندما همَّ بمغازلة امرأة قبطية جميلة تمشي على الطريق، فما كان منها إلاَّ أنْ عيَّرتْه بسواد لونه، قائلة له: عليك أن تمد لحافك على قد رجليك...

فما كان من الشاعر إلا أن قال:

يا فتاتي ما للهوى بلد..

كل قلب في الحب يبترد

وانا ما خلقت في وطن في حماه الحب مضطهد..

فلماذا أراك ثائرة وعلام السباب يضطرد..

ألأنَّ السواد يغمرني..

ليس لي فيه يا فتاة يد..

قام الطيب عبدالله بتلحين هذه القصيدة وتسجيلها في الإذاعة، واختار مُوَشَّحًا يقدمه قبل الأغنية للشاعر العباسي الكبير بالفصحى أيضًا وهو - فارقتها والشعر في لون الدجى - فلاقت رواجًا لم يتصوَّرْهُ الكثير من الناس؛ إذ أصبحت واحدة من أهم أغاني الطيب عبدالله وأشهرها..

من المفارقات العجيبة لهذه الأغنية أنه في عام ١٩٧٠م كان العقيد معمر القذافي قد حضر في زيارة رسمية إلى السودان، ويلتقي أيضًا بالرئيسين: جعفر النميري، وجمال عبدالناصر، وفي أثناء حفل الغداء طلب أن يحضر الطيب عبدالله ليغني له أغنية (يا فتاتي)؛ لأنه أحب هذه الأغنية جداً، ولم يكن للفنان الطيب عبدالله هاتف بالمنزل، فتم إذاعة الخبر على الهواء في الراديو حوالي الساعة الثانية ظهراً وجاء فيه (المرجو من الفنان الطيب عبدالله التوجه إلى القصر الجمهوري فوراً)..

لم يعرف الطيب عبدالله سبب استدعائه، وخشي ما خشي، إلى أن حضر وسلَّم على الرؤساء الثلاثة، ووجد الأوركسترا في انتظاره؛ لكي يغني أغنية العقيد القذافي المفضلة (يافتاتي)!

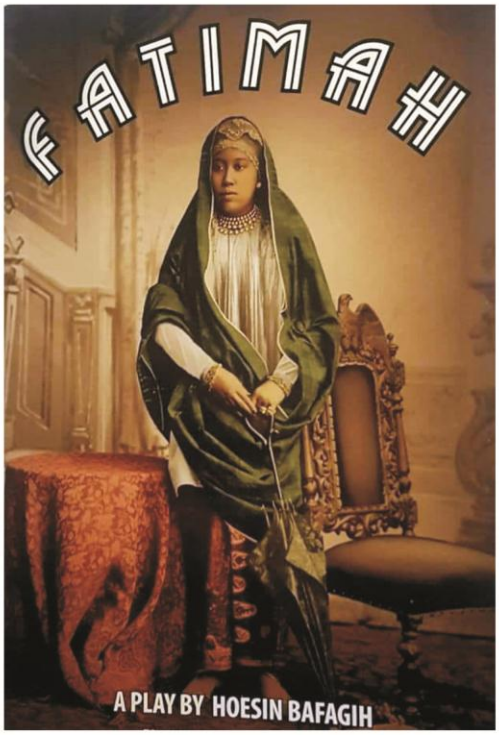
التقى الطيب عبدالله في القاهرة عام ١٩٦٩م بالملحن المصري المعروف محمد الموجي، واستمع إليه وأعجب بصوته جداً، وذكر أن الموجى اضطر إلى أن يلغي ارتباطاته كلها في ذلك اليوم مع الفنانين الذين كانوا في انتظاره، وقال لهم: لقد جاءنا صوت شجي، وحنين من جنوب الوادي، يمتلك إمكانيات هائلة. وكانت هناك فكرة وهي أن يغني الطيب عبدالله بما عرف بالسُّلَّم السباعي أو الربع، إلاَّ أنَّ الموسيقار الموجي كان قد نصح الطيب عبدالله بالبقاء على مقام الفن السوداني المعروف بالخماسي، وأنه لا حاجة له للغناء بغيره لطالما عنصر الإبداع متوافر فيه وبغزارة.

27
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

"فاطمة"

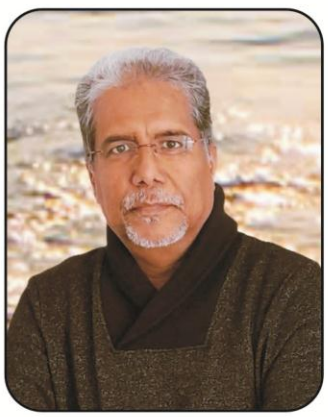
مسرحية عربية-إندونيسية مثيرة للجدل*

هوب دي يونج**



مقدمة:

في الثلاثينيات، بدأ عدد من المنظمات والحركات الوطنية في جزر الهند الشرقية الهولندية بتقديم عروض مسرحية في الاحتفالات الخاصة، كالمؤتمرات والمناسبات التذكارية، كان هدفها إحياء الفعاليات، وترفيه الجمهور، وتعزيز المثل العليا، ومعالجة المشاكل الاجتماعية، والتحفيز على التحرر. وكانت شكلاً من أشكال المسرح التعليمي، يتغيّا تأكيد رسالة المنظمة أو الحركة، وتعزيز هُوِيَّة أعضائها، وكانت تحظى بشعبية لدى الإندونيسيين، والأقليات الآسيوية الأجنبية، كالصينيين والعرب الإندونيسيين، الذين كانوا منفردين تماماً اجتماعياً وسياسياً، وفقاً لتصنيف السكان الرسمي إلى أوروبيين وشرقيين أجانب، وسكان أصليين.



ترجمة:
د. سعيد الجريري

كانت المسرحيات مبنية على النمط الأوروبي، ولم تكن لها علاقة تذكر بالأشكال التقليدية للمسرح والترفيه الخاص بهذه الفئات السكانية. وتُكتَب بقلم أحد أفرادها الموهوبين، ويؤدّيها ممثلون يتم اختيارهم منهم. وكان لكل جماعة مؤثرة من المنظمات السياسية أو الاجتماعية مسرحٌ خاصٌّ بها، مُستَوحى من نظيراته الأوروبية، إلى جانب نادٍ رياضي، ونادٍ نسائي، وأحيانًا حتى فرقة طبول.

في هذه الدراسة أود أن أتطرق إلى مسرحية "فاطمة"، التي عُرِضت في سيمارانج عام 1938م في المؤتمر الثالث لاتحاد عرب إندونيسيا. ففي أواخر الثلاثينيات، كان يعيش في المستعمرة أكثر من 70.000 عربي، منهم حوالي 50.000

في جاوة، وينحدر كلهم تقريباً من حضرموت، وهي منطقة فقيرة في جنوب الجزيرة العربية. وكان أكثر من ثُلُثَيْهم، من عرب إندونيسيا (المولدَّين)، والبقية من العرب التوتوك (الولايتي)[1].

إلى حوالي عام 1920م كانت العلاقات الاجتماعية، بين شرائح الأقلية المنغلقة على نفسها هناك، انعكاساً للتراتبية الطبقية، في الوطن الأم حضرموت، القائمة على النسب. فالطبقة العليا تتكون من السادة، نسل النبي محمد، الذين انتقلوا من البصرة إلى جنوب الجزيرة العربية منذ أكثر من 1000 عام. تليها طبقة المشايخ، نسل النخبة الدينية البارزة، الذين زحزحهم السادة تدريجياً عن الصدارة. وتتكون الطبقتان الثالثة والرابعة على التوالي من القبائل (المسلحة)، والمساكين. وهناك حدود صارمة بين الطبقات. فعلى سبيل المثال، لم يكن مسموحاً للمرأة بالزواج مطلقاً بمن هو أدنى منها منزلةً، وكان السيد يُستقبَل دائماً بقُبلة على اليد[2].

في الثلاثينيات، نشبت توترات متعددة داخل المجتمع العربي، وخاصة بين السادة، والمشايخ (كما كان يُطلق على غير السادة في المستعمرة)، وبين العرب التوتوك، والمولدَّين، الذين نظموا أنفسهم في جمعيات مختلفة. إذ رفض عدد من المشايخ إبداء مظاهر التوقير التي يتمتع بها السادة في حضرموت. واتَّهم التوتوك بشكل متزايد المولدَّين بالميل عن القيم العربية، وتبنّي نمطِ حياة إندونيسي، وأنهم أكثر ولاءً لأرض أمهاتهم من أرض آبائهم.

لكنَّ اختراقاً حدث في عام 1934م عندما أسس شبَّان عرب إندونيسيون، من طبقات مختلفة، اتحادَ عرب إندونيسيا، بهدف تعزيز تحرُّرهم، واندماجهم في المجتمع الإندونيسي الأوسع. وعلى خُطا حزب الهند، وحزب الإندو- أوروبيين، وحزب ثيونغوا إندونيسيا (حزب الإندونيسيين الصينيين)، قبلوا علناً بإندونيسيا وطناً، وبالثقافة الإندونيسية ثقافةً لهم، وهي رؤى لم يتقبَّلْها الجميع في أوساط الأقليات الأجنبية.



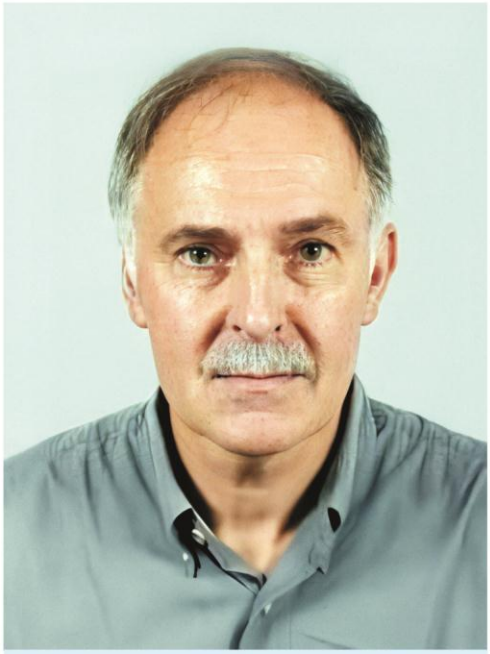
حسين بافقيه، مؤلف مسرحية فاطمة

وكانت العروض المسرحية، كما ذكرنا، إحدى وسائل تحفيز تحرُّر مؤيِّديهم والمؤيدين المحتملين. وكانت "فاطمة" هي المسرحية الثانية التي تُعرَضُ في مؤتمر اتحاد عرب إندونيسيا. وتتكون من ثمانية فصول متفاوتةِ الطُّول، مكتوبة بلغة الملايو. وقد ألَّفها، بناءً على طلب الهيئة العليا، الصحفيُّ حسين بافقيه، وهو مؤلف مسرحية سابقة عنوانها (قربان عادات)[3].

كانت الهيئة راضيةً جداً عن المضمون، لدرجة أن عُرضت نسخة تجارية من النص للبيع في المؤتمر. واستقبل مناصرو الاتحاد "فاطمة" في عرضها الأول، بحفاوة بالغة، لكنَّها كانت مثار اعتراضات كثيرة من المعارضين، ما أدى إلى توترات خطيرة في الأوساط العربية في المستعمرة.

يقدِّم مضمونُ المسرحيَّةِ صورةً مثيرةً عن اهتمامات المجتمع العربي وإخفاقاته في سنوات ما قبل الحرب. ويبين ما كان يدور في أذهان أفراد المجتمع، ويُعدُّ ضرورياً لحل تلك المعضلات.

29
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



د. هوب دي يونج

الحكاية:

فاطمة هو اسم الابنة الصغرى للتاجر الموسر ناصر بن عمر الشعيبي[4] الذي يشتد به المرض، وإذ يشعر بأن أجله يقترب، يقرِّر قبل وفاته، تزويج ابنته بمختار، معلم اللغة العربية، الذي كان معجبًا جداً بها. ورغم أن أولاد العائلات الثرية يصطفُّون للاقتران بفاطمة، لكنَّه يُفضِّل مختاراً الفقيرَ، لكن المؤتمَن، الذي تتلمذت ابنتُه على يده، ويتوقَّع أن تسعد معه. ولأنها لمّا تزل طفلة، فقد عُقد قِرانها، على ألاَّ يباشرا الحياةَ معًا إلا حينما تبلغ الفتاة سن الزواج. وإلى ذلك الحين، سوف تستمر فاطمة في العيش مع والدتها، وسيتم وضع ميراثها الكبير في دار الأيتام القُصّر، التي وضع فيها ناصر أيضًا تركة ابنه الذي أنجبه في سن مبكرة من امرأة بوجينية في إحدى الجزر الشرقية للأرخبيل الإندونيسي، لكنَّه هجرها بعد وقت قصير من ولادته. لقد كان يبحث عن هذا الابن منذ سنوات لكن دون جدوى. وإذا لم يُعثَر على هذا الابن بعد 15 سنة من وفاة ناصر، فإنَّ ميراثه سيَؤول إلى فاطمة وأخيها الأكبر يوسف. يوسف، ولد ناصر الوحيد، الذي سيحصل على أمواله مباشرة بعد وفاة والده، هو خروف العائلة الأسود. إنه لا يريد أن يُفلح في شيء، ولديه أصدقاءُ سوء، ويعود إلى المنزل متأخراً، ويشرب البيرة والويسكي، ويطارد النساء، ويبذّر الأموال. لا يثق به والدُه، وبدلاً من ابنه، يوكل حركة أعماله التجارية اليومية منذ سنوات لأخيه الأصغر منصور. يرى يوسف أن من الخزي أن تُزوَّج أخته، "**نجمة المدينة**" و"**فتاة أحلام كل أولاد الأثرياء**"، بشخص فقير معوز مثل مختار[5]، يلوم عمَّه على عدم تدخله لإيقاف الزيجة، غير أنه يقبلها على مضض، لكنه، بعد وفاة والده، يطرد عمَّه منصوراً، على الفور، ثم تتدهور الأمور بعد ذلك.

بعد عامين من وفاة ناصر، يبدّد يوسف ميراثه، البالغ 75000 خيلدر، كُلَّه تقريبًا، وهو ثروة هائلة في ذلك الوقت، ويدمر العمل التجاري فعلاً. فالدائنون يصطفُّون في طابور مطالبين بمبالغهم المستحقة. بتحريض من صديقين يعتمدان على جيبه، هما سالم وعمر، اللذان يريدان مواصلة حياتهما الخاملة، يحاول أن يفسخ عقد قِران فاطمة بمختار، ويصبح وصيًا على أخته بدلاً من منصور. بهذه الطريقة يمكنه الاستيلاء على أموالها المُودَعة في دار الأيتام القصّر. لكنه يحتاج إلى تعاون منصور ومختار في هذا الأمر. يستدعيهما، ويخبرهما بأن فاطمة تريد فسخ العقد. ويعرض على كل منهما مكافأةً مبلغًا كبيراً من المال، على أن يتم دفعه عند إبرام الفسخ. لا يصدقانه ويرفضان العرض بسخط. مختار، الذي يحب فاطمة كثيراً، لا يرغب في ذلك إلا إذا صرّحت كتابيًا برغبتها في فسخ الزواج الذي لم يتم الدخول به بعد. ومع ذلك، يبدو أن فاطمة غير راغبة في الفسخ، فحبُّها مختاراً صار أقوى. يقرر يوسف لاحقًا تقديم تبرع كبير للمدرسة التي يدرّس فيها مختار، والضغط على مجلس الإدارة لطرده، ظنًا منه أنه بدون عمل سيكون على أتم استعداد لقبول عرضه. ومع ذلك، عندما علم مختار بهذه الخطة، قدم استقالته. فهو لم يكن سعيداً

منذ مدة في هذه المدرسة العربية، التي يتدخل أعضاء مجلس إدارتها باستمرار في شؤون التعليم، ويمنعون أي تجديد.

أصبح كلٌّ من منصور ومختار الآن بدون دخل. يقترح منصور استخدام مدخراتهما لشراء مساحيق تجميل وعطور وغيرها من المنتجات ومن ثم بيعها. يتبرم مختار، فهو غير معتاد على هذا النوع من العمل ويخجل منه، لكنه يقبل على مضض. يسيران كل يوم في أنحاء المدينة بالبضائع ملفوفةً في "بقشة" ومبلّلةً بالعرق، بحثًا عن الزبائن. وفي أحد الأيام، وهما في طريقهما إلى السوق، مرّا بمطعم به عدد من الزبائن. يقترح مختار أن يذهب إلى طاولاتهم لبيع البضائع، ويطلب من منصور الانتظار لبعض الوقت. في المطعم، يقابل بالصدفة يوسف وأصدقاءه المقربين، وقد شربوا كثيراً، فاعتدَوْا عليه بالضرب على رؤوس الأشهاد. يأتي منصور لمساعدته؛ فيضرب يوسف ويوقعه تحت الطاولة.

لتفادي المزيد من المشاكل داخل الأسرة، يغادر الرفيقان على متن أول قارب إلى الجزر الشرقية الصغيرة؛ لتجريب حظهما هناك إلى حين، فبدون حضورهما لا يستطيع يوسف تطليق فاطمة، التي تُبلَّغ برحيلهما عبر وسيط. رفيق السوء سالم يقدِّم ليوسف الحائر خطةً جديدةً للحصول على المال. بعد سنوات قليلة سيكون له ولفاطمة ميراثُ أخيه المفقود، إذا لم يظهر قبل ذلك التاريخ. يمكنه بيع حصته لمُقرضٍ ما بمبلغ معين. يوسف، الذي يعاني من ضائقة مالية شديدة، لا يرى أيّ مخرج آخر. يذهبان معًا إلى معلم القرآن عمّي عبُود، الذي يعرض عليهما بعد شدٍ وجذبٍ 500 خيلدر مقابل ميراث سيصل إلى مائة ضعف بحلول وقت دفعه.

بعد مرور أكثر من عام، مازال منصور ومختار يتنقلان بين جزر سوندا الصغرى، حيث يقومان بأعمال جيدة. في أثناء البحث عن مكان لقضاء الليل، التقيا بعد ظهر أحد الأيام باك سابتو، وهو بوجيني عجوز، يقيم مع صديق عربي. يأخذهما



غلاف الطبعة التجارية

إلى هناك. عند وصولهم، يتبين أن الرجل هو أحمد، والد مختار، الذي غادر مسقط رأسه قبل ستة أشهر للبحث عن ابنه. وأعيدت جميع الرسائل البريدية التي كان يرسلها طوال تلك الأشهر. وفي النهاية عرف من مدرسته السابقة أن مختاراً غادر المدينة. وفي أثناء البحث، أصيب أحمد بمرض خطير، فاضطره إلى الاستقرار هنا مؤقتًا. يحكي له مختار ما حدث، ويعتذر عن عقد قرانه دون استئذان والده، لكن الزواج لم يتم بعد. يسأله أحمد عن قبيلة زوجته واسم والدها. فيُصدَم إذ يجيبه مختار بأنها ابنة ناصر بن عمر الشعيبي، ويرتجف بدنه كله، ويرفع يديه إلى السماء، ويهلل: مختار، لا يجوز له أن يتزوج من بنت ناصر. يجب فسخ العقد.

مختار لا يستوعب ذلك مطلقًا، فيردّ، باكيًا، بأنه يحب فاطمة، ويرغب في الزواج منها. لكن الرجل العجوز يتشبث بموقفه، ويقول: "**ستنشق الأرض، وتضربك الصاعقة، وتنفلق السماء، وتلعنك الملائكة، ويهتز عرش الله... إذا تزوجتها**"[6] باختصار، يتبين أن أحمد ليس أبا مختار الحقيقي،

بل والده بالتبني. فقد تبناه عندما كان في الخامسة من عمره، بعد أربع سنوات من وفاة والدته، ابنة باك سابتو. واضطر باك سابتو – الذي لم يكن له أقارب آخرون، ولم يكن لديه دخل – إلى التخلي عن مختار عندما حصل على وظيفة في ديلي. فوالده الحقيقي هو ... ناصر، الذي هجرَ والدته. وفاطمة هي أخته غير الشقيقة، ومن رابع المستحيل أن يتزوجها.

يتولى منصور – عم مختار الآن – المهمة الصعبة المتمثلة في إبلاغ فاطمة بالوضع الحالي. يسافر مختار نفسه، مع باك سابتو (جده) ووالده بالتبني أحمد، أولاً إلى جزيرة ميلاده؛ ليطلب – من أجل الميراث – شهادة من رئيس القرية إلى دار الأيتام القصّر تفيد بأنه ابن ناصر. ومن ثم ينضمون إلى منصور.

منصور، الذي سافر قبلهم، يقابل بعد وصوله خادمًا سابقًا للعائلة، يخبره بأن فاطمة مريضة جداً، وأن يوسف احتُجزَ بناءً على طلب أحد المُقرضين؛ لأنه لم يعد قادراً على سداد ديونه، ويتصرف منذ دخوله السجن كطفل خائف وحزين.

تنتهي المسرحية بعودة مختار ورفاقه الذين ما زالوا متأثرين. في أثناء عودتهم إلى المنزل، يلمحون على مسافة ما موكبًا من الناس، يرددون "**لا إله إلا الله**". تبيّن أنه جنازة. إنه مشهد مرعب، وحين تمر بهم مجموعة من المشيّعين الحزانى، تقشعر أبدانهم. وعلى مسافة ما خلف الجنازة، يسير شخص متأثر، شارد الذهن، منكّس الجبين. وعندما يراهم يقترب منهم، ويحاول أن يقول شيئًا، لكنه يتلعثم. تبين لهم أنه منصور.

"**ما الذي يجري...؟ [...] لمن هذا الرفات؟**" يسأل والد مختار [بالتبني]، ملهوفًا.

"**أين يوسف؟ وكيف حال فاطمة؟ ولماذا أنت هنا؟**"، يضيف مختار [...] مستعجلاً.

يتلعثم منصور ببضع كلمات، فيصرخ مختار عاليًا:

"**ماذا، يا صديقي؟... أين يوسف؟ وفاطمة... هل هي بخير؟**"

"**مختار .. عمي أحمد**"، **يجيب منصور باكيًا [...]** "**لقد.. جُنَّ .. يوسف**".

"**مجنون...؟؟؟**"، يرد مختار والسيد أحمد بهلع ... "**وفاطمة؟**" "**أين هي؟**" "**أين؟**"، يسأل مختار بقلق وإلحاح.

"**فاطمة .. فاطمة؟**"، يقول منصور منتحبًا: "**فاطمة؟ هذا... هذا... هذا جسدها. فاطمة... ماتت**"[7].

مظالم وإحباطات:

كما ذكرنا، لم يكن المؤلف مهتمًا بتقديم عرض رائع، وأمسية ممتعة للجمهور فقط. بل أراد بافقيه أيضًا أن يريهم ذواتهم في المرآة، ليفكروا في وضعهم الخاص، ويُحدِثوا التغيير. لهذا أُثيرت في المسرحية معضلات المجتمع العربي، وجرى تضخيمُها والسخرية منها وانتقادها.

كان التعليم أحد الموضوعات التي ظلت تثير الجدل. فعادةً ما كان أولاد عرب إندونيسيا يلتحقون بالمدارس العربية التقليدية، حيث يتم التدريس باللغة العربية أو الملايوية أو باللغتين معًا. ونشأت منذ مطلع القرن العشرين خلافات خطيرة بين أولئك الذين أرادوا أن تواكب المناهج الدراسية متطلبات العصر، على سبيل المثال من خلال التعليم في فصول دراسية، وإدخال مواد مثل الرياضيات، وأولئك الذين أرادوا أن يبقى الحال على ما هو عليه. وكان للجمعيات الأهلية العربية مثل الرابطة والإرشاد مدارسها الخاصة، التي تتنافس فيما بينها من خلال التعليم. فضلاً عن أن الأحياء العربية كانت تعج بالمدارس الخاصة الصغيرة، التي لا يزيد عدد الطلاب فيها عن بضع عشرات. وإذا لم ترُقْ لأولياء الأمور سياسة مدرسة معينة، أو كان بينهم وبين المؤسس أو الراعي إشكال تجاري أو خلاف ديني، فإنهم يرسلون أطفالهم إلى مدرسة أخرى. فالصحفي عبد الرحمن باسويدان، على سبيل المثال، التحق بأربع مدارس ابتدائية. بدأ في المدرسة الخيرية

في سورابايا، التي أسسها العرب المحليون. وبعد شجار بين أخيه الأكبر وقبيلي بارز، أُرسِل إلى المعارف. وفي وقت لاحق أمضى بعض الوقت في مدرسة الإرشاد في باتافيا، حيث كان يدرّس السوداني أحمد السركتي ذو التوجه العصري، وكذلك في مدرسة حضرموت في سورابايا حيث كان محمد بن هاشم، رئيس تحرير البشير – أول مجلة عربية في جزر الهند الشرقية الهولندية – مسؤولاً. وفي مدرسة الإرشاد تعلم أن الناس يتمتعون بحقوق متساوية، وأن التراتبية الطبقية القائمة في حضرموت تُعدُّ مفارقة تاريخية. وفي المدرسة الموالية لسادة حضرموت سمع العكس تماماً[8]، وظلت هذه الصعوبات التعليمية قائمة حتى النصف الثاني من الثلاثينيات، كما يتضح من تجارب مختار المستاء مراراً وتكراراً من مجلس إدارة مدرسته، المكوّن من أعضاء ذوي نفوذ في المجتمع العربي المحلي، لكنْ عديمي الخبرة في مجال التعليم، وكثيراً ما يُجْرُونَ تغييرات في برنامج المدرسة، ويتدخلون في طرائق التدريس، ويستبدلون كتاباً مقرراً بآخر في اليوم التالي. ويتدخل أعضاء مجلس الإدارة بشكل فردي في أثناء الحصص الدراسية؛ للتحقق مما إذا كان المعلّمون يلتزمون بما اتُّفِقَ عليه، أو لفرض وجهة نظرهم الخاصة؛ باعتبارها وجهة نظر صائبة. ولأولياء الأمور أيضاً التدخل في كل شيء، ولا يؤخذ في الاعتبار تأثير كل هذه الإرشادات المتضاربة على الطلاب. وبحسب مختار، فالبرنامج يحتوي أيضاً على عدد قليل جداً من المواد، التي تمكّن الطلاب من اللحاق بركب العالم. وهو ينتقد تحديداً التركيزَ الأحاديَّ الجانب على تعلم الكلام أمام الجمهور، حيث يكون الشكل أكثر أهمية من المضمون.


مدرسة حضرموت في سورابايا

في الواقع، يتم تأهيل الأطفال لكي يصبحوا آلات ناطقة: "**إنهم يتعلمون إلقاء الخطب العصماء، دون أن يعوا ما يقولونه بالفعل**"[9] وفي رأيه، فإنهم يتلقّون أيضاً صورة مشوَّهة عن الواقع الاجتماعي، من خلال التركيز الأحادي والجامد على حضرموت. إذ يُفتتح اليوم الدراسي، كل صباح، بنشيد حضرموت يا بلادي، الذي تقول سطوره الأولى: "**حضرموت يا بلادي أنت رمز العظمة، كل من يأتي إليك غازياً يموت**[10]". ومع ذلك، فجميع الطلاب وُلِدوا في إندونيسيا، ولديهم قواسم مشتركة مع الإندونيسيين أكثر من سكان جنوب شبه الجزيرة العربية. فلا جدوى من تربيتهم على تقليد لا ناقة لهم فيه ولا جمل.

تحتوي المسرحية أيضاً على تعريض بنمط حياة الشبان العرب من الأوساط الثرية وعقلياتهم، متمثلاً في شخص يوسف. إنهم يعيشون عالةً على أهاليهم، ويُمضُون أوقاتهم خاملين. يسمِّيهم والد فاطمة "**حثالة العالم، وُلِدوا بملابس جميلة، لكنما دواخلهم ملأى بالقروح**"[11]. وعلى الرغم من أنهم يتمتعون بمكانة عالية، فهُم يفتقرون إلى الدماثة والشعور بالمسؤولية. إنهم كسالى ومتغطرسون ويشعرون بأنهم أكبر من أن يشمِّروا عن سواعدهم. إنهم يفتقرون إلى قوة الإرادة، والمهارات الاجتماعية؛ لبناء حياة مهنية ناجحة، كتُجَّارٍ

33
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



تجار حضارم في جاوة، 1870م

أو رجال أعمال. ولكن حتى بين الشبان ذوي الخلفيات الفقيرة، وفقاً لمنصور، غالباً ما تكون أخلاقيات العمل التي ميزت الجيل الأول من المهاجرين غائبة. حتى مختار؛ إذ كان عليه أن يتقبَّل بلا اعتراض عندما اقترح منصور، بعد استقالته، أن يبدأ حياته تاجراً متجوِّلاً، شعر في البداية بالخجل، وقال إنه غير معتاد على البيع والشراء. لكنَّ منصوراً يرفض بغضب هذا "**الخجل المصطنع**"، ويرى أن الأمر يمثل مشكلة لجميع العرب الإندونيسيين: "**إنهم يفضّلون انتظار الأقدار بلا حراك [...] حتى يُعرَض عليهم عملٌ مهم**"، فإن لم يحصلوا في نهاية المطاف على عمل ذي شأن، فإنهم لا يريدون الانحدار إلى أدنى مستوى. كم كان سلوك الجيل الأول من المهاجرين العرب الذين وصلوا إلى جزر الهند مختلفاً! لقد جاؤوا فقراء، وعملوا بجد، وكانوا راضين "**بربح سنت أو سنتين**،" وبفضل إصرارهم وجَلَدهم تمكَّنوا من شق طريقهم[12].

هذا الاختلاف في العقلية بين المهاجرين الجدد والقدامَى، بين التوتوك والمولّدين، تمت مناقشته أيضاً من قبل مؤلّفين آخرين. وخصص له باسويدان مقالاً كاملاً في العدد الأول من مجلة ماتاهري عام 1934م[13]. وعزا ذلك إلى اختلاف سمات الفئتين نفسياً واجتماعياً. فقد نشأ أولئك الذين وُلدوا في حضرموت في بيئة فقيرة حيث كان العنف بين القبائل والأسر، وحيث لم يكن للكياسة والتهذيب وقتٌ ولا مجال. فالحياة في بلادهم في جنوب شبه الجزيرة العربية كانت قاسية و"بدائية"، وكان قاطنوها أشدّاء، مقتصدين، وأُولي بأس شديد – وهي السمات التي ظل هؤلاء الوافدون الجدد متمسكين بها في البيئات الجديدة التي استقروا فيها. وكم كان وضع عرب إندونيسيا مختلفاً في إندونيسيا ما قبل الحرب، حيث كانت الجماعات العرقية والقبائل والأسر تعيش جنباً إلى جنب بسلام. ولم تكن الرجولة والحزم والشجاعة من الصفات المطلوبة بشكل مباشر في بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، ونتيجة لذلك لم يتم نقلها من الأمهات الإندونيسيات أو العربيات الإندونيسيات إلى أبنائهن.

وفقاً لباسويدان، لم يكن من الصعب بناء حياة في المستعمرة. ومقارنةً بحضرموت، كان في جزر الهند حرفياً "**ما يكفي من الماء لإرواء العطش، وما يكفي من الغذاء لئلا يموتوا جوعاً**"[14] ولم تكن هناك حاجة أيضاً إلى أن تكون مُكدّاً وجشعاً ومقتصداً على الدوام. لذلك رأى أن المولّدين، على عكس التوتوك، أقل همّاً وأسلس في المعاشرة. فقد حاولوا الجمع بين ممارسة التجارة والاستمتاع، معتمدين فكرة "**عش يومك**".

قدّم باسويدان هذه الصورة المبالغ فيها إلى حد ما عن عرب إندونيسيا؛ ليوضح أنه آن الأوان للتخلص من نير هيمنة عرب التوتوك. وتوقع أنهم، بعد تحررهم من آمال القادمين الجدد وإخفاقاتهم، سيصبحون أكثر استقلالية ومغامرة. واتخذ بافقيه موقفاً أكثر تحفّظاً في "**فاطمة**"؛ إذ رأى أن الشبان يذهبون بعيداً في الاتجاه الآخر، ودعا إلى الحفاظ على صفات التوتوك الحميدة.

ينتقد بافقيه في مسرحيته أيضًا عادة الاقتران "من أجل المتعة البحتة"، زيجةً تلو أخرى، التي لم تختفِ تمامًا في تلك السنوات[15]، لاسيما أن التجار العرب الشبان الذي يسافرون حول الأرخبيل غالبًا ما كان المرء منهم يستأجر منزلاً لمدة محددة في موقع استراتيجي، ويتزوج بامرأة محليَّة. ومن هذا الموقع يجوبون المناطق النائية بحثًا عن العملاء، وعندما ينتقلون بعد عدة أشهر أو سنوات، عادةً ما تُنبَذ الزوجة الشابة، وتُستبدَل بزوجة جديدة في المكان التالي. ولا يُبقون إلا على الزوجات اللائي أُغرموا بهن فقط. فما لم يكن في عقدهم أكثر من أربع زوجات، فالأمر متوافق رسميًا مع أحكام الشريعة الإسلامية[16]، وليس من النادر أن يولد من هذه العلاقات المؤقتة أطفال، لكن آباءهم نادراً ما يهتمون بهم. هذا إذا كان يعرفون عنهم أصلاً. ولقد عاش ناصر أيضًا بهذه الطريقة في شبابه. وكانت له "في كل منطقة، وفي كل قرية، محبوبةٌ، وأنجب أكثر من 30 طفلاً مسجَّلاً"[17] منهم ولدٌ ظل يبحث عنه حتى وفاته. ويبدو أن معاملات الزواج المقيتة هذه كانت تحدث بشكل رئيس في المناطق المعزولة والجزر النائية. فقد أشار الحاكم الإداري الهولندي بيرترام يوهانس أوتو شريكهْ إلى أنه في سومينيب، الواقعة في أقصى شرق جزيرة مادويرا، يجري بعض العرب أحيانًا ما بين 10 إلى 12 زيجة سنويًا. وكانوا يفضلون الفتيات الصغيرات، القاصرات، ممن هم على يقين من أنهن ما زلن عذراوات. وكان مساعد مدير منطقة في الناحية يبحث عنهن بحسب طلبهم. وكان الآباء أحيانًا يعرضون بناتهم، والمال أيضًا (كمَهْر)؛ إذ كان إنجاب طفل من رجل عربي، ولا سيما سيد، يحظى بتقدير عالٍ. وكان عدد من سكان مادوري على استعداد لفعل أي شيء من أجل ذلك، حتى أن "تُعزَل ابنتهم بالطريقة العربية" ثم يُتبرأ منها، بعد شهر، و"تُلفظ"[18].

ومن أجمل المشاهد بلا شك ذلك الذي يزور فيه يوسف معلامة المرابي عمّي عبود، برفقة صديقيه، لبيع ميراث ابن

"ينتقد حسين بافقيه في مسرحيته أيضًا عادة الاقتران "من أجل المتعة البحتة"، زيجةً تلو أخرى، التي لم تختفِ تمامًا في تلك السنوات، لاسيما أن التجار العرب الشبان الذي يسافرون حول الأرخبيل غالبًا ما كان المرء منهم يستأجر منزلًا لمدة محددة في موقع استراتيجي، ويتزوج بامرأة محليَّة"

ناصر المجهول. فهو يفضح، بطريقة إبداعية، نفاق المرابين العرب، الذي يعاني منه أفراد مجتمعهم وفئات السكان المحلية. يدخل الثلاثة في اللحظة التي يجلس فيها الأطفال على سجادة، يتلون آيات قرآنية بصوت رخيم. وبعد أن يخلعوا أحذيتهم، ينضمون إلى المعلم الذي يقطع الدرس بابتسامة وديّة؛ للتفاوض بشأن القرض. تجري المفاوضات في البداية بأدب، لكن سَرْعَانَ ما يغضب معلم الدين بسبب المبلغ الذي يريدونه منه، ويعتقد أنه لا يتناسب مع المخاطرة التي يهرول إليها؛ فيتَّهمهم بأنهم يعبثون، ويطلب منهم البحث عن شخص آخر، ويأمر الأطفال بمواصلة تلاوة الآية التالية. يبدو أنها الآية الملائمة في سورة البقرة: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ـ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[19] وفي حين كان معلم القرآن يرفع صوته مراراً وتكراراً، مشيراً إلى أنه يجب عليهم أن يقولوا

"الربّا" بدلاً من "الرُّبا"[20] كان يوسف ورفيقاه يبحثون مجدداً عن التقارب. يُسكت المعلم الأطفال مرة أخرى، وبعد أخذ وردٍّ، يصل الطرفان إلى اتفاق، ينبغي تصديقه لدى كاتب العدل. وفي نهاية المشهد يفاوض سالم، بشكل منفصل، على عمولة يرى أن من حقه الحصول عليها كوسيط.

كان الرِّبا شراً مستطيراً بين العرب، يَصِمُ المجتمع التجاري كله. وقد حاولت قيادات المجتمع مكافحة هذه الممارسة السيئة من خلال المحاضرات في الأوساط العربية، والأحاديث الإذاعية، والمقالات الصحفية، لكنها ظلت واحدة من أهم مصادر الدخل مدةً طويلة[21] وكان العرب، ولاسيما التوتوك، رجال أعمال دُهَاة، لا يتورعون عن تحطيم العميل، فكانوا يضغطون أحياناً على من لا يستطيع سداد القرض حتى يستحوذ المقرض على المنزل ومحتوياته. ولم يكن أولئك العرب يتمتعون أيضاً بسمعة طيبة باعتبارهم "ملاك الأحياء الفقيرة". ومع ذلك، فقد كان للأثرياء منهم حَقاً وضعٌ لا يمكن المساس به تقريباً. لقد تمكنوا من ذرِّ الرماد في العيون، من خلال تقديم التبرُّعات للجمعيات العربية، والعمل لأغراض دينية. وتسلِّط المسرحية الضوء باستمرار على هذا المزيج من النفاق والجشع.

> "من أجمل المشاهد بلا شك ذلك الذي يزور فيه يوسف معلامة المرابي عمّي عبود، برفقة صديقيه، لبيع ميراث ابن ناصر المجهول. فهو يفضح، بطريقة إبداعية، نفاق المرابين العرب، الذي يعاني منه أفراد مجتمعهم وفئات السكان المحلية"

في لحظة ما يتنهَّد سالم قائلاً لصديقه عمر: ليس من الصعب أن تتظاهر بأنك ورِعٌ وتقي إذا كان لديك ما يكفي من المال، لكن الفقراء، مثلهم، سيظلون دائماً أشراراً في أعين الآخرين، "حتى لو زخرفْنا قبة السماء بأكملها". ووفقاً له، ليس للناس من مكانة بلا رؤوس أموال أو ممتلكات، ولا يمكن أن يُعدُّوا متدينين "إنْ تَلَوْنا القرآن قيلَ عنَّا منافقون، وإن صلَّينا قيل تابُوا، وإن جلسْنا في المسجد قيل مُراؤون"[22].

الاستجابة:

حقق عرض مسرحية "فاطمة" الأول نجاحاً باهراً في مؤتمر اتحاد عرب إندونيسيا الثالث في سيمارانج؛ إذ تفاعل الجمهور – الأعضاء من جميع أنحاء البلاد – معه بحماس، وأراد عدد من المندوبين عرض المسرحية في فروعهم. ولكن عندما أراد فرع سورابايا عرضها في أغسطس من العام نفسه، طلب وجهاءُ عربٌ في المدينة من جهاز المخابرات السياسية منع العرض، زاعمين أن مضمون "فاطمة" مسيء إلى المجتمع العربي كله في المستعمرة. وكان من المعترضين نقيب العرب المحلي وممثلو الجمعيات العربية الإرشاد والخيرية والرابطة (رغم أن الأخيرة ليس لها فرع في سورابايا). وبعد التشاور بين المعترضين وقسم التحقيقات الجنائية، بقي قادة الإرشاد والرابطة فقط على موقفهم. لم يكن لدى المخابرات أي اعتراض على مضمون المسرحية، لكنها كانت تخشى أن تمتد الاضطرابات إلى أحياء عربية أخرى. ولذا شُكِّلت لجنة وساطة من أعضاء يمثلون مختلف الأطراف؛ لإزالة سوء الفهم، وعندئذٍ فقط سوف يكون العرض ممكناً. لم يكن أمام الفرع المحلي من خيارٍ، حينئذ، سوى إلغاء العرض المزمَع، وتخييب أمل مَن اشتروا التذاكر بالفعل[23] ومع ذلك، فقد حدث، على أي حال، ما سعت السلطات للحيلولة دونه، إذ امتد لسان اللهب إلى مدن أخرى، في لحظة صار سكان المستعمرة العرب في حالة من الهيجان على "فاطمة"، ما يعيد إلى الأذهان صراعات سابقة، كتلك التي دارت عن امتيازات

السادة، وعن تصنيف الحكومة الاستعمارية العربَ بأنهم شرقيون أجانب، ليسوا كالأوروبيين. وكما هو الحال دائمًا، لم تكن هناك ضرورة إلى المزيد؛ كي تتوتر العلاقات في المجتمع العربي الصغير نسبيًا[24] وكان العرب التوتوك هم الذين عارضوا عرض "فاطمة". وتركزت انتقاداتهم بشكل أساسي على مشاهد الرِّبا، وتأثير المحسنين على مجالس إدارة المدارس، وتمثيل أسلوب حياة الشبان. لقد رأوا أن الصورة التي أثارتها المسرحية لا تتسق مع الواقع، وتمسّ شرفهم وسمعتهم الطيبة، ولم يستوعبوا ما يدعو إلى نشر الغسيل على الملأ. وألمح البعض إلى أن في المسرحية آراء مخالفة للإسلام، لكنها نادراً ما تُحدَّد. وكان رد فعل عرب إندونيسيا منقسمًا؛ إذ شاطر كثيرون، من كبار السن، التوتوكَ الرأيَ. ولم يكن للشبان عمومًا أيُّ إشكال مع المضمون، لكن لم يجرؤْ أحد على الإفصاح عن ذلك. فقد كان جزء كبير من عرب إندونيسيا يعتمدون اقتصاديًا على التوتوك، ويخشون الطرد. ولم يعد الاحتجاج، كما بات واضحًا، ضد "فاطمة" فحسب، بل ضد اتحاد عرب إندونيسيا أيضًا. فالحزب منذ تأسيسه في عام 1934م، كان يعارض هيمنة التوتوك الشاملة في الأوساط العربية.

ورغم أن هؤلاء هم الأقلُّون عدداً، فإنَّ لهم تأثيراً غير متناسب في الحياة الاقتصادية والسياسية والتعليمية والثقافية. وكانوا في الحركات والمنظمات، كالخيرية والإرشاد والرابطة، هم **"الأكثر بروزاً، ويشغلون المناصب القيادية [...]، ويحددون الاتجاهات، ويتخذون القرارات، ويمرِّرون التغييرات"**[25]. ومنذ حملة التحرر التي شنَّها اتحاد عرب إندونيسيا، ظهرت تصدعات في هذا النفوذ، فأنحوا عليه باللائمة. وقد هيأت المسرحية فرصة للثأر منه وكسب الجولة. ومثلما كان سابقًا، حاول التوتوك تحقيق هدفهم عبر التعليم، بالطريقة المغايرة بالضبط لمضمون "فاطمة". في الواقع لم يكن غالب التوتوك على معرفة بمضمون المسرحية الدقيق. ولم يتمكن أغلبهم حتى من قراءة النص، واعتمدوا على الشائعات التي كانت متداولة، وزادت الطين بِلّة. عمومًا، وقف كل طرف منهما في وجه الآخر، ودقت الخصومة إسفينًا بين الأهل والجيران والأصدقاء والمعارف.

كاد الاحتفال السنوي بيوم الوعي (يوم هاري كيسادارن) في باتافيا – الذي يحيي فيه مناصرو اتحاد عرب إندونيسيا ذكرى اليوم الذي أعربوا فيه علنًا عن هويتهم الإندونيسية – أن يخرج عن السيطرة، بوجود شبان مسلَّحين مناهضين للحزب. وعلى الرغم من أنه لم يتطور في نهاية المطاف إلى عراك، فإنَّ المشاعر غدت متحفِّزة إلى درجة أن عرض "فاطمة" لم يعد، من بَعْدُ، ممكنًا في أماكن أخرى غير سورابايا.

فوجئ الاتحاد بالضجة التي أحدثتْها المسرحية، لكنها لم تُثْنِه. بل، على العكس، شنَّ حملةً مضادَّةً في عدد من المجلات، مثل مجلة إنصاف، وأليران بارو. وأشار باسويدان في "أليران بارو" إلى أن المسرحية الأولى "قربان عادات" التي عُرضت في مؤتمر الاتحاد الثاني، أحدثت هي الأخرى ضجةً، غير أنها لا تُقارَن بالضجَّة المثارة حول "فاطمة"[26]، وآخذ التوتوك بجهلهم فنَّ المسرح وقصورهم عن تقدير مزاياه. وأقرَّ بأن المسرحية سلّطت الضوء على الانتهاكات في المجتمع العربي، لكنه نفى أن تكون موجهة ضد التوتوك، رغم أنهم غالبًا ما كانوا يعيقون التغييرات. إلى جانب ذلك، أشار إلى أن ثمة دلائل متزايدة من أنحاء البلاد كافة على أن أعضاء المنظمات العربية ينأون بأنفسهم عن المناصب الحكومية الرسمية؛ لأنها تتعارض مع مصالح المجتمع العربي. في واقع الأمر سعت الأطراف كلُّها من أجل تنمية المجتمع العربي، ولم يكن من المفيد النأيُ عنها لأسباب تنافسية. وآخذ كتابٌ آخرون التوتوك بتضخيم الذات والافتقار إلى النقد الذاتي، وأنهم يرون كل شيء من منظور عربي، وكل ما يشذ عنه فهو مرفوض.

وحث اتحادُ عرب إندونيسيا على التزام الهدوء، ودعا إلى دراسة نص المسرحية برويّة. عندئذٍ، سيتضح أنَّ منتقديها

كانوا مخطئين، وأن من شأن عدم عرض "فاطمة" بل حظرها، كما زعموا، أن يؤدي إلى اضطرابات مستمرة في دائرتهم.

في منتصف عام 1939م حاول فرع اتحاد عرب إندونيسيا في تشيريبون عرض المسرحية، فَدُقَّ ناقوس الخطر مجدَّداً من سورابايا (800 كيلومتر شرقًا)، بأن أي عرض محتمل سيواجهه المناوئون بـ"المسدسات والسيوف، والمناجل، والخناجر" [27]؛ فأُلغيَ عرض المسرحية للمرة الثانية. كما أن خطط عرضها في باتافيا لاحقًا من ذلك العام لم تُسفِرْ عن شيء مبدئيًا. حتى أن كبار التوتوك اتصلوا بالقنصل البريطاني في العاصمة لإقناعه بتقديم اعتراض إلى الحكومة الهولندية، باسم بريطانيا العظمى، اعتقاداً منهم أن بادرةً كهذه من حقهم، باعتبارهم من أهالي حضرموت، التي كانت تابعة للإمبراطورية البريطانية آنذاك. غير أن القنصل أبلغهم بأن الأمر شأن داخلي، كما يرى.

في غضون ذلك، بدأ عدد من القادة والمثقفين ينأون بأنفسهم، عن محاولات منع عرض "فاطمة". فقد أدركوا أن المعضلات المعالَجة في المسرحية جديرة باهتمام الجميع، وينبغي، على أيّ حال، أن تكون موضوعًا للنقاش. ونفى كلٌّ من العرقوبي نقيب العرب في باتافيا، وباجري عضو مجلس إدارة جمعية الإرشاد علنًا أنهما تحدَّثا سلبيًا عن المسرحية، وزعما أنهما من ضحايا الشائعات، ولا يسعيان إلى الفتنة. وأفتى أحمد السركتي، الزعيم الإسلامي التقدمي المذكور آنفًا، ناصحًا التوتوك، أمام مؤتمر إرشادي بـ"**ألاَّ يَشغَبوا في اتحاد عرب إندونيسيا، فما هم إلا عيالهم**"[28]، هذه وغيرها من التصريحات المحفِّزة منحت الاتحاد الدفعة التي كان يحتاجها.

في أوائل أكتوبر، بعد مرور أكثر من عام على محاولة سورابايا، عُرضت "فاطمة" في حديقة برينسنبارك في باتافيا تحت حراسة مشدَّدة من الشرطة بحضور السلطات المحلية، وأعضاء إندونيسيين وعرب في مجلس الشعب، وممثلي التجمعات

> "حظيت "فاطمة" بشعبية واسعة بين عرب إندونيسيا، لدرجة أن الشركات والمحلات التجارية والمنتجات كالسمن والعطور وكريم الشعر سُمِّيَتْ باسمها. وأطلق أحد أعضاء اتحاد عرب إندونيسيا البارزين اسمها على الفيلاّ الجديدة، التي يملكها في تريتيس بالقرب من مالانج. وحقق المطرب الإندونيسي العربي الشهير عبدالله نجاحًا كبيرًا بأغنية خاصة عن المرابين، أُعِدَّتْ خصيصاً للمسرحية"

الوطنية، وأعضاء من الجمعيات العربية، بينهم عدد من التوتوك وعشرات الصحفيين. حقَّق العرض المسرحي نجاحًا كبيراً، وتأثر به المناوئون، الذين لم يقرؤوا النص شخصيًا من قبل، واعتذروا عن مناوأتهم. لقد أدركوا أنهم كانوا متأثرين ببلبلة مثيري الشغب في دائرتهم الخاصة. وشدَّد محمد العطاس، المرشَّح لعضوية مجلس الشعب، بقوة على أن يكون هناك مجال للنقد[29]. وعاد ممثلو الرابطة إلى موقفهم الطبيعي وتحدَّثوا بصوت عالٍ عن "السلام" بدلاً من "الحرب"[30]. وفي الشهر نفسه عُرضت المسرحية في سولو وبيكالونجان، حيث قوبلت بالحفاوة نفسها. ومع ذلك، ظلت سورابايا منطقة محرّمة مؤقتًا.

وكانت ردود فعل الصحافة مشجعة أيضًا؛ إذ رأت مجلة "كينغ بو" الإندو- صينية أن "فاطمة" رسم دقيق لأخلاق العرب وعاداتهم في إندونيسيا، بما في ذلك عيوبهم، التي تعاني منها كل جماعة سكانية، على أي حال. ونوّهت بالرسائل

التي تضمَّنتْها المسرحية لتعزيز التحرر، ومواجهة الانتهاكات الداخلية، ودعوتها عربَ إندونيسيا إلى اعتبار إندونيسيا وطنهم. وأعرب بوارتا أومون عن أسفه لتخصيص عرض وحيد فقط لكل مكان. فالمسرحية جديرة بالعرض مرات للجمهور. ولم يرَ تياتانج تيمور، الذي كان دائم العداء للحزب الإسلامي التقدمي، أيَّ سبب للنظر إلى "فاطمة" بوصفها إساءةً للجماعة العربية، "**على الرغم من أنها تحتوي على تشريح حاد للانتهاكات في المجتمع العربي، فإنَّ معالجتها تتم بطريقة لائقة ومحترمة وملائمة، ويتم التعبير عنها بحكمة**"[31]، بل إن الناقد الفني بارادا هارابان نوّهَ بوجهات النظر المعبَّر عنها في المسرحية، على الرغم من أنه لا يتفق معها جميعًا. وأشاد، كالصحفيين الآخرين، بالحبكة والمشهد والإخراج، فضلاً عن أداء الممثلين الذي لم يكن أدنى مستوى من أداء المحترفين. ووفقًا له، مازال بإمكان الإندونيسيين الأصليين، الذين يتحدثون اللغة، على ما يبدو، بمستوى أقل من العرب، أن يتعلموا شيئًا من لغة الملايو الجميلة، التي تحدث بها الممثلون على المسرح.

ورأى بيمادانجان أنه من الذكاء الإشارة إلى أن فاطمة كانت حاضرة دائمًا، رغم أنها لم تظهر شخصيًا. حتى لقد ذهب إلى أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يسمح اتحاد عرب إندونيسيا فعليًا للمرأة بالتمثيل على الخشبة، وهو أمر كان محظوراً تمامًا حتى ذلك الحين[32].

حظيت "فاطمة" بشعبية واسعة بين عرب إندونيسيا، لدرجة أن الشركات والمحلات التجارية والمنتجات كالسمن والعطور وكريم الشعر سُمِّيَتْ باسمها. وأطلق أحد أعضاء اتحاد عرب إندونيسيا البارزين اسمها على الفيلاّ الجديدة، التي يملكها في تريتيس بالقرب من مالانج. وحقق المطرب الإندونيسي العربي الشهير عبد الله نجاحًا كبيراً بأغنية خاصة عن المرابين، أُعِدَّتْ خصيصًا للمسرحية[33]، وأطلقت دار للأيتام في باتافيا على إحدى اللقيطات اسم فاطمة، وأُرسلت إليها الألعاب والملابس المحلية الصنع من جميع أنحاء البلاد[34]. لقد أصبحت فاطمة رمزاً لعملية تحرير العرب الإندونيسيين.

الخاتمة:

أدت مسرحية "فاطمة" دوراً مهمًا في إنهاء عزلة العرب النسبية في جزر الهند الشرقية الهولندية. وما يزال السكان ذوو الأصل العربي المولودون قبل الحرب العالمية الثانية، والذين التقيت بهم على مر الزمن يتذكرون المسرحية، وكثيراً ما سمع عنها جيل الشباب.

من خلال معالجة المشاكل الداخلية علنًا - على خشبة المسرح - تم الترويج لتحرر الأقلية المنعزلة، بطريقة فريدة في نوعها. وكان مضمون المسرحية يتمحور بشكل رئيس حول الانقسامات بين التقليديين والتقدميين، وهو الانقسام الذي يوازي إلى حد كبير الانقسام بين العرب التوتوك (الولايتي) وعرب إندونيسيا المولدين. رأى التوتوك في "فاطمة" تعدِّيًا على مكانتهم المؤثرة في المجتمع العربي، وتقويضًا للأخلاق والعادات التي نشأوا عليها في حضرموت. من ناحية أخرى، رأى عرب إندونيسيا في المسرحية توكيداً لوجهة النظر القائلة إن أسلوب حياة الوافدين الجدد لا يتوافق مع أسلوب حياة البلد الذي ولدوا فيه. لقد بصَّرتْهم "فاطمة" بتغير موقفهم في جزر الهند، وشجَّعهم مضمونُها على تحرير أنفسهم من الهيمنة الشاملة للتوتوك ذوي التوجه المحافظ، والدفاع أكثر عن مصالحهم الخاصة.

ذات مرة، أخبرني أسد شهاب، وهو صحفي إندونيسي عربي بارز، شهد شخصيًا الضجَّة المحيطة بـ "فاطمة" أن الدراما الفنية حالتْ دون اندلاع دراما اجتماعية. وعلى الرغم مما قد يبدو من مبالغة في قوله، فقد أصاب كبد الحقيقة. فلقد أسهمت المسرحية بلا شك في الوعي بأن عرب إندونيسيا غير متناغمين مع مجتمع يتطور بسرعة مطّردة، وكان عليهم بذل جهد للتكيف.

*مصدر الدراسة:

Tijdschrift Indische Letteren, Jaargang 25, (2010), Fatimah Een controversieel Indo-Arabisch toneelstuk, Huub de Jonge, p.20-38

**هوب دي يونج: عالم أنثروبولوجيا اقتصادية في جامعة رادبـــود في نايميخن الهولندية. مجالات اهتمامه الرئيسية الثقافة والاقتصاد: أنماط الحياة والهوية الاجتماعية والثقافية؛ وريادة الأعمال. وقد نشر عدة دراسات عن الأقلية العربية الإندونيسية في إندونيسيا. وهو محرر مشارك (مع نيكو كابتين) لكتاب تجاوز الحدود: العرب والسياسة والتجارة والإسلام في جنوب شرق آسيا،(KITLV 2002)

إحالات:

**هذه الدراسة تحرير هولندي لـــ:

" In the Name of Fatimah: Staging the Emancipation of the Hadhramis in the Netherlands, East Indies"

المنشورة في: Abushouk, A.I. & H.A Ibrahim (eds.), The Hadhrami Diaspora in Southeast Asia. Identity Maintenance or Assimilation? Leiden Brill, 2009, p. 245-262

1- يشير مصطلح totok في هذه الدراسة دائماً إلى العرب الأصليين.

2 - De Jonge 1993

3 - Bafagieh 1938 ، لم أتمكن من العثور على نص (قربان عادات).

4 - فاطمة هو أيضاً اسم بنت النبي محمـــد.

5 - Bafagieh 1938, p.15

6 - المرجع نفسه، ص. 51.

7 - المرجع نفسه، ص. 57

8 - De Jonge 2004, p.380

9 - Bafagieh 1938, p .30.

10 - المرجع نفسه.

11 - Bafagieh 1938, p.15

12 - للاطلاع على هذه الاقتباسات الثلاثة، أنظر : Bafagieh 1938, p.32

13 - أعيد نشره في مجلة الإنصاف Insaf ، أنظر : Baswedan, 1940

14 - Baswedan 1940, p.6

15 - Bafagieh 1938, p.14

16 - تعدد الزوجات كان في البلد المضيف أكثر انتشاراً من حضرموت. أنظر: Van den Berg 1887, p. 41

17 - Bafagieh 1938, p.14

18- أنظر المخطوطة 885 لـــ B.J. O Schrieke ، مجموعة المخطوطات، KITLV، لايدن,

19 - Bafagieh 1938, p.41، والترجمة الهولندية لـــ J.H. Kramers 1965, p. 40

20- RIBA هي كلمة الربا بالعربية.

21- معلومات م. أسد شهاب، جاكرتا. راجع: Maskatie 1938 و A.S. 1941.

22- للاطلاع على كلا الاقتباسين انظر: Bafagieh 1938, p. 23

23- Baswedan 1940, p.21. ذكر لي ياب إركيلنس Jaap Erkelens أن احتجاج الجمعيات تم الاهتمام به في صحيفة Het Vaderland الهولندية 19-08-1938 ربما لأن العطاس، وهو عضو عربي في مجلس الشعب (Volksraad)، اضطر للسفر إلى مدينة التماسيح " krokodillenstad " للتوسط.

24 - De Jonge 1993 en1997

25 - Fataljaum 1938, p18

26 - Baswedan 1938. أنظر: Bafagieh 1940

27 - Bafagieh 1939, p. 2

28 - Bafagieh 1939

29 - Bafagieh 1939, p. 4 .

30 - المرجع نفسه.

31 - Charraat 1939, p. 12

32 - Charraat1940, p. 17.

33 - Abdullah 1940.

34 – أنظر: "فيلّا فاطمة" في: Aliran Baroe 3(1940), 20, p. 20، وعن الطفل اليتيم الذي مات بعد أشـــهر قـــليلة. أنظر: Aliran Baroe 3 (1940), 19, p. 17, 26, 1940) en Aliran Baroe 3 p. 12.

ببليوغرافيا:

• A.S., '"Akalnja kaoem" Linta darat'. In: Aliran Baroe 4 (1941), 32, p. 16-17.

• A.S., '"Linta darat" di pidatoekan di zender P.P.R.K.' In: Aliran Baroe 4 (1941), 32, p. 17.

•Abdullah, S., 'Lintah darat! Oh Riba....!' In: Aliran Baroe 3 (1940), 1, p. 14.

•Bafagih, Hoesin, Toneel tjerita: 'Fatimah'. Soerabaja, Agil's, 1938.

• Bafagieh, Hoesin, 'Sekeliling toneel Fatimah! Sebelum dan sesoedahnja toneel dimainkan'. In: Aliran Baroe 2 (1939), 15, p. 1-4.

• Bafagieh, Hoesin, '"Korban Adat" Tjerita toneel-uitvoeringjangpertama'. In: Aliran Baroe 3 (1940), 1, p. 5.

• Baswedan, Abdul Rahman, 'Keterangan officieel dari P.B.P.A.I. Kegemparan di sekeliling Toneel Fatimah'. In: Aliran Baroe 1 (1938), 1, p. 21-22.

•Baswedan, Abdul Rahman, 'Peranakan dan totoknja'. In: Insaf 4 (1940), 2/3, p. 8-12.

• Berg, L.C.W. van den, Hadhramout and the Arab Colonies in the Indian Archipelago. Bombay: Government Central Prees, 1887.

• Charraat, '"Fatimah" dalam teropong journalisten'. In: Aliran Baroe 2 (1939), 15, p. 11-15 en 16, p. 13; Aliran Baroe 3 (1940), 1. p. 17-18.

• Fataljaum. 'Sekeliling toneel "Fatimah" Salah Zet'. In: Aliran Baroe 1 (1938), 1, p. 17-20.

• Jonge, Huub de, 'Discord and Solidarity among the Arabs in the Netherlands East Indies, 1900-1942'. In: Indonesia, 55 (1993), p. 73-90.

•Jonge, Huub de, 'Dutch Colonial Policy Pertaining to Hadhrami Immigrants'. In: U. Freitag & W.G. Clarence-Smith (eds.), Hadhrami Traders, Scholars and Statesmen in the Indian Ocean, 1750s-1960s. Leiden: Brill, 1997, p. 94-111.

• Jonge, Huub de, 'Abdul Rahman Baswedan and the Emancipation of the Hadhramis in Indonesia'. In: Asian Journal of Social Science 32 (2004), 3, p. 373-400.

• Kramers, J.H., De Koran. Amsterdam/Brussel, Agon Elsevier, 1965.

• Maskatie, S., 'Habis akal, agama ditarik tarik'. In: Aliran Baroe 1 (1938), 2, p. 37-39.

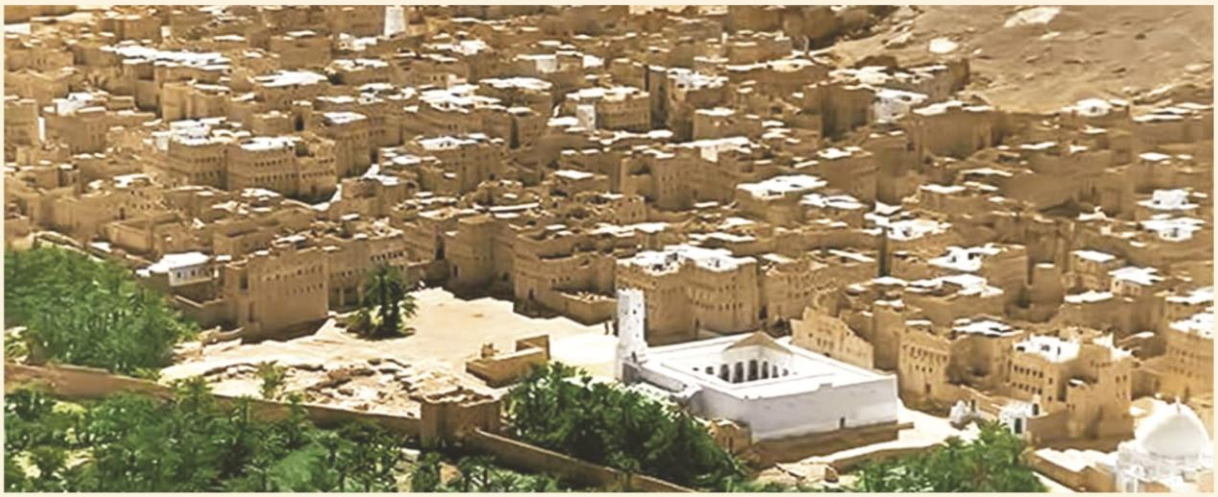
40
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

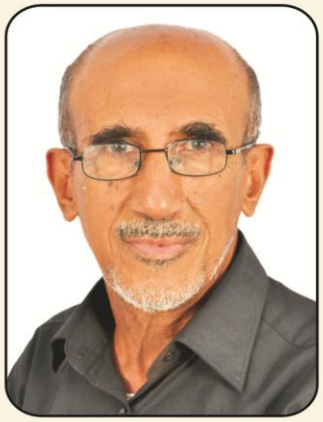
السلام في حضرموت

دبليو. أتش. إنجرامز، أو.بي.إي

(٢ - ٣)

ترجمة: نجيب سعيد باوزير - نورة نجيب باوزير





نجيب سعيد باوزير

وأود هنا أن أقوم بالتعريف عن شخص آخر ممن قدموا عوناً كبيراً، وهو ناصر عبدالله الكثيري. كنت أعرف ناصراً منذ عدة سنوات في زنجبار، حيث جمعت بيننا صداقة وطيدة. ويقول أهل حضرموت إن ناصرا يملك قلباً طيباً ولكن لسانه يوقعه في المتاعب. وعلى أية حال، فقد تورط في مشكلة بعد مغادرتي لزنجبار وتم نفيه لمدة عشرين عاماً. وكان خارج البلاد عند زيارتي الأولى لحضرموت ولم ألتقِ به ثانيةً حتى عام ١٩٣٦م. وعاودنا صداقتنا القديمة، وعندما توطدت درجة من الألفة اقترح أن نذهب إلى بن عبدات، وهو صديق مقرب له، ونستعير ٢٥ من العبيد الأشداء، ونستقل مركباً شراعياً نتجه به إلى زنجبار ونهجم على المكان- وكان ينوي أن يهجم على الشرطة بالتحديد- وأن نرجع إلى حضرموت قبل أن يستيقظوا.

وقد وجدت من الأسلم إحباط هذه الخطة، ولكن مع تطور مخططات السلام أثبت ناصر أنه نصير قوي للقضية، وبالرغم من أنه قد تجاوز الستين من العمر أخذ يجوب الوادي صعوداً وهبوطاً داعياً إلى السلام وقائلاً إن ما أقوله يجب أن يطبّق. وكان شديد الإخلاص والطيبة إلى درجة أنه تخاصم لبعض الوقت مع بن عبدات حتى وافق الأخير على التوقيع؛ لم أر قط في حياتي رجلاً مثل ناصر يتنازعه الإخلاص لصديق قديم والشعور بالواجب نحو بلده ونحوي. لقد بدا عليه التقدم في السن بشكل ملحوظ، ولكن رغم إرهاقه الشديد كان يرفض أن يستريح، ودائماً ما كان متقدماً على جماعتنا

41
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



دبليو. أتش. إنجرامز، أو.بي.إي

السلامية مندفعًا في حملته التي فرضها على نفسه. ويسرني الآن أن أقول إن حكومة زنجبار قد تغاضت عن جرائمه في زنجبار وسمحت له بالعودة جراء عمله الخيّر لحضرموت. وأنا متأكد من أن تلك كانت خطوةً ذكيةً منهم بقدر ما هي سخية، ولا أظن أن ناصرا سيخون الثقة التي وضعت فيه. وأعترف أنني لم أبلغ عن العملية المقترحة من قِبَله!

ونظراً لأن آل بن يماني لم يذعنوا للشروط، سُلمَت لهم إخطارات، يداً بيد، مع بعض السادة ليوضحوها لهم، كما أُرسلَت لهم عن طريق الجو، مفادها أن مناطقهم سوف تقصف في الأول من فبراير. وكانت الإخطارات بالصيغة المعتادة، وفيها إنذار لهم بأنهم إما أن يسلموا قبل ذلك التاريخ أو يغادروا قراهم إلى الوقت الذي يسمح لهم فيه بالرجوع. كما قيل لهم إن آبار المياه في حرو ستكون آمنة من القصف، إذ لم تكن هناك نية لقطع المياه عنهم.

بدأ القصف في ١ فبراير، واستمرت الدعاية في جميع الاتجاهات. بعد مرور يومين أو ثلاثة من القصف قررنا أن نتوقف وأن نمنح آل بن يماني الذين تفرقوا في المناطق فرصةً ليتجمعوا وينظروا في الأمر. وكان حاضراً هناك وقت إلقاء القنابل شخص طيب من الذين ساعدوني كثيراً من أفراد تلك القبيلة يحاول إقناعهم بالدفع. وقال إنه عندما أتت الطائرات كان أهل المنطقة يحتفلون في عدة أعراس وكانوا مقتنعين تماماً بأنه لن يحدث أي شيء باستثناء إلقاء الورق كالمعتاد. ولم تحرك القنابل الدخانية ولا القنابل الصغيرة فيهم ساكناً، وكان إسقاط قنبلة ثقيلة في حقولهم هو الشيء الوحيد الذي أقنعهم بأن الإجراءات كانت جادة، ولاذوا بالفرار.

وقد اقتصر القصف في اليوم الأول على الحقول ولكن مع الأسف تناثرت الشظايا بعيداً وسقط خمسة ضحايا. لا أستطيع أن أصف ما شعرت به عندما سمعت عن أولئك الضحايا في غرفة المجلس الخاصة بالسيد أبي بكر. حاولت التعبير عما شعرت به، ولكن زعيم الجابريين وغيره من القبيليين لم يستوعبوا أنه قد انتابني القلق. وقالوا: "**تبًا لهم! وعلى كل حال ما نفع ذلك الآن؟**" وعندما انفض الاجتماع وغادر الجميع، جاء إليّ السلطان علي ووضع يده على كتفي، وقال: "**لا شيء يستدعي منك القلق. لعلك ترى الأمور على نحو مختلف عما نراها نحن. ماذا تهم أرواح قليلة ما دمنا سننعم جميعًا بالسلام، وعلى أية حال لست أنت المسؤول عن الأمر، ولكن الله هو من أراد ذلك**"، وكان ذلك أفضل عزاء بالنسبة لي.

وصلتني في اليوم نفسه رسالةٌ من بن عبدات يلتمس مني فيها أن أذهب لمقابلته ولو لخمس دقائق. فذهبت إلى الغرفة في عصر ذلك اليوم ووافق على قبول الهدنة وعلى مساعدتي في إقناع آخرين بأن يحذوا حذوه. وفي اليوم التالي (الأحد، ٦ فبراير) حضرتُ الاجتماع الثاني للعشائر الكثيرية في بحيرة. وبحلول هذا الوقت انضم إلى الاجتماع معظم الذين تخلفوا عن الأول ولم يكن هناك معارضون. وقد كان هذا أكثر اجتماع مشجع حضرته على الإطلاق، إذ بدا أن هناك أملاً جديداً حقيقيًا في جميع أنحاء البلاد. في ذلك اليوم وقّع كل من بلفاس وبن عبدات، وحين غادرنا الاجتماع أتانا مبعوثون إلى بحيرة



لجنة أمان حضرموت التي تشكلت سنة ١٣٥٦هـ بعد توقيع الهدنة بين القبائل وفي الصورة السلطان علي بن منصور الكثيري والسلطان علي بن صلاح القعيطي، والسلطان عبدالله بن محسن الكثيري، والزعيم أبي بكر بن شيخ الكاف والصدر سالم بن جعفر بن طالب، والصدر عوض عزان بن عبدات، والمقدم العبد بن علي بن أحمد بن يماني التميمي.

يخبروننا أن آل بن يماني قد جمعوا الغرامة المفروضة عليهم وأنهم مستعدون للمجيء إلى سيئون لدفعها.

بعد اجتماع بحيرة انتشر خبر الهدنة في كل البلاد، وتوافد زعماء الفخائذ والعشائر إلى سيئون يطلبون الهدنات، كما أتت وفود تشكرني أنا والسلطان والسادة على ما تم القيام به. وحتى بدو العوامر من الشمال أتوا يطلبون منا أن نضمهم إلى الهدنة. ثم أقيمت مراسم استسلام آل بن يماني بحضور السلطان علي بن صلاح والرؤساء والوجهاء من جميع أنحاء البلاد. وربما ما سيعطي الصورة الأفضل عن كمية الجموع التي حضرت **"أنَّ كل فنادق المكان كانت مكتظة"**. كان الناس يأتون راجلين وعلى ظهور الجمال والحمير، وكانت تلك أول مرة تشهد سيئون ذلك العدد الكبير من السيارات. وكانت ترتيبات المناسبة بالطبع قد تم تخطيطها من قبل، وبعد أن سُلمت الغرامة قمنا أنا والسلطان بمصافحة آل بن يماني لنثبت أن ما مضى قد مضى، ولكن كانت هناك ثلاثة عناصر لم يتم إعدادها مسبقا، وهي: خطاب السلطان (موجود ضمن ملاحق هذه المقالة) وخطاب عن آل بن يماني، ثم قام منادٍ وأعلن ما يلي: **"كما منح السلطان علي بن منصور بن غالب الكثيري السيد إنجرامز لقب صديق حضرموت، فعلى الجميع أن ينادوه بهذا اللقب."** ثم صاح ثلاث مرات: **"يعيش صديق حضرموت"**.

وفي الأيام القليلة التي تلت ذهبتُ إلى تريم، حيث وَقّع خلال يومين آل تميم كلهم، وفي الأيام اللاحقة قدم آل جابر، وآل بار، والعوامر، وآل الجوهي، وآل المعاري، وآل مدحي. وفي الحقيقة لقد أصبحت عدوى الهدنة أكثر انتشاراً من وباء الحصبة. ولكن الشيء الذي أثر في نفسي أكثر من غيره هو وصول وفد من آل علي كثير، من أقصى الشمال الشرقي، حيث يعيشون بين المهرة. ففي وقت متأخر من الليل جاء الرجال الثلاثة لابسين قمصاناً بنية طويلة، وهو زي غير مألوف في حضرموت، وجثوا على ركبهم وهم يقولون: **"لقد سمعنا عن السلام في هذه المنطقة، فمن فضلكم اجعلوا لنا نصيباً منه"**. وكان هؤلاء هم الذين قُتل منهم أربعة رجال بوحشية على يد العوامر قبل أشهر قليلة، وقد رجعوا إلى بلادهم بعد أن وقعوا على هدنة الثلاث سنوات، كما قدموا لي دعوةً لزيارتهم حتى أنشئ لهم مدارج هبوط في بلادهم، وأعطيهم وعدا بأن المحكمة سوف تحقق في قضيتهم.

في ٢٥ يناير غادر فريق الصلح الذي كان يتكون مني شخصيا ومن السلطان علي بن صلاح، والسادة آل الكاف، ومناصب نهد إلى قعوظة، التي هي عاصمة نهد. كانت نهد وجعدة هما أكبر العوائق المتبقية. ولنهد ماضٍ من الحروب المستمرة لمدة واحد وعشرين عاماً، وعندهم منظومة من الخنادق تشابه في إتقانها منظومة الخنادق في الغرفة. وتبعد المنازل المجاورة عن العشائر المتحاربة الرئيسية بمسافة


أحد قصور بن عبدات

خمس عشرة ياردة فقط، وهناك أشخاص في تلك المنازل لم يغادروها حقيقةً لسنوات عديدة. والجعدة في وادي عمد لديهم ثلاثون ثأراً كبيرا على الأقل، ولكن أهالي المنطقة في مجموعهم وقعوا خلال يومين بالنسبة لنهد روضان، وثلاثة أيام في حريضة بالنسبة للجعدة، ويوم واحد في هينن لبقية نهد. وبعد أن تم ذلك عدنا إلى سيئون، بعد أن أرسلنا نسخة من وثيقة الهدنة إلى دوعن لكي يقوم حكام ذلك الإقليم بأخذ توقيعات القبائل في تلك المنطقة، وكنا قد رتبنا للمناهيل بأن يتم التوقيع عنهم من قبل علي بن صلاح في تريم.

وانهالت علينا الوفود وخطابات الشكر، التي أوردنا منها مقاطع في ملحق خاص. وأعربت النساء عن امتنانهن للأمان الذي أصبح أزواجهن ينعمون به. وعندما وقّع الجعدة في حريضة كان من النساء من أخذن يبكين في الشوارع من الفرحة.

وكان انخفاض مبيعات الأسلحة أحد أبرز المؤشرات اللافتة على السلوك المتغير في البلاد؛ فقد أعيد دون أن يتم بيعه الكثير مما أرسل منها من اليمن، والبنادق التي كانت تبلغ أسعارها قبل مدة قصيرة من ٤٠٠ إلى ٧٠٠ ريال ماريا تيريزا أصبحت تباع الآن بأقل من ١٥٠ ريالاً. والعلامة الأخرى على تغير المزاج كانت المضاربة الخفيفة التي بدأت في الأملاك السكنية، إذ ساد هناك اعتقاد بأن الكثير من الناس سيعودون من جاوة وأن الأسعار سترتفع بشكل كبير. وقد تم تحويل ملكية أحد المنازل الضخمة بمبلغ ١٥ ألف ريال، وأكد لي المشتري أنه لن يواجه صعوبة في أن يبيعه بمئة ألف دولار في المستقبل القريب.

وقد كنت لبعض الوقت متحفزاً للعودة إلى المكلا لأن السلطان صالح كان قد غادر إلى الهند قبل ذلك بمدة، ولكن قبل ذهابي رتبت لأن يبدأ مجلس الصلح في عقد اجتماعات أخرى لتسوية النزاعات اعتباراً من الأول من محرم (١٤ مارس) وأشرت على الأعضاء مُشدِّدا بأن يعجلوا بالشروع في العمل وأن يجتهدوا فيه.

كان آل بن يماني قد وجهوا لنا دعوة أنا وزوجتي لكي ننزل عندهم في رسِب، فغادرنا سيئون إلى المكلا في ٦ مارس، وعلى الطريق في رسب أكرم القوم وفادتنا غاية الإكرام. لقد وصل هؤلاء البدو الآن إلى درجة من حسن الخلق والانصياع ليس لها مثيل. وأظهر لنا المودةَ الرجالُ والنساءُ على السواء ولم يكونوا يضمرون نحونا أية نقمة؛ بل إن (العُقال) وأتباعهم شكرونا على القصف. وقالوا لنا: **"حسنًا فعلتم. لو لم يتم قصفنا لسخر الجميع منا، ولقالوا إننا جبناء وإن الحكومة تكذب، وإننا لم نكن لنتعرض للقصف لو أننا لم ندفع"**. وقد قدموا لنا عشاءً بدائيًا، ولكنهم شملونا بضيافتهم الدافئة، وإنني أرغب حقًا في أن أكون قادراً على مساعدتهم في مسألة إيصال المياه إلى منطقتهم. ولم يكن لديهم من مخزون في حوض المياه الخاص بهم سوى ما يكفي ليوم واحد، وكانوا سيرحلون بما لديهم من زاد في اليوم التالي بحثا عن الماء والكلأ. وطلبنا منهم أن يصطحبونا في جولة في رسِب لنشاهد آثار القصف، ولكننا دُهشنا حين رأينا أن الأضرار التي لحقت بالمنطقة كانت طفيفةً رغم ما وُجِّه من ضربات مباشرة على المنازل. وقد رممت بالطبع بعض الأبنية، ولكن لم يخطر ببالي مطلقًا أن قنابل تزن ٢٥٠ رطلا ستحدث ذلك القدر الضئيل من التخريب في بيوت بنيت من الحجر المرصوص رصا. والمنزل الوحيد الذي ظننت أنه تضرر كثيرا بالقصف تبين لنا أنه مبنى خَرِبٌ من الأصل ولم يُضرب.


قصر بن يماني

في ريدة المعارة في اليوم التالي كانت هناك المزيد من التوقيعات، ولدى وصولنا إلى المعدي حيث تنتهي طريق السيارات سمعت أن علي بن حبريش كان في عرف، التي تستغرق الرحلة إليها من الشحر يومًا واحداً. وفي اليوم العاشر ذهبت لزيارته، وعلى الرغم من أنه الأكثر مهابةً من بين شيوخ البدو في حضرموت، أقنعه المناصب الذين كانوا برفقتي بأن يوقع، كما أقنعوه في الوقت ذاته بأن يمنح هدنة ثلاث سنوات إضافية للقعيطيين الذين كانوا قد أبرموا معه هدنة مدتها سنة واحدة مقابل مبلغ يزيد عن ألفي ريال ماريا تيريزا.

وفي اليوم الخامس عشر قابلت آل باحسن التانبوليين سكان المعدي في حبس. ووقعوا هم أيضًا على الهدنة، وكذلك الشعاملة في اليوم نفسه. وبعد أيام قليلة تلقيت رسالة من علي بن صلاح تفيد بأن عشائر الصيعر الرئيسية قد وقعت، وأيضا وقعت بعض العشائر في وادي رخية على الطريق إلى شبوة. كما أتتنا الأخبار من دوعن أن قبائل دوعن قد وقعت.

استُقبلتُ بمظاهر الحفاوة والتكريم في الشحر والمكلا، ومن أجمل الأخبار التي سمعتها أنه بفضل الأمن زادت كثيراً البضائع المستوردة التي حملتها السفن الثلاث الأخيرة، وأن أجور النقل على الطرق انخفضت في بعض الحالات بمقدار ٥٠ في المئة.

وفي المكلا وصلت إلى ترتيب مع القعيطيين فيما يخص الهدنة مع علي بن حبريش. كما أنني عقدت العزم على أن أبذل الجهد للتخلص من رواسب العداوة المزمنة ودفعت القعيطيين لأن يوافقوا على استقبال علي في الشحر، واستطعت وهو ما تطلب مني جهداً أكبر – أن أقنع عليًا بالموافقة. وفي الخامس من أبريل سقت سيارتي إلى خارج الشحر لمقابلته، وقد قدم مع خمسين مرافقا وحظي باستقبال كبير وعباءة شرف.

حاليًا تشمل هدنة الثلاث سنوات بالطبع كامل أراضي القعيطي والكثيري من البحر إلى الصحراء، بالإضافة إلى جزء من بلاد الواحدي. وإجمالاً، هناك ما بين ١٣٠٠ و١٤٠٠ من التوقيعات مما يدل على مدى التشظي التي كانت عليه البلاد، إذ إن الكثير من الموقعين لا يمثلون إلا عشائر صغيرة. والخطاب التالي من أحد (السادة) من ذوي الخلفية التاريخية يظهر الوضع غير المسبوق الذي أصبحوا فيه الآن.

"لقد درست التاريخ الحضرمي من عام ٥٠٠ للهجرة حتى الوقت الحاضر، وقرأت العديد من الكتب واستفسرت من علماء ومثقفين عن السلام العام في حضرموت، ومن التحريات الدقيقة التي تم إجراؤها لم أجد ما يثبت أن حضرموت من الحدود إلى الحدود- كانت تنعم بسلام شامل في أي فترة من الفترات سواءً في العصور القديمة أو الحديثة.

"سلاطين حضرموت العظماء والأقوياء والعادلون، عبدالله بن راشد، الذي توفي في عام ٦١٥ هـ وبدر بو طويرق، الذي توفي في عام ٩٧٧ هـ أجبروا الجميع على الخضوع لهم، ولكن القبائل استمرت في المشاكل فيما بينها.

"وبالنسبة للأزمنة الأخيرة، فقد استفسرت من بعض المثقفين حول ترتيبات السلام التي كانت تُبرم بين القبائل ووجدت نقطة مهمة واحدة، وهي أن حضرموت لم تعرف أبداً معنى (السلام الشامل) لقرون عديدة. كانت هناك هدنات بين عشيرتين أو ثلاث، ولكن العشائر الأخرى كانت تستمر في نزاعاتها.

45
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

"عندما كان يموت أحد الكبراء من آل العطاس كانت تبرم هدنة لسنة واحدة، أو أقل، بين الجعدة ونهد فقط. وعنما يموت أحد كبراء آل الحبشي أو آل عبدالله بن علوي العيدروس كانت تتم هدنة بين آل كثير والعوامر فقط، وإذا مات أحد عظماء الرجال من آل العيدروس أو آل شيخ أبو بكر كانت تعقد هدنة بين آل تميم، وهكذا.

"وفي عام ١٣٢٠ هـ في أثناء حياة المنصب عبدالقادر بن سالم العيدروس، ظل لمدة شهر يسعى لترتيب هدنة، وبعد معاناة كبيرة توصل إلى هدنة لمدة عام واحد. وخلاصة القول، فإن السلام الشامل على الطرق وبين القبائل في الإقليم لم يُعرف في حضرموت على مدى عدة قرون.

"وقد سجلت ملاحظة في نهاية تاريخي مفادها أنه يجب على المؤرخين الذين قد يأتون من بعدنا أن يعلنوا فرحتهم وبضربوا طبولهم أمام حدث إرساء السلام في البلاد".

وفي ٢٨ مارس بدأت الأمطار تنزل في جميع أنحاء البلاد، وقبل أن يتوقف نزول المطر بمدة طويلة قيل على نطاق واسع إنها أغزر مطر شهدتها البلاد على مدى خمسة عشر عاماً، ولاحقاً شهد الجميع بأنها كانت أغزر الأمطار التي عرفها الإنسان على مدى عصور طويلة. وانتشر اعتقاد عام بأن نعمة المطر هي مكافأة من الله على حلول السلام، وقد عبرت الرسالة التالية عن مزاج مشترك:

"إلى صديق حضرموت: لقد عمت حضرموت أمطار نافعة، وروتها السيول من شرقها إلى غربها دون أن تتسبب بأي ضرر أو خراب. وكل الناس سعداء بهذا، ويقولون إنه نتيجة للأمن والسلام، وهم يتذكرونك ويقولون إن السلام الآن سائد والرحمة كذلك سائدة ببركة إنجرامس".

وعندما أتيت إلى الساحل وجدت رأيا مختلفاً تماماً ومعظم الناس كانوا يعبرون بصراحة عن لهفتهم إلى المساعدة. وكان السلطان قد وافق على أن أبقى هناك في أثناء غيابه في الهند، وبعد ذلك في حفل التتويج، وبعد أن كنا في خضم المشاغل

> "كان آل بن يماني قد وجهوا لنا دعوة أنا وزوجتي لكي ننزل عندهم في رسِب، فغادرنا سيئون إلى المكلا في 6 مارس، وعلى الطريق في رسب أكرم القوم وفادتنا غاية الإكرام. لقد وصل هؤلاء البدو الآن إلى درجة من حسن الخلق والانصياع ليس لها مثيل. وأظهر لنا المودةَ الرجالُ والنساءُ على السواء ولم يكونوا يضمرون نحونا أية نقمة؛ بل إن (العُقال) وأتباعهم شكرونا على القصف"

القبلية انتقلنا لبعض الوقت إلى الانشغال بتلقي عدد هائل من الشكاوى من الظلم كتابياً وشفوياً من سكان المدن الساحلية. وكانت ساعات عملنا من الساعة ٧:٣٠ صباحاً حتى الساعة ٨:٣٠ مساءً، مع استراحة ساعة لتناول الغداء، وساعتين ونصف من الرابعة مساءً للاستماع إلى الإذاعة. وفي أثناء ذلك بدأنا في تهيئة الخدمات الحكومية على أسس أفضل، ولكن الأمر كان صعباً نظراً لقلة الخبرة المحلية، على الرغم من توفر الكثير من النية الصادقة، وكان طاقمي الخاص الوحيد من الموظفين يتألف من زوجتي، وعامل متطوع، وثلاثة من الكتبة العرب كان واحدٌ منهم فقط يمتلك من الخبرة ما يكفي ليجعله شخصاً يعتمد عليه.

وبدئ في تنظيم القوات المسلحة. كان الكابتن هاميلتون، ضابط الحرس القبلي من عدن، قد أمضى شهراً في سيئون لإعطاء الحرس القبلي الكثيري، الذين تم تسميتهم لاحقاً الشرطة الكثيرية المسلحة، بدايةً جيدة، وفي أبريل جاء العقيد روبنسون قائد قوات محمية عدن – لتقديم المشورة

بشأن إعادة تنظيم جيش المكلا النظامي. وتبعه لمدة قصيرة الكابتن هوبكنز، الذي تم تفريغه لمدة ستة أشهر في وقت لاحق من العام ليشرف على إعادة التنظيم والتدريب.

وقد حثثتُ أيضًا على أن يُشرع في العمل على طريق السيارات الجديد المؤدي إلى شبام عن طريق دوعن، الذي كان السلطان متحمسًا جداً له، وأحضرت معي من تريم مهندسًا بارعًا جداً اسمه عبيد، كانت مهارته في إنشاء الطرق ومدرجات الهبوط قد أكسبته لقب (الإنجليز). وقد أكمل هو وعماله طريق الكاف في ثلاثة أشهر، وفي يوليو جاء معالي السير بيرنارد رايلي برفقة العميد الجوي ماكلاوري إلى حضرموت وافتتحوا الطريق رسميًا في المعدي في بلاد البحسني. ومن هناك سافر السير بيرنارد بسيارته على تلك الطريق إلى تريم، ومن ثم قطع حضرموت الداخل إلى حريضة، وعاد إلى عدن ماراً بدوعن بعد رحلة استمرت لعشرة أيام. وكالعادة، فإن المساعدة والتشجيع اللذين بالغ في تقديمهما لنا جميعًا عوضا بشكلٍ كبيرٍ عن العمل الشاق والإضافي الذي كنا ملزمين بالقيام به.

أصبح طريق الكاف الآن طريقًا برسوم مرور يديره مجلس إدارة، ويتم توفير نصف إيراداته للأعمال الأساسية والتحسينات، ويصرف النصف الآخر في أعمال الصيانة. وأخذت نفقات الصيانة الآن تتضاعف لأن الحافلات اليومية تتسبب بالكثير من الأضرار. وتم وضع رسوم استخدام الطريق ليس فقط لكسب الربح ولكن يرتبط ذلك باستيفاء أقل ما يمكن من الأجور لحماية طريق جمال البدو. وفي واقع الأمر فإن البضائع لا يسمح بنقلها على طريق السيارات إلا إذا كانت عرضة للتلف، أو أثقل من طاقة الجمال على حملها أو عاجلة، وفي كل هذه الحالات فإن أجور الشحن يجب أن تكون أعلى من تلك التي تدفع للنقل بوساطة الجمال.

في أغسطس عاد عظمة السلطان من التتويج. لقد كان كريم النفس بما يكفي ليشعر بالامتنان للخدمة التي تسنى لي تقديمها لدولته وطلب مني أن أُعيَّن مستشاراً له. وكتب السلطان الكثيري أيضًا إلى الحكومة وقدم طلبًا مشابهًا. وفي ١٣ أغسطس، وقع معالي الحاكم، نيابةً عن حكومة جلالته، وعظمة السلطان القعيطي معاهدة على غرار المعاهدات التي عقدت مع السلاطين الماليزيين، والتي وافقت فيها حكومة جلالته على تعيين مستشار، وقد وافق السلطان على أن يقبل مشورة المستشار في جميع الأمور باستثناء تلك التي تخص الدين الإسلامي والعادات. وبعد ذلك تم تعييني مستشاراً لكلا السلطانين، كما تم تكليفي بالمسؤولية السياسية عن السلطنات الثلاث الأخرى لمحمية عدن الشرقية- وهي سلطنتا الواحدي في بئر علي وبلحاف والسلطنة المهرية في قشن وسقطرى. وكانت قد نشأت صداقة من قبل بيني وبين سلطان بلحاف، ولديه ابن يدرس في كلية محمية عدن لأبناء الرؤساء (وبالمناسبة فقد أرسل كذلك السلطان الكثيري والأخوان باصرة، حكام دوعن، ثمانية من أبنائهم إلى الكلية)، ثم قام سلطان بلحاف بعد بضعة أشهر بإقناع عدد من عشائر الواحدي للتوقيع على المعاهدة. كما وعدت حكومة جلالته في سخاء كبير بقرض قدره ٢٠٠٠٠ جنيه إسترليني للمساعدة في تطوير المخططات التي كان عظمته متطلعًا جداً لها، وفي تحسين الزراعة في وادي حضرموت الرئيسي.

عاد عظمته إلى الهند في سبتمبر ليزور والدته التي اشتد عليها المرض، ثم تولدت بعد ذلك بعض المشاكل مع بعض المرتزقة من اليافعيين الغرباء. وربما نتذكر أن السلالة القعيطية هي نفسها يافعية، وأن اليافعيين جاؤوا إلى البلاد قبل حوالي ٤٠٠ عام. وقد أصبحت العائلات التي استقرت هناك لفترة طويلة حضرمية مثلها كمثل الحضارم الأصليين أنفسهم، ولكن البعض الآخر اعتادوا على القدوم لعدد من السنوات من جبال يافع، ثم يتم تسجيلهم بوصفهم مرتزقة. وكانوا يتقاضون ثمانية ريالات في الشهر، ولكونهم كجميع أفراد

قبيلتهم ماهرون في كسب المال، فقد بنوا حياتهم على أخذ الأموال من السكان المحليين بالاحتيال وبطرق لا تتطلب عناءً كبيراً. ورأى بعض الزعماء منهم أنه ما دام النظام والحكومة في سبيلها إلى أن ترسي قواعدها، فإنهم يتوقعون أن تقصقص أجنحتهم، وبدأوا في المؤامرات التي تسببت لاحقًا في كثير من المشاكل وسط قبيلة الحموم.

وأتت المشاكل أيضًا من الصيعر، تلك القبيلة الهمجية التي تسكن في الشمال الغربي، إذ نهبوا حوالي ٤٠ جملاً من المناهيل. وقد امتنع المناهيل عن التوقيع على الهدنة بسبب مشاكلهم مع الصيعر. والمناهيل جميعهم بدو ولكنهم متحدون تمامًا في اتباع قائدهم الشاب، عيضة بن طنّاف، وهو فتى رائعٌ للغاية يبلغ من العمر حوالي خمسة وعشرين عاما. وقد منعهم بطريقة مثيرة جداً للإعجاب من الرد على الصيعر، ووعدتهم بأن أفعل ما بوسعي لأساعدهم في استعادة جمالهم إن هم وقعوا على الهدنة. وفعلوا ذلك على الرغم من أنهم انتظروا بصبر لمدة أشهر بينما كنتُ أتفاوض مع الصيعر.

كانت حضرموت كلها مهتمة بمسألة الصيعر، وعندما كنا نجوب البلاد لنحصل على تواقيع للهدنة، كان ينتهي الأمر بكل قبيلة حضرمية تقريبًا، من الذين يسألون من الذي وقع ومع من بإمكانهم أن يعتبروا أنفسهم في سلام، بأن تسأل: "**والصيعر؟**"

بعد أن قام الصيعر بغارتهم تلك، اتفقت حضرموت كلها على منعهم من دخول مناطقهم، مع أنهم أصروا على ضرورة الإتيان بحل ما لأنهم سيواجهون صعوبات كبيرة إن هم اضطروا لأن يثأروا في حالة أن هاجمهم الصيعر. وأخيرا تمت دعوة الزعماء الرئيسيين الأربعة للحضور مع أتباعهم ومناقشة الأمر. ورد جميعهم بأنهم سوف يحضرون، ولكن في النهاية امتنع زعيمان عن المجيء، مع أنهما قدما إلى وادي حضرموت، وأتى واحد منهما إلى سيئون نفسها، ومنها هرب عائداً إلى منطقته الجبلية بعد أن عومل معاملةً كريمةً. وفر المتخلف الآخر في الليل من إحدى القرى المجاورة. وكان مرافقوهما

> "المناهيل جميعهم بدو ولكنهم متحدون تماماً في اتباع قائدهم الشاب، عيضة بن طنّاف، وهو فتى رائعٌ للغاية يبلغ من العمر حوالي خمسة وعشرين عاما. وقد منعهم بطريقة مثيرة جداً للإعجاب من الرد على الصيعر، ووعدتهم بأن أفعل ما بوسعي لأساعدهم في استعادة جمالهم إن هم وقعوا على الهدنة. وفعلوا ذلك على الرغم من أنهم انتظروا بصبر لمدة أشهر بينما كنتُ أتفاوض مع الصيعر"

محرجين بشدة من تصرفهما، وعرضوا علينا أن يقوموا بقتلهما، وقالوا إنه سيتم خلعهما كيفما كان الأمر. وبما أن واحداً من الزعماء كان هو المسؤول الأساسي عن نهب الجمال، إذ كان المغيرون على صلةٍ به، فقد تم هدم منزله بعد التحذيرات المعتادة. وكان ذلك درسًا عمليًا بليغا، وسلّمت به حضرموت بأسرها وبقية الصيعر أنفسهم.

وبعد مدة وجيزة ذهبت إلى حصن العبر، حيث كان يوجد المغيرون، وسلمونا المكان والجمال دون أية مشاكل؛ وفي الواقع لقد تقبل الصيعر برحابة صدر كبيرة وجود حامية هناك، وأخبرتني النساء البدويات، من بين آخرين، أن الترتيبات السلمية قد نالت تقدير البدو جميعًا. وقد وصفت كيف قمنا باحتلال حصن العبر في محاضرة منذ مدة وجيزة ولا حاجة لقول المزيد عن ذلك هنا، باستثناء القول إنه بإحلال السلام هناك على حدود الصحراء، فإن الصحراء نفسها بدأت تصبح أكثر أمانًا، وأصبح القبيليون يأتون إلى العبر من غير بنادق. وأظن شخصيًا أنه لن يمر وقت طويل

48
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

حتى تنشأ بلدة هناك لأنه توجد بها وفرة في إمدادات المياه، وتشكل سوقًا مثالية متقدمة لحضرموت.

وفي الوقت الذي كانت مسألة الصيعر توشك أن تُسوّى، تم أيضًا احتواء شكوى طويلة الأمد لأهل تريم ضد قبيلة التميمي. فأهل تريم لديهم أشجار نخيل في بلاد التميمي التي تحيط بالمدينة، وكان التميميون لسنوات يزيدون في انتزاع المال منهم في ما كانوا يسمونه "رسوم الحماية". ونظمت تلك العملية التجارية على غرار ابتزاز شيكاغو تمامًا، وفي كثير من الحالات فإن نسبة ٧٥ في المئة من محصول التمور كانت تؤخذ في رسوم الحماية، وهذه كان الملاك يدفعونها شاؤوا أم أبوا. والآن تم التوصل إلى اتفاقات جديدة تعطي جزاءً معقولا على الحماية الحقيقية.

وبينما كنت منشغلاً بحل مشاكل التميميين والصيعر في حضرموت الداخل، وردت أنباء عن سلسلة من الاعتداءات قامت بها عشائر مختلفة من الحموم على طريق الكاف. وقد وقعت خمس حالات إطلاق نار على السيارات وسلب، وجريمتا قتل، إحداهما قتل فيها قائم الدولة القعيطية في غيل باوزير. وفي الوقت نفسه تم أيضًا نهب قافلتي جمال من قبل الحموم.

وقد استبدت بي الحيرة في فهم ذلك لأنني كنت على علاقة ممتازة مع زعيم الحموم، ولم يكن هناك داعٍ لأن يشاغبوا حركة المرور على الطريق لأنه قد تم، كما أوضحت، اتخاذ كل العناية الممكنة لحماية حركة السير الخاصة بهم. وكتبت مباشرةً لعلي بن حبريش أطلب منه المجيء لمقابلتي لكي نقوم بتسوية المسألة على الفور قبل أن تزداد تعقيداً، ولكن لسوء الحظ تمت إثارة المشكلة بواسطة اليافعيين ومحرضين آخرين: فاليافعيون كانوا يأملون أيضًا، كما في الماضي، أن يطلب تدخلهم وأن تسلم لهم نقداً مبالغ طائلة من المال وأسلحة لتسوّى المسألة.

> "جاء زعماء الحموم جميعهم ودفعوا ما عليهم من غرامات، وتصالحوا، معترفين بأنهم قد ضُلّلوا، وأقروا تماما بعدالة ما تم القيام به. وكان من بين الأشياء التي تضمنتها الغرامة مئة بندقية، ولكن الرائع أنه تم تسليم أكثر من 270 بندقية إذ قال القوم إنهم لن يكونوا في حاجة إلى البنادق طالما سيكون هناك أمن"

كان ذلك اعتداءً خطيرا لا بد أن يواجَه، وقد تم استدعاء زعماء الحموم حتى يردوا على التهم الموجهة لهم. لكنهم امتنعوا عن الحضور، فباشرنا العمليات الجوية، بعد التحذيرات المعتادة، وكان إرسالها في منتهى الصعوبة إذ إن القوم جميعهم تقريبًا بدو وليس لهم قرى. وذهبت بنفسي في أحد أيام القصف إلى وادٍ خالٍ في المنطقة كان من المعروف أنه يوجد حوله حموم من العشائر المتورطة في الجريمة، وشبهت ما شعرت به هناك بما عايشته في هازبروك عندما قُصفت في أثناء الحرب. بدا لي من الصعب أن قصفا كقصف الشرطة هذا سيكون له ذلك الأثر. ألقيت قنبلة صغيرة في البداية في الوادي، الذي كان خاليًا كما قلت، ولم أر هناك شيئًا تدب فيه الحياة إلا القليل من المعزى. وبعد أن أعطينا كل من قد يكون في تلك المنطقة الوقت الكافي ليبتعدوا بعيدا، ظلت خمس طائرات تقذف القنابل لمدة نصف ساعة على قاع الوادي الرملي. وكان الدوي مروعًا، ولا شك أنه كان في التلال المرجعة للصدى مروعًا أكثر على الأرض، إلا أنه لم يحدث أي ضرر في تلك الغارة على الأقل، وعندما ناقشنا الأمر مع القبليين الذين تم قصفهم

فإن حقيقة الأمر هي أن الدوي فقط، أو الأثر المعنوي، هو الذي جعلهم يستسلمون، لأنهم يدركون كيف سيكون الحال لو سقطت القنابل عليهم.

وقد أثمرت العملية عن النتيجة المرجوة، ولكن من المؤسف أنه وردت أنباء عن سقوط ثلاثة ضحايا، وقد جاء زعماء الحموم جميعهم ودفعوا ما عليهم من غرامات، وتصالحوا، معترفين بأنهم قد ضُلّلوا، وأقروا تماما بعدالة ما تم القيام به. وكان من بين الأشياء التي تضمنتها الغرامة مئة بندقية، ولكن الرائع أنه تم تسليم أكثر من ٢٧٠ بندقية إذ قال القوم إنهم لن يكونوا في حاجة إلى البنادق طالما سيكون هناك أمن.

وكانت إحدى السمات المثيرة للاهتمام في عمليات الحموم هي كما في السابق التعاون الصادق بين القبيليين وسكان المدن ضد المعتدين، وكان الحصار الاقتصادي ضدهم، الذي طبقه طواعيةً أهل الشحر وحضرموت الداخل والقبائل المجاورة، عاملاً فعالاً في إجبارهم على الرضوخ السريع.

لعلكم تتذكرون أنني في محاضرات وتقارير سابقة قد قلت شيئًا عن العبيد في حضرموت. وهناك تقريبًا ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ شخص في البلاد في حالة من العبودية حسب الاصطلاح المتعارف عليه، ومعظمهم من أصل إفريقي. فيما يتعلق بمعظم الحالات، فإن وضع العبيد اصطلاحي بحت: فهؤلاء في حقيقة الأمر أحرار في أن يفعلوا ما يشاؤون. وفي كثير من الحالات، مثل العبيد التابعين للسلطان الكثيري، كثيرا ما مارسوا الظهور بمظهر القوة والجبروت بحيث لا يمكن السيطرة عليهم، وكانوا يسببون مشاكل كبيرة بين الحين والآخر، تماماً مثلما فعل عبيد الزنج في العراق في العصور الوسطى.

ويصل كثير من العبيد إلى مراكز عالية: فلدينا من التابعين لحكومة المكلا من أصبحوا حكاما في مناطق معينة، وعبيد السلطان القعيطي في المجمل لديهم ولاء شديد للسلطان، ووجدت أن (مقادمة) العبيد في الغالب مفيدون بشكل كبير. ومع ذلك، هناك عدد من الحالات التي يتعرض فيها العبيد المملوكون للقبائل البدوية، مثل الجعدة والمهرة والواحدي، لمعاملة قاسية جداً. والرأي العام في الدوائر ذات المسؤولية الأعلى معارض بشدة لهذا النوع من الممارسات، بل إنني حصلت على فتوى من العلماء تقول إنه على الأرجح لا يوجد عبيد في البلاد مملوكون بشكل قانوني.

ويقوم رجال مثل السيد أبي بكر بفعل الكثير سعيا نحو التحرير الشامل للعبيد: فهو، على سبيل المثال، أنفق مبالغ كبيرة من المال لشراء العبيد الذين يعامَلون معاملة سيئة وتحريرهم، أو لشراء العائلات وتحريرها لأنه لا يحب أن يرى العائلات مقطعة الأوصال.

لقد أحرزنا تقدمًا ملحوظًا في العام الماضي، ولكن التحرير الشامل يبدو بعيد المنال لأن العبيد أنفسهم سيقاومونه بمثل ما يقاومه الآخرون. ولكن لدينا الآن اتفاقيات موقعة من العديد من الزعماء- بمن فيهم سلاطين حضرموت - تعلن بأن تجارة الرقيق غير قانونية، كما أقر سلاطين حضرموت أيضا أن أي عبد يطالب بحريته سوف تعطى له. وقد مُنحتُ صلاحيات الإعتاق، وقمنا بتحرير عدد لا بأس به، لأن الذين يرغبون في العتق بإمكانهم أن يأتوا إليّ بسهولة، إذا كانوا يخشون الذهاب إلى الحكام المحليين. وبهذه الطريقة أصبح بإمكان أي عبد يتعرض للاضطهاد أن يحظى بالإنصاف، كما تم إيقاف بعض حالات القسوة. وهناك أيضًا خطة قيد التنفيذ وفقًا لها سيتمكن العبيد الذين يريدون مغادرة البلاد من القيام بذلك والاستقرار في بلد آخر.

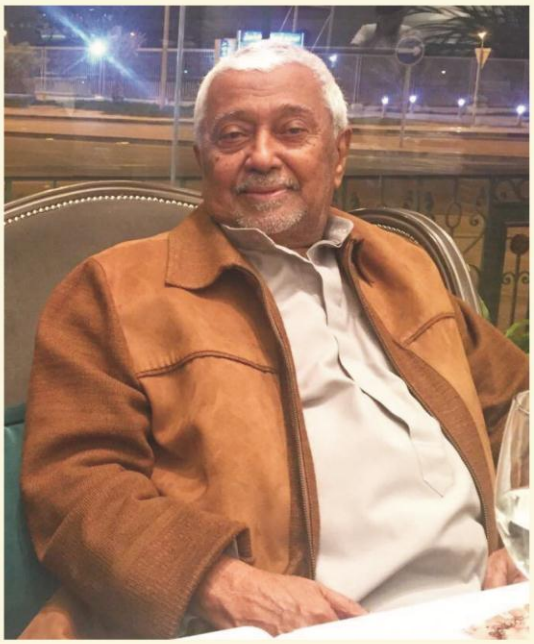
وقد تسببت أولوية القيام بعمل سياسي من هذا القبيل في عرقلة العمل الإداري إلى حد ما، ولا سيما في جانب إعادة التنظيم السريع للمالية لحكومتي المكلا وسيئون، ولكن أصبح من الممكن أخيراً أن يتم تزويدي بمزيد من المساعدين، فانضم إليّ في المكلا السيد فيجيس، من شمال نيجيريا، بصفته مساعد مستشار مقيم، والسيد كينيدي، من موريشيوس، سكرتيرا، كما ازداد أيضًا عدد الكتبة. وتم انتداب مشرف جمارك متمرس من الصومال، وابتدأ العمل في تحسين الجمارك.

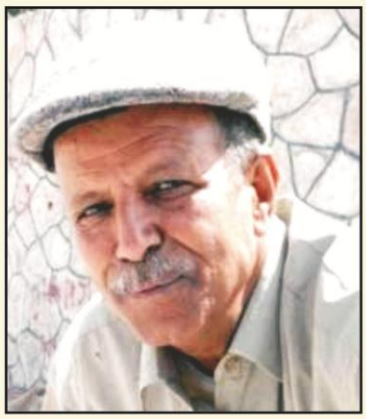
50
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

لقاء مع السيد محمد أبوبكر بن يحيى:
رحلة السينما من سنغافورة إلى حضرموت

في لقاء حصري مع السيد محمد أبوبكر بن يحيى، تحدثنا عن رحلته الحياتية المثيرة التي بدأت في سنغافورة، مروراً بطفولته في حضرموت، وصولاً إلى تجربته الفريدة في عالم السينما.

يروي السيد محمد بن يحيى تفاصيل هذه الرحلة، وكيف أثَّرتْ بيئته الأسرية والدينية فيه.





حاوره: علي سالم اليزيدي

النشأة والتربية:

وُلد السيد محمد أبوبكر بن يحيى سنة ١٩٣٥م في سنغافورة، مثله مثل الكثير من الحضارم الذين هاجر آباؤهم إلى هناك. والده كان مدرساً للإسلامية في مدرسة الجنيد العريقة بسنغافورة، ومستشاراً لأسرة آل الكاف الحضرمية المعروفة في سنغافورة. كما كان والده قارئًا للقرآن في الإذاعة بسنغافورة؛ إذ تميَّز بصوت عذب شجي.

نشأ محمد في بيئة دينية وسطية محافظة، امتداداً لجذور أسلافه من السادة آل باعلوي الذين كان لهم الدور الأبرز في دخول الإسلام شرق آسيا وغيرها.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، عاد محمد بصحبة والديه وأخواته الثلاث الأصغر منه إلى حضرموت، وتحديداً إلى المكلا.

استقبلهم هناك العلاَّمة الحبيب علي بن محمد بن طاهر بن يحيى، ولكن لم تكد تمضي فترة منذ وصولهم حتى انتقل والده إلى جوار ربه، فكان على محمد تحمل المسؤولية في سنٍّ مبكّرة من عمره، فقد تولى تربيته والدته الشريفة زهراء بن شهاب الدين، وعمه العلامة المحدث الحبيب علي بن يحيى.

51
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

التعليم والعمل المبكر:

عملت والدته مُدرِّسة في مدرسة القرية للأيتام بديس المكلا، والتحق محمد بها حتى المستوى الرابع، قبل أن ينتقل إلى وسط المكلا لاستكمال دراسته. مع دراسته، بدأ محمد العمل في مجال التجارة بصحبة رجل الأعمال المعروف السيد محمد بن سالم السري، إذ استفاد منه وتعلم الكثير واكتسب خبرات جليلة. وكما يقول هو عن نفسه، "لم أكمل دراستي الأكاديمية في المدارس أو الجامعات النظامية، بل تعلمت من مدرسة محمد بن سالم السري ومن مدرسة الحياة".

قصته مع السينما:

وعن قصته مع السينما، يقول السيد محمد أبو بكر بن يحيى المقيم حالياً في دولة الإمارات العربية المتحدة: "خلال وجودنا في المدرسة بسنغافورة، وُلِعْتُ بمشاهدة لعبة شدَّتني كثيراً، وكان لها تأثير كبير فيما بعد على عملي، وهي صندوق العجائب، والرسوم المتحركة التي تعرض عند المدارس أو في الشوارع. كانت هذه اللعبة تشدنا كثيراً، وحيثما نجدها نتجمع وندفع مبالغ لصاحبها لمشاهدتها".

يضيف محمد قائلاً: "من هنا نبع عندي حب الصورة المتحركة. وحين تمكنت من مشاهدة الأفلام والسينما فيما بعد، سيطرت عليَّ رغبة مشاهدة الأفلام.



السيد محمد أبوبكر بن يحيى في شبابه

تطور هذا الشغف عندما عرفت مدينة عدن وأنا شاب قادم من سنغافورة، إذ كانت عدن مدينة السينما وتعرض الأفلام كل ليلة من دو ن انقطاع".

السينما في حضرموت:

يواصل بن يحيى حديثه: "في المكلا التي وصلتها وزاولت بعض الأعمال الخاصة، لم تكن هناك سينما تعرض للناس بشكل منتظم كما في عدن، حيث كان يعرض السلطان القعيطي أفلاماً هندية وأفلام شارلي شابلن في قصره، وأحياناً يتيح للناس مشاهدتها في الأعياد والمناسبات".

ويقول أيضاً: "كان هناك جدل حول ضرورة وجود سينما يشاهدها الناس بحرية، وطرح الأمر على السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي رحب بالفكرة. فهو من أعطى موافقته.



إحدى دور السينما في عدن زمن الازدهار في الستينات

السلطان صالح كان صاحب رؤية، ورائداً من رواد الثقافة في حضرموت، بل إنه أنتج أكثر من فيلم بحضرموت وكان مخرجًا لها، وبدأت السينما بعرض الأفلام المتاحة للناس عبر تجار الأفلام أو مستوردي الأفلام من عدن للمكلا".

وكونه نشأ على الكفاح والمثابرة فقد خاض التجربة والتنافس الشريف مع آل بارحيم.

يقول محمد: "هنا، وما معي من رأس مال وخصوصًا أن الإخوة آل بارحيم استقدموا عدداً من الأفلام، وبدأوا في عرضها في ساحة قصر السلطان كل ليلة، بالتنسيق مع نادي الكوكب الرياضي، وكذا عرضها في الشحر والغيل في أحواش، وجاءتنا الفرصة من خلال نادي الاتحاد الرياضي الذي وجد أن مشروع السينما مشروع استثماري، يمكن أن يضيف دخلاً إضافيًا للنادي، واستخرج نادي الاتحاد بالمكلا رخصة سينما كانت من نصيبي".

" السلطان صالح كان صاحب رؤية، ورائداً من رواد الثقافة في حضرموت، بل إنه أنتج أكثر من فيلم بحضرموت وكان مخرجاً لها، وبدأت السينما بعرض الأفلام المتاحة للناس عبر تجار الأفلام أو مستوردي الأفلام من عدن للمكلا، وكونه نشأ على الكفاح والمثابرة فقد خاض التجربة والتنافس الشريف مع آل بارحيم"



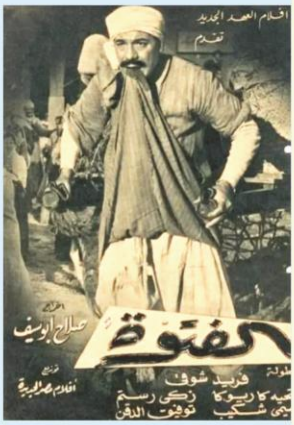
عرض عسكري لفرقة من الجيش البدوي الحضرمي بقصر السلطان القعيطي في الستينات

بوسترات بعض الأفلام المصرية التي كنا نستورها وتعرض بالمكلا ويقبل عليها الجمهور في زمن سينما القصر













نموذج من جهاز عرض الفيلم تلك الفترة

ويضيف محمد قائلاً: "شجعني في ذلك نجاح آل بارحيم وتحسُّن الإقبال من الجمهور على الأفلام والدخول بكثافة، وفور حصولي على الترخيص ذهبت إلى عدن، وتواصلت مع شركات في اليابان، واستوردْتُ واشتريت جهاز عرض للأفلام، وحرصت على أن يكون المشاهد في راحة ومستمتع من دون أن يقطع الفيلم عنه".

وهذا الكلام قبل إقامة دار السينما الأهلية بالمكلا، وما يزال الحديث هنا عن عرض الأفلام في الستينيات منذ ١٩٦٣م في ساحة قصر السلطان لنا كمستوردي أفلام وغيرها من مدن حضرموت.

بدأت السينما في عرض الأفلام المتاحة للجمهور عبر تجار الأفلام أو مستورديها من عدن إلى المكلا.

وعقد اتفاق مع مورّدي الأفلام في عدن؛ لتزويده بأفلام، لها تأثير، وذات هدف ثقافي وقومي وتاريخي، إلى جانب بعض الأفلام الهندية التي يحبها الجمهور آنذاك.

كانت هناك رقابة على الأفلام، وهناك لجنة دينية، وهناك البلدية والشرطة تنظم العرض، وهذا ممَّا حكاه لنا عن قصته مع السينما واستيراد الأفلام للمكلا وما أدَّاه من دور ووعي تنويري تثقيفي وسط الشعب الحضرمي حينها.

الإسهامات والتطورات:

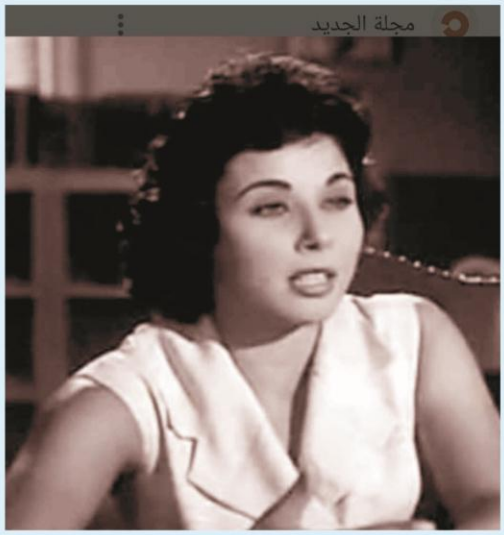
يتذكر محمد: "في الستينات، كانت لدينا سينما في ساحة قصر السلطان، حيث كنا نعرض الأفلام لجمهور حضرموت. لقد شجعني نجاح آل بارحيم وتحسن الإقبال من الجمهور.

بعد ذلك، تأسست الشركة الأهلية للسينما في عام ١٩٦٦م، مما نظم العملية بشكل أفضل، واستمر في تقديم عروض الأفلام في مدن حضرموت الأخرى".

ختم السيد محمد أبوبكر بن يحيى حديثه قائلاً: "عشقت السينما منذ الصغر، وكانت لدي رؤية لتعزيز الوعي والثقافة عبر الأفلام. رغم الصعوبات، تمكنت من تحقيق ذلك، وتقديم مساهمة قيمة للمجتمع الحضرمي".



الزعيم جمال عبدالناصر، كان يتفاعل الجمهور مع ظهوره في الجريدة الإخبارية المصرية قبل الفيلم



لبنى عبدالعزيز
من حسناوات الشاشة المصرية

54
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

شهادة شخصية:

وعن هذا الحوار الذي أجريناه كانت هناك رغبة في أن ألتقي بالرجل، وأتحدث إليه وجهًا لوجه، دون غيره ممن ألتقيت بهم وكتبت عنهم في كتابي عن ظهور السينما وتجربة الإنتاج السينمائي بحضرموت، السبب أن محمد أبوبكر بن يحيى يختلف عن غيره لأننا عرفنا بعضًا منذ بداية قصته مع عرض الأفلام بالمكلا، وكنا في حارة واحدة في (حي برع السدة سابقًا) حي السلام حاليًا، ويقع مكتبه الذي يعد فيه الأفلام ويرتب أمور العرض في شارع بيت الوزير أحمد محمد العطاس، بالقرب من مكانين شهيرين، هما نادي الوحدة بحي السلام، ومقهى أسوان قرب مستشفى المكلا، وكنا نمر به في الصباح والمساء ونحن فتية من أبناء الحافة في طريقنا للنادي أو المدرسة أو للجلوس بالمقهى، وكثيراً ماكُنَّا نختلس وتقع أيدينا على قطعٍ من الأفلام التي يعدُّها للعرض أو التي تقطع ونضعها في جيبنا فرحين، وكان هو شخصية طيبة جداً، وصاحب أخلاق رفيعة، ويتمتع بعلاقات مع سكان الحارة ومع أهالي المكلا، وعاشق للرياضة والثقافة.



الممثلون توفيق الدقن، وإسماعيل يس، وأحمد رمزي، ممثلين أحبهم الجمهور في المكلا

وقد سألت عنه منذ فترة فقيل لي إنه بدولة الإمارات العربية المتحدة، هاجر إليها مع تبدُّل الأوضاع في حضرموت بسبعينيات القرن الماضي، ومن محاسن الصدف أيضًا أن أتعرف على أحد أقاربه وهو المهندس أبوبكر أحمد السري من خلال وجودنا معًا في التحضير للمؤتمر الحضرمي الجامع، وأوصلني إليه، وتم تواصلنا بنجاح ومودة، وأقولها بفخر هنا لأنني كنت معاصراً له شعرت بأني التقيت ليس بمحمد أبوبكر بن يحيى بل بشقيق لي، وملف ذكريات لزمن جميل، وهذا ما أسعدني وبفضل الله أولاً، ثم بفضله حصلت على هذا اللقاء القيم.

هكذا، يسدل السيد محمد أبوبكر بن يحيى الستار على حوارنا معه، موضحًا كيف شكلت السينما جزءاً لا يتجزأ من رحلته الحياتية، وكيف أسهمت في نشر الوعي والثقافة في مجتمعه. وقد تميزت الأفلام التي يعرضها السيد بن يحيى بالأهداف السامية والثقافة العالية.



الدوري المصري كنا نعرضه قبل الفيلم في الأخبار المصورة

55
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

آخر حوار

مع الشاعر الرقيق والملحن الشّجي الرّاحل

صالح عبدالرحمن المفلحي

حاوره: صالح حسين الفردي



المفلحي مقاربة أولى:

كانت أغنيات الشاعر والملحن الكبير صالح عبدالرحمن المفلحي قد استهوتنا منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي، عندما كنّا نخطو خطواتنا الأولى في رحلة التعليم الجامعي، بكلية التربية العليا بالمكلا - جامعة عدن، حينها كنت بمعية رفيق الدّرب والحياة طه حسين الحضرمي، قد بدأنا دراستنا في الكليّة بقسم اللغة العربية، وكنّا من عشّاق هذا الشاعر والملحّن المبدع (المفلحي)، حتَّى جعلنا كثيراً ما نستغل الفرص لنذهب إليه يوم كان يعمل مديراً للصحة المدرسية في المبنى الذي أمام مستشفّى باشراحيل، وفي الطابق الثاني، وظللْنا نذهب إليه لنتبادل أطراف الحديث معه، ونستأنس بجمال روحه، وطلاوة لسانه، وهدوء صوته، وهو يتحدّث إلينا - نحن الشباب - يومها باستحياء كبير، لنبقى على هذه العادة حتى حين انتقل مبنى الصحة المدرسية إلى حي العمال -شرج باسالم- على الشارع العام بطلعة (بن عزون) اليوم، ليصبح هذا الشاعر الفنان فضاءً إنسانياً وجمالياً وإبداعيّاً، لا ننفكّ نحاول نفكّ شفرات قصّة عشقه، التي سكبها دراً غنائية كانت، ولمَّا تزل حديث الناس في مدينة المكلا وأحيائها الأخرى، وحضرموت والوطن حتى اليوم.

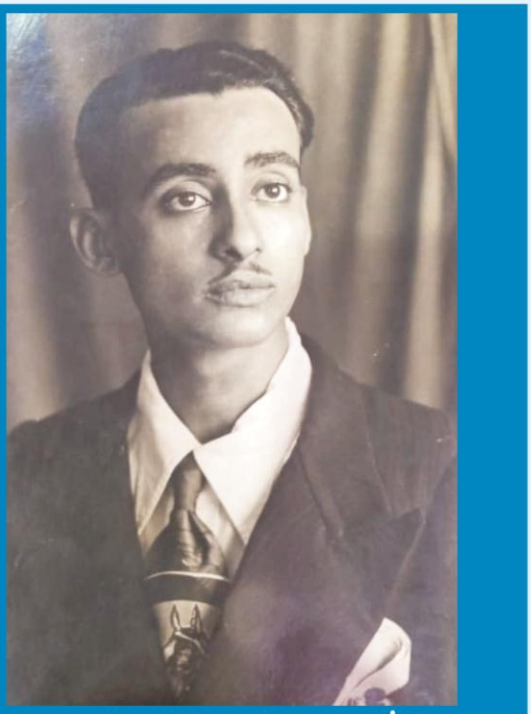
كانت هذه أولى المقاربات لعوالم هذا الشاعر الرقيق والملحن الشجي، الذي انطلقت تجربته الشعرية مع مطلع ستينيات القرن الماضي، بمحاولتين غنائيتين، هما: (رسول بلّغ لخلاني السّلام، وقرّب البعد حلّان الطويلة) هاتان الرائعتان اللتان قدَّمهما الفنان العبقري محمد جمعة خان في سِنِيِّ حياته الأخيرة، مقدّماً هذا الشاعر الشّاب بقوّة إلى السّاحة الفنيّة الغنائية الحضرمية زمنئذٍ.

56
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

المفلحي قبيل الحوار:

في مطلع الألفية الثالثة، نشرتُ في صحيفة المسيلة ثلاث حلقات بعنوان: (قراءة في تجربة الشاعر صالح عبدالرحمن المفلحي)، وصلت إليه تباعاً عن طريق الزميل العزيز الإعلامي الرّاحل حسين محمد بازياد، مدير إذاعة المكلا يومئذٍ، ونالت إعجاب هذا الشاعر الكبير، مما جعله يبدي رغبته في شكري على ما نشرت، وقد كان، عبر الزميل حسين، وفي مكتبه عبر الاتصال به، مما جرأني فطلبت زيارته والتشرّف بمقابلته وإجراء حوار لبرنامجي الإذاعي: (من روائع الغناء الحضرمي)، فرحَّب بذلك، وقد كان منزويّاً في منزله بحي السّلام، معتذراً للعديد عن إجراء أي حوار، حتى كان لقائي به في الثاني عشر من فبراير من العام ٢٠٠٥م.

حين أقفلت سماعة الهاتف بعد ذلك الاتصال، وموافقته على الجلوس والحوار بمنزله -عيديد- أحسست برهبة قوية تهز دواخلي، وحينها سألت نفسي كيف سيكون الحوار، وماذا سوف أسأله، وهل لي أن أذهب بعيداً في أسئلتي، أو أظل ملتزماً بالحوار والأسئلة التقليدية؟ فحسمْتُ أمري على أن أدع الأمور تأخذ طبيعتها، فأخذت أرقب الساعات المتبقية من الموعد، وما أن اقترب حتى سلكت الطريق إلى عيديد (مسمّى منزله الكائن بحي السّلام، الشارع الممتد من جدار مستشفى باشراحيل، ومدخل مقهى أسوان باتجاه الجبل، باحة مسجد الفلاح اليوم)، وما أن فتح الباب حتى دلفت إلى غرفته التي على يسار مدخل البيت، فوجدته والعم سالم صفي، الكادر المحاسبي والمالي في زمن السلطنة القعيطية، وهما في ركنها جالسان يتبادلان الحديث، وأمامه كل أدوات الشاي، فسلّمت عليهما، فنهض من قعدته مرحّباً بي، حينها أدركت أنني أمام إنسان يحتويك من الوهلة الأولى، وتألفه وتقترب منه، فلقد نزع من نفسي آخر بذرة للتوتّر كنت أعمل لها حساباً، وبدأت في التفكير في



الشاعر عبدالرحمن المفلحي
في شبابه

طريقة الاندماج معه ومع ضيفه الكريم، وتركت الحديث ينساب على سجيته، وجاء على هذه الطريقة والشاكلة:

• قصيدة بلجيك فيها الرمز القوي؟

- الكلام الرمز أنا أقصد به كلام خاص، ما أقصد به شيئاً من الأشياء السياسية ولا حاجة لا .. لا ..

• يعني هو ضمن مرحلة العشق، وضروري من التلميح، أحياناً ليكون أقوى من التصريح؟

- أيوه أيوه، نعم جاءت في هذا الإطار..

• وجدتها من القصائد القليلة التي فيها الرمز في الديوان، هل هي جاءت قبل شبعة العيد أو بعدها؟

- بلجيك سبقت شبعة العيد..

• هل نستطيع القول إنه: ما أفاد التلميح فكان لابد من التصريح؟

- نعم .. نعم تقريباً هكذا.

• لكن الرمزية قوية قليلاً؟

- قوية، بعد ذلك كُلٌّ فسَّرها بتفسيره الخاص به..

57
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

• الشيء الذي ما زال في ذاكرة الناس، ومازالت مسيطرةً عليهم حتى اللحظة وسارت كالمثل، (توقّع يا حبيبي لا تغرّك شبعة العيد)، وهي تظهر كثيراً من صفاتك أنت التي أشرت إليها في الأبيات الأولى من ديوانك، إنك إنسان لا تحب التلوّن، ولا تحب التغير، وإنك صاحب مواثيق وعهود، هذه القصيدة ماهي مناسبتها، وهل تتذكر في أي عام؟

– الآن أنا ما أتذكر في أي عام تقريباً فوق ٣٥ سنة تقريباً، كذا طبيعة الشعر، يأتيك دون أن تبحث عنه، شيء يُمْلى عليك إملاء، دون ما تتقصده فجأة، جملة: (لا تغرك شبعة العيد)، هي مَثَلٌ حضرمي معروف، ولكنني طوَّعْتُهُ لهذه الأغنية.

• وكان التطويع مناسباً للحالة التي أنت تعيشها؟

– أيوه، أيوه، وبدأت به:

جزائي يوم أنا أحبك وخليتك مزيد
وكل الناس فيما لقيته فيك تشهد
إذا ناديتنا لبيت بك عيني ويا سيد
توقع ياحبيبي لا تغرك شبعة العيد

• كلمة توقع ما فيها رقة؟

– فيها رقة فعلاً، وأنا توقّعت منه أن يفهمها..

• حتى في لحظة القسوة تحادي بمن تحب؟

– بعد ذلك جاء:

وياما من ليالي سامرك فيها ونقهد
وبيت بالقبل لا طفك من ذا الخد لاخد
وسلمتك ولاء قلبي هول من غير تحديد

• كذلك كلمة هول!

– هول كلمة حضرمية، تعني: ما فيها وزن ولا فيها كيل..

• بعد ذلك جاء البيت الذي تقول فيه:

على كتف الدلل تفحسك في الأسواق كل يد
وعرضوا بزك البالي على أبيض وأسود
لأنك قاصر القيمة وبزك عيف تقليد.



عندما أستطلع ديواني أقول: كيف أنا قلت هذا الكلام، الشباب بطبيعته له زخمه الخاص، والشباب شعلة من الجنون

• هذا البيت ما يزال الكثير من المحبين للأغنية الحضرمية إلى الآن يتساءلون: المعلوم عن الشاعر المفلحي رقَّته وعاطفته الجيّاشة، ولكن في هذا البيت!

– أيوه أيوه، هذا البيت فعلاً كان شديداً شيئًا ما، شديداً قليلاً، وكنت أتمنى ألا يكون في الأغنية ولكنه جاء عفويّاً، ولكنه جاء صادقًا، قد يكون عن صدق جاء، قد يكون يلملم جراحًا، قد يكون هكذا، ولكن لا أريده بالطريقة هذه، كان شديداً وقويًا ومؤثِّراً في الوقت نفسه.

• لذلك رجعت في القصيدة نفسها، في آخرها تقول:

وبحرك .. ما أعترف لي ضاع فيه الجزر والمد
ولو حاولت بابلده فيه البلد بلد
ويصعب معرفة بحرك على عز النواخيذ

• لأنك هنا كمن حاول أن يعيد الاعتبار لمن يحبه!

– نعم، هذا ما حاولته.

• الآن عندما ترجع إلى هذه الروائع التي كتبْتَها في مرحلة الشباب، كيف تنظر لها أنت؟

– والله بنوع من الإكبار، وأتساءل مع نفسي، هل أنا قلت هذا الكلام، الآن أنا متردد، وعندما أستطلع ديواني أقول: كيف أنا قلت هذا الكلام، طبعًا الشباب له زخمه الخاص، والشباب شعلة من الجنون.

• لك روائع كثيرة أيضاً، وهل هي من ألحانك؟

– كلها من ألحاني.

• لك رائعة، إذا ما وصفن نساء الديس، فيوصفن بهذا الوصف: رافعات الشيادر..

– روحن فوق جول الديس ملقات عاكر
مثل لظباء رقيقات الخصور الضوامر
ريتنا كون معهن في سمر حيث يضوين
عانك الله يا العاشق على قسوة البين

• أيش الحكاية؟

– قصة هذه الأغنية، جاءت أثناء فترة، كنتُ جالساً فوق دور البحر هذا (بحر المشراف)، وجاءني واحد فقال لي: قم، جاءني بالسيارة، قم جالس مع عدّة شيبان هنا جالسين، طلعت معه، وتحركنا إلى ديس المكلا، وكنا في آخر صفر، آخر ربوع، والناس كانت تتشاءم من آخر ربوع في صفر، يخرج الناس والنساء من المكلا وحي العمال وكل مكان إلى (باكزيبور)، –المنطقة التي تلي حصن الغويزي، وتعرف بمنطقة (الجُذْمَان) لوجود مساكن إيوائهم فيها حتى اليوم – وفي الليل يعودون، فخرجت رأيتُ المشهد هذا، النساء والرقصات الشعبية، فالعاكر نقصد به الطين الذي يرقصن فيه فهذا يعمل زاخي (غبار متصاعد).



(محمد جمعة) أنا من المعجبين به كثيرًا، أعطيته اللحن، وقلت له: مسموح لك، أن تعدّل في اللحن ما شئت، وبالفعل عدَّل في اللحن، فكانت أغان جميلة

• بس جاءت جميلة تحمل أكثر من معنى.

– نعم.

• وكان الوصف دقيقاً، وتعد هذه من اللوحات، فهي كلها قصيدة مشاهد، أيضاً مطارح بعيدة، والزيارة على مثلي صعيبة..

– ليتكم قرب حليتوا في المتاق.

• لك نصَّانِ غنّاهما الراحل محمد جمعة خان هما: رسول بلغ، مايس القد – كيف جاءت ظروف إعطائه هذه الكلمات والألحان، فقد كُنتَ صغيراً وهو فنان مشهور؟

– هو فنان كبير، ومشهور، وهو أكبر مني سنًا، وأنا من المعجبين به كثيراً جداً، أعطيته اللحن، وقلت له: مسموح لك أن تعدّل في اللحن ما شئت، وبالفعل عدل في اللحن، فكانت أغانٍ جميلة.

• المحضار ذكراه الخامسة صادفت الخامس من فبراير الجاري (٢٠٠٥م)، وربما لديكم كثير من الذكريات؟

– أنا أعرف المحضار منذ أكثر من سبعة وثلاثين عامًا، ليلتها كنتُ مغادراً إلى الشحر، ودخلت مسجداً، فوجدتُ قُدَّامي واحداً من الفقهاء من حبايبنا (آل بن الشيخ بوبكر)

في واحد من مساجد الشحر، لمَّا دخلت المسجد، وجدت حلقة فيها مجموعة يقرؤون في صحيح البخاري، من ضمنهم حسين المحضار، وأنا ما أعرفه شخصياً، وهو كذلك، في الوقت ذاك، أنا خرجت لي أغنيتان (مايس القد)، و(رسول بلغ)، وهو خرجت له أربع أغانٍ، في ضوء ذا الكوكب الساري وغيرها، جاء الدور عنده للقراءة، فلما كان يقرأ وهو شاب، وأنا شاب، أعجبْتُ بصوته الجميل، المحضار ربي ما أعطاه موهبة الشعر فقط، وإنما أعطاه الصوت الجميل، سألت واحداً جنبي مَنْ هذا؟ قال لي: هذا حسين أبوبكر المحضار، قلت: هذا الشاعر، قال هذا الشاعر، عجيب.. ففكرت في هذا الموقف لا يحتاج إلى كلام، وقلت في نفسي أنا لابد لي من مجاراته مهما كان الأمر أنا أقول قصيدة، هو يقول قصيدتين، قلت قصيدتين أخرج ثلاثاً، تعمقت في أغانيه فإذا هي أغانٍ جميلة، فالمحضار شاعر عظيم في نفسه طويل، كثير العطاء، عميق المعاني، رصين القوافي، شاعر عظيم هو يعتبر أستاذي، وهذا العملاق لا يعوض في عدة أجيال قادمة، فهو كثير العطاء دائماً شاعر عظيم، لا يستهان به، وأظن المنطقة لن تُعوَّض به في المدى القريب.

• هل هناك شيء من قصائدك أنت شعرت أنه ارتاح لها؟

– هو يرتاح إلى أغاني كثيراً، ويسمّينا بالشاعر الرقيق دائماً، حتى كما قلت لك في صحيفة (المسيلة)، كان قابله واحد صحفي، فكتب عنوان المقابلة (إنقاذ حياة الشاعر المفلحي)، في آخر المقابلة يقول الصحفي للمحضار: هل لك من كلمة أخيرة تقولها؟ قال له نعم، أرجو من القيادة السياسية أن تنقذ حياة الشاعر الرقيق صالح عبدالرحمن المفلحي، الذي يعاني من ألم في ركبتيه، وبالفعل في اليوم الثاني باشر الأخوان بإعطائي تذاكر سفر وغيره، فقدَّمت له قصيدة شكر في (المسيلة) ونشرت ووضعت فيها صورته وصورتي، ومنها:

من طرق باب القيادة ما خرج منها خلي
شكراً لك أستاذي المحضار الشهم الأبي



> المحضار ربي ما أعطاه موهبة الشعر فقط، وإنما أعطاه الصوت الجميل

> قلت في نفسي: أنا لابد لي من مجاراته مهما كان الأمر، أنا أقول قصيدة، هو يقول قصيدتين، قلت قصيدتين أخرج ثلاثاً

> المحضار شاعر عظيم في نفسه طويل، كثير العطاء، عميق المعاني، رصين القوافي، شاعر عظيم، هو يعد أستاذي

> هو يرتاح إلى أغانيي كثيرًا، ويسمّيني بالشاعر الرقيق دائمًا

• ماهي الأغاني التي تراها قريبة إلى قلبك من أغاني المحضار؟

– الحقيقة أن أغاني المحضار كلها أغانٍ جميلة، مثلما كان هو يتمنّى أن تكون بعض أغانيي في ديوانه، كان يتمنّى (رافعات الشيادر – شبعة العيد – خرج ذا فصل) التي أشار الأستاذ بامطرف في مقدمة الديوان إلى أنها من أعظم الألحان والكلمات الحضرمية، أما أنا فأتمنى أن يكون لي الكثير والكثير من شعر المحضار.

• سمعت أن المحضار في جلسة كان يقول: بيت للمفلحي تمنيت أن أقوله، وهو يعدل بالكثير من قصائدي، ما هو؟

– نص البيت هو:

وحبي واضح الرؤية ولا ينكره لك أحد

هذا الكلام شهد به جماعة كانوا معه في منطقة الواسط، وحتى أظنه في شبعة العيد بيت أشار إليه:

ويا ما ليالي سامرك فيها ونقهد

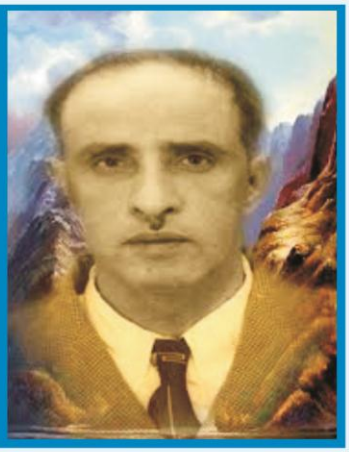
ويبيت بالقبل لاطفك من ذا الخد لا خد

وسلمتك ولاء قلبي هول من غير تحديد

قال هذا كأنه أخذه من غرغوري، وأما أغاني المحضار فأنا معجب بها كلها تقريباً، تلك الأغنية التي يقدر فيها الرأس والشيب).

• ميزة شعراء هذه المرحلة، أنك والمحضار شاعران وملحّنان، في وقت واحد.





(حسين البار): شاعر عظيم، وفنان وعازف عود، وأديب ومحامٍ، وشاعر يقول الشعر باللغة العربية الفصحى والعامّيّة

– هذه موهبة من الله سبحانه وتعالى، وهو بالحقيقة شاعر له نفس طويل باللحن، فأنا في ليلة من الليالي كنت جالساً في هذا المكان، وسمعت أحداً من الجيران يستمع لأغنية لفنانة تغني: (وشكم بعد غيبتكم ياحلان في الغيضة) يقصد الفنانة الشعبية (غنيّة سالم)، التي اشتهرت بهذه الرائعة المحضارية في منتصف سبعينيات القرن الماضي – واستمعت لهذا المقطع: فكيف بدأ هذا الشاعر بالمقطع الأول، وكيف لعب بعواطفه وسط اللحن، وكيف قفلتُه، كان بديعاً جداً جداً حتى في أبسط الأغاني.

• أنت الآن لك ديوان بإذن الله سيرى النور قريباً؟

– إن شاء الله سيخرج قريباً، وهو عند الدكتور عبدالله حسين البار لتقديمه فهو المسؤول عنه، والتسمية هو مَنْ سيضعها على الديوان، الديوان الأول أنا عملت خيارات للأستاذ بامطرف، فاختار هذا الاسم (خواطر في أنغام)، لكن هذا – للدكتور/ عبدالله البار ليسميه كما يشاء، ويشرفني أن يسميه كما يريد.

• لك ذكريات مع حسين محمد البار؟

– نعم، كان صديقاً حميماً لي، وكنت أشاوره في بعض الأمور، ولا أستغني عنه –الله يرحمه– فقد كانت لنا مقايل في منزل محمد جمعة خان دائماً، وكان حديثنا دائماً عن السفر والغناء والطرب، حتى أنَّه لمَّا سمع أغنياتي الأولى (مايس القد، رسول بلغ سلامي) كان يقول لي: (عسى الأسباب خير)، شاعر عظيم، وفنان وعازف عود، وأديب ومحامٍ، وشاعر يقول باللغة العربية الفصحى والعامية.

61
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

• ديوان خواطر في أنغام له الآن أكثر من (٣٠) عاماً، لم تعد طباعته حتى الآن؟

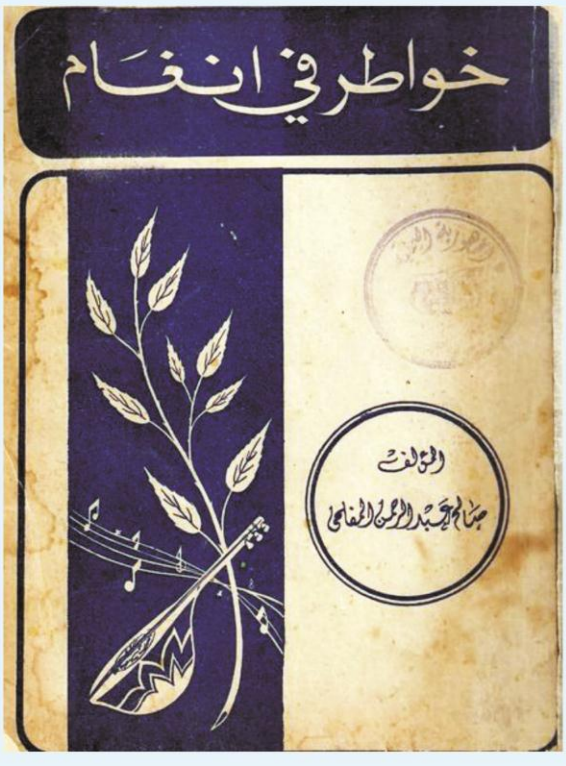
– الديوان نفد من الأسواق، وكانت طباعته بالكويت عام ١٩٧٠م، وأنا أشرفت على طباعته، والحكومة هنا لم تقصر؛ إذ يسرت لي الدعم في ذلك الوقت، وأتمنى أن تعاد طباعته.

• تغنى بروائعك عدد من الفنانين، هل تجد في نفسك أن بعضهم قريب إلى ما أردت أن توصله؟

– الحقيقة –والله– أنني معجب بهم جميعًا، كلهم أبدعوا: أبوبكر سالم بلفقيه، محمد جمعة خان، محمد سالم بن شامخ، محمد سعد عبدالله، عبدالرب إدريس، كرامة مرسال، علي العطاس، بدوي زبير، كلّهم، كلّهم.

• من روائع الغناء الحضرمي قصيدة من كلماتك وألحانك إلى جانب العديد من روائعك الأخرى، ولكن ظلت هذه القصيدة الغنائية التي تبدأها بقولك (جزائي يومنا حبك)، هذه القصيدة ما زالت حتى اللحظة مؤثرة ومطلوبة؟ كيف جاءت؟

– الواقع أن اللحن عندي يسبق الكلمة، كما هو بطبيعته عند أستاذي المحضار، عندما تضع اللحن، تأتي بكلمات تلائم اللحن، إذا اللحن الحزين ترصد التقارب فيه، أو تحاول أبعاد الهجر، أو تشعر بعذاب، فيأتي طبقًا للحن الموجود، فلما تضع اللحن، تضع الكلمات على مستوى اللحن وأناته وآهاته، هذا هو، فأولاً أبدأ مع نفسي بالدندنة، وأسجله على الريكوردر، وبعد ذلك أتبع هذا اللحن، وأشوف هل يشبه شيئًا من ألحاني، أو ألحان المحضار، ثم أعيد فألبسه بعد ذلك بالكلمات.



> الواقع أن اللحن عندي يسبق الكلمة، كما هو عند أستاذي المحضار

> أبدأ مع نفسي بالدندنة، وأسجلها على الريكوردر، ثمَّ أتبع هذا اللحن، وأشوف هل يشبه شيئًا من ألحاني، أو ألحان المحضار، إذا أعدْتُه ألبسْتُه بعد ذلك بالكلمات

• هذه الكلمات في شبعة العيد فيها الكثير من المعاني الإنسانية.

– (مقاطعًا)، الواحد لمّا يضع كلامًا كهذا سيوصف حبيبه أنه مثلاً: كيف أنا كنت أقدرك ومعجب بك، وواضعك موضع التقدير والاحترام، وليش تصد هذا الصد كله، إلى آخره، فتأتي الصيغة على هذا المنوال.

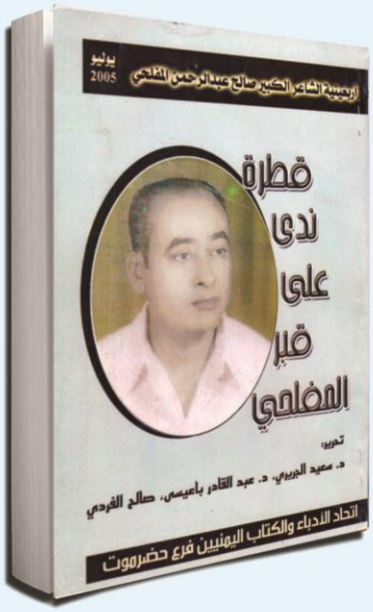
• جاءت فيها بعض الصور الجميلة، مثل: (ليه الكبر ذا كله وليه الظلم والصد)!، هذه ثلاثة أشياء إذا واحدة منهن قد بقيت عالقة..

– (مقاطعًا): قد يكون الشاعر واجهه حبيبه بكلام قد أثر فيه، ورأى مثلاً محبوبه تطاول في الهجر والبعاد والكبر: يقول هذا الكلام في سياق حالته النفسية.

• البيت الذي يقول: على كتف الدلل تفحسك..

– (مقاطعًا): هذا البيت أنا في الحقيقة ما أريد أن أقوله، ولكني قلته، حتى حسين المحضار – الله يرحمه – كان يقول لي هذا البيت شديد شيئًا ما، قلت له: بالفعل شديد قليلاً، وما أريد أن أقوله ولكني قلته، شيء ما دفعني لقوله فقلته.

• البيت الذي بعده (وبحرك ما اعترف لي)، كأن فيه تراجعاً عمَّا قلته، فمعناه أنك نوع غريب ما اعترفت لي، ما عرفت ميولك نحوي خاصة، ففيك الصد وفيك البعد، رغم أننا أحبك بأمانة، ولكن لم تستطع أن تميّز بحره حتى آخر لحظة.



– نعم، نعم، ما استطعت أنا أن أميز بحره، ولو أنه يحبك، وأنت تشعر بهذا الحب، ولكن الإنسان نسّاي دائمًا، والإنسان لابد له أن يكون موضع تساؤل دائمًا.

• هذا اللحن الغنائي مَنْ أوَّلُ من غنَّاه؟

– غناه مرسال، فكل أغنية أعطيها مرسال.

• هذه الكلمات بعد أن قلتها هل أعدتَ تعديلها؟

– لا تعديل فيها، فالشيء لما تكتبه وتقوله ويغنيها الفنان لا تُعدَّل.


الشاعر المفلحي مع الفنان كرامة مرسال رحمهما الله

• طلب مني أن أسألك هذا السؤال: الآن وأنت بهذا السن وهذا النضج، إذا أعدت ذاكرتك إلى الوراء/ هل ستكتب هذه الأغنية بهذه القوة؟

– (مقاطعًا): لا، لا، بالطبع لا؛ لأن الشباب كما قلت شعلة من الجنون، ويندفع اندفاعًا كثيراً، وأنا في مثل هذا السن وهذا النضج لا يمكن أن أقول كلامًا جارحًا مثل هذا الكلام، لأنه كلام جارح، وأبيات جارحة.

• هذا الكلام الجارح، هو كلام بديع؛ لأنه ربما يكون رسالة للكثيرين لئلا يتمادوا في الصد والهجران.

– (مقاطعًا): طبعًا، طبعًا، وهي رسالة الفن، كما قلت، ولكن الواحد يكون دائمًا حذراً، لا يكرر مثل هذه الأشياء، فإذا قال كلامًا جارحًا لا يكرره أبداً، الحبيب حسين المحضار أشار إلى هذا البيت، وقال إن هذا البيت شديد قليلاً، فقلت: شديد قليلاً صحيح، وأنا ندمت عليه.



• شكراً شاعرنا صالح المفلحي على هذا اللقاء الماتع معك.

– شكراً جزيلاً.

63
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

الجامع..

أول مسجد في غيل باوزير القرن 8 هـ



ورمزيته في مراسيم الاحتفال التراثي بأيام العيد



أ.د. محمد بن هاوي باوزير*

• الجامع.. الاسم والاصطلاح:

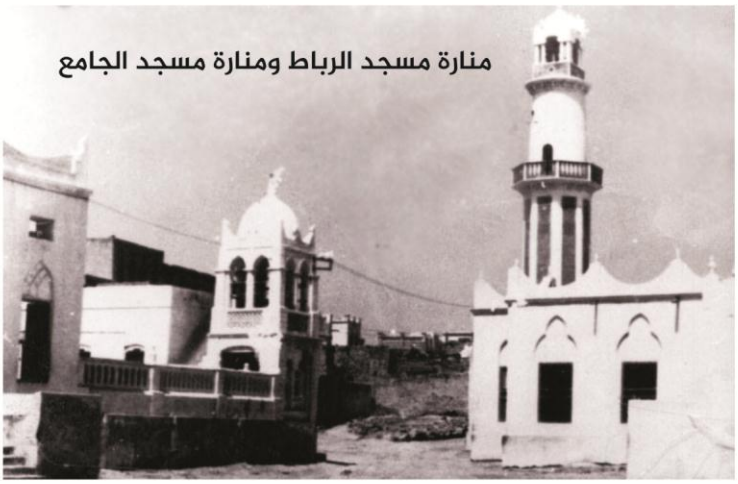
المسجد أو الجامع هو دار عبادة المسلمين، تقام فيه الصلوات الخمس المفروضة وغيرها، وسمي مسجداً لأنه مكان للسجود لله، ويطلق على المسجد أيضًا اسم جامع، وخاصة إذا كان كبيراً، وفي الغالب يطلق اسم (الجامع) لمن يجمع الناس لأداء صلاة الجمعة فيه، فكل جامع مسجد وليس كل مسجد بجامع.

وجامع هو اسم علم مذكر من أصل عربي، وهو اسم الفاعل من الفعل جمع، الذي يجمع الناس لغرض ما، والجامع اسم مكان لمسجد الجامع الكبير، الذي تُؤدَّى فيه صلاة الجمعة، والجامع كذلك يوم الجمعة، وفي أبسط تعريف هو مسجد تقام فيه شعائر صلاة الجمعة، وسمي جامعًا لأن الناس تجتمع فيه.

كما ورد اسم الله الجامع في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران:٩]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧].

وبالرجوع أيضًا إلى الحضارة الإسلامية، وخاصة في بداياتها نجد أن هناك صلة بين الجامع والتعليم، أو الجامع والمدرسة أو الزوايا، والكتاتيب أو المعلامة- العُلمة، وكثيراً ما نجد في الحضارة الإسلامية، الجامع وتتبعه مدرسة، فالجامع لإداء شعائر الصلاة وخطبة الجمعة، والمدرسة تستهدف التعليم. بل في جو البساطة الذي أحاط بالدولة الإسلامية، في مرحلة النشأة، كان المسجد أو الجامع هو المؤسسة الوحيدة التي عرفها المسلمون، واستوعب نشاطهم المتعدد الأوجه، فهو المسجد الجامع لأداء شعائر الصلاة، وهو دار القضاء، الذي يجلس فيه القضاة للحكم بين الناس

بما أنزل الله، وهو مقر الحكومة، وهو دار العلم، الذي يتلقَّى بين جوانبه المعلمون والمتعلمون وغير ذلك. وباتساع الدولة الإسلامية وازدياد مهامها، وارتباطها بالحضارات الأخرى، أدى ذلك إلى مولد مؤسسات أخرى، مما خفَّف العبء عن المساجد أو الجوامع، بل أخذت تتفرغ للمهام الدينية الأساسية التي ارتبطت بها وأقيمت من أجلها.


منارة مسجد الرباط ومنارة مسجد الجامع

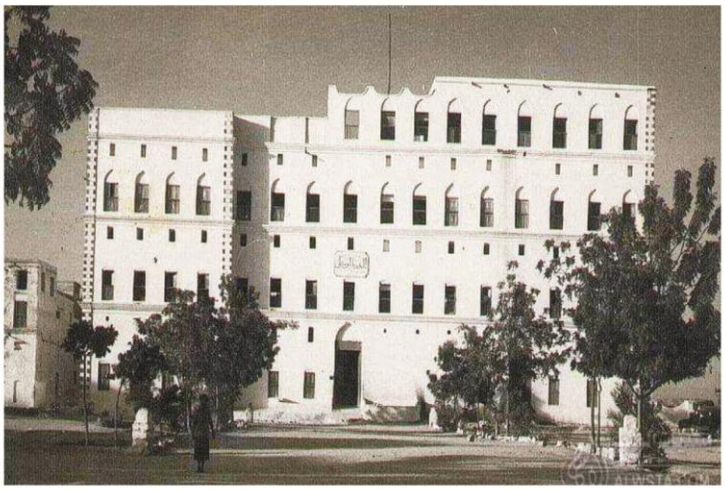
• جامع الغيل:

يعد جامع غيل باوزير أول مسجد في المنطقة، ويمثل اللبنة الأولى لتأسيس المدينة، ومن ثم فهو أحد أهم المعالم الدينية التراثية الباقية في مدينة غيل باوزير، والجامع هو من المباني الصغيرة، التي مرت بمراحل متعددة من التطور في البناء والتوسع منذ عام (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، وهو يشغل مكانة كبيرة في نفوس أهل غيل باوزير وضواحيها؛ لارتباطه باسم صاحبه الفقيه الشيخ عبدالرحيم بن عمر بن محمد بن سالم باوزير. وسنتناول في هذه الوريقات المتواضعة إبراز أهمية أول مسجد جامع في الغيل، والموقع التاريخي التراثي الذي شهد مراحل بناء هذا الجامع وتطوُّره وتوسُّعه، فضلاً عن دلالاته الرمزية، وهو تأكيد لتاريخ الغيل وهُوِيَّتها وتراثها، بالإضافة إلى دور هذا الجامع الواقع بجوار منزل الشيخ عبدالرحيم بن عمر (كجامع ومدرسة)، واهتمامه بالعلم والمعرفة؛ إذ أسس فيه مدرسة لأبنائه وأحفاده، بل جعلها لمن يرغب بالتعليم من أبناء المنطقة.

أمَّا بالنسبة لرمزية جامع غيل باوزير وخاصة بقعة الأرض التي قام عليها مسجد الجامع بصورته الصغيرة البسيطة وصولاً إلى ما وصل من تطور وتوسع، ليشكل بذلك معلمًا دينيًّا تاريخيًّا تراثيًّا قائمًا حتى اليوم، فعلى الرغم من حداثة مبنى الجامع اليوم (تم الانتهاء من آخر توسعة له في شوال ١٣٩٣هـ وسبق ذلك بناء منارة طويلة على الطراز الحديث، وهي المنارة التي تعرَّضت للهدم تحت مبرر أنها آيلة للسقوط، وهو ما ثبت عكس ذلك أثناء الهدم)، ورغم حداثة مبنى الجامع لكن الجانب التراثي التاريخي يكمن في الموقع الذي بُنِي فيه الجامع ومنزل الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير، باعتبار أن هذا الموقع شهد بداية ميلاد مدينة غيل باوزير، الواقع غربًا (الموقع حاليًّا يعرف بالكوم)، وهي حارة (حافة) تقع في الناحية الغربية من المدينة. وهكذا كان الشيخ عبدالرحيم المؤسس، بل كان من أبرز رجال العلم والتصوف، ومنذ تأسيس المدينة كان فيها المرشد المعلم والقانت والعابد.

إن كل ما تقدم من أمر بالغ الأهمية لو كان في بلد عربي أو إسلامي لوجدناهم قد أَوْلَوْهُ الاهتمام، ووضعوه في قوائمهم التراثية، بل وضعوا في ذلك الموقع لوحة تعريفية مؤرَّخة بـ(٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) لأنه غدا الموقع الصالح لإقامة الشيخ عبدالرحيم عمر باوزير ولذريته، وبها بني منزله (أول منزل بالغيل)، ثم شيَّد مسجده المعروف بالجامع، وحفر له بئراً استخدمت لخدمة المسجد، ولعلها أول بئر تحفر في الغيل، ومن ثم شق جدولاً مائيًّا (معيان)، ومدَّه إلى مكان غرب المدينة يُعرَف باسم (هابط العمل) وجنوبها؛ ليروي بها المساحات المستحدثة، أي الأراضي الزراعية والنخيل، ويعد هذا الجدول المائي أو المعيان الأول، الذي تمَّ شقّه في الغيل، ثم تلاه معايينُ أخرى، وكان ذلك بداية النهضة الزراعية في الغيل، كأساس اقتصادي، ومصدر دخل للأهالي.

65
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



تلك هي رمزية الجامع تكمن في المؤسس والمُعلّم الأول في الغيل، وهو أول من وضع حجر الأساس لتأسيس مدينة مهمة في ساحل حضرموت، طابعها الاقتصادي الزراعة، اقترنت باسمه (غيل باوزير)، كما ذكر الباحث عبدالله حداد في كتابه تاريخ مساجد الشحر أن الشيخ كان يتردد على الشحر للحصول على ما يحتاجه في البناء وحفر الآبار وشق الجداول وكل ما يحتاجه لمدينته الغيل، وقيل إنه أسس مسجده الصغير في تلك الفترة (مسجد عبدالرحيم باوزير) في الطرف الجنوبي لحي الخور، الذي عُرف في وقت قريب ربما القرن ٩هـ بحي الحوطة، وجواره مقبرة عبدالرحيم أو الخور.

ألا يكفي أن نجعل من هذه البقعة أو الموقع (موقعًا تاريخيًا)، وندخله ضمن قائمة التراث الحضرمي، شأنها شأن أي موقع حضرمي، ضمن قوائم التراث في فروع الهيئة العامة للتراث والمتاحف، ومن ثم يجب أن تنصب في مثل هذه المواقع التاريخية الحضرمية، اللوحات التعريفية؛ حتى يتمكن الزُّوَّار، بل الأجيال الحاضرة والمستقبلية في بلادنا من التعرف على تاريخ بلادهم وتراثهم الحضرمي الفريد، ومثل ذلك ينطبق على جامع الغيل وموقعه والمساحة الملاصقة له (الواقعة حاليًا بينه وبين مسجد الرباط)، وما تشهده من عادات وتقاليد تراثية جميلة في بعض المناسبات الدينية كالأعياد وغيرها، علمًا أننا نجد مثل ذلك منتشراً في مناطق كثيرة من حضرموت، بل في البلاد العربية.

• عادات أهالي غيل باوزير وضواحيها في عيدي الفطر والأضحى:

المعروف أن غيل باوزير وحضرموت عامة لهم عادات وتقاليد في شهر رمضان المبارك، ابتداء من ثبوت هلال رمضان والترحيب بالشهر الفضيل، وعادات الأطفال قبيل أذان المغرب، والختامي أو ختم المساجد التي تبدأ قبيل النصف من شهر رمضان، والمطبّل (المسحَّراتي). أيضًا للعيد عاداته وتقاليده وسنوجزها في السياق الآتي:

من المعروف منذ تأسيس مدينة غيل باوزير أن العيد ومراسيمه وخاصة في يومه الأول مرتبط ارتباطًا وثيقًا بجامع البلاد، وهو المسجد الوحيد الذي يحمل اسم الجامع، بل هو الجامع الوحيد الذي يجتمع الناس فيه لأداء صلاه الجمعة لفترة طويلة من الزمن، تقريبًا حتى سبعينيات القرن العشرين، ونظراً للتوسع العمراني والسكاني ظهرت الحاجة لضرورة وجود مساجد أخرى إلى جانب الجامع لأداء صلاة الجمعة، وكلها تحمل أسماء مختلفة، كمسجد ذهبان، وباحميد، وباهارون، ومعيان الشيخ، والتقوى وغيرها من المساجد، ورغم ذلك ظل اسم الجامع علامة بارزة مميزة بل فارقة تخص جامع البلاد الأول.

• مراسيم اليوم الأول من العيد:

تشهد مدينة غيل وضواحيها ابتداء من أول أيام العيد (الفطر أو الأضحى) مراسيم احتفالية تراثية؛ إذ يتجه الكثير من أهالي البلدة إلى مسجد (الجامع) لأداء صلاة العيد والاستماع لخطبتها (وحاليًا يتجه البعض الآخر من الأهالي إلى مصليات العيد أو مساجد أخرى)، ورغم ذلك هم يلتقون في موقع الزينة بجوار الجامع للعواد، ولتسوق أبنائهم من بسطات الزينة، ويبدو أن مدينة الغيل وبعض ضواحيها كالنقعة هي المنطقة الوحيدة في حضرموت التي



تقام فيها (الزينة) بجانب جامعها العتيق.

وبعد الانتهاء من صلاة العيد، يقوم الحاضرون بأداء التحية والسلام على بعضهم البعض (العواد)، بل يحصل هذا الأمر خارج الجامع في الساحة الملاصقة له (ساحة الزينة)، وهناك أيضًا يتجمع المشائخ آل باوزير وجموع كبيرة من أهالي الغيل، وكذا العسكر والعبيد، كل في شريحته وحسب طبقته الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها التراثية للبدء بالمراسيم الاحتفالية العيدية.

ويبدأ تحركهم في موكب احتفالي تراثي مهيب، يتقدمه المشائخ آل باوزير، أحفاد الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير، مؤسس الجامع ومدينة الغيل، ذلك الموكب المعروف (بالزّف)، ويليهم العسكر من أهالي الغيل وهم من أصول يافعية، (باعتبار أنهم ممثلو السلطة القعيطية آنذاك)، يليهم مباشرة زامل العبيد (وهؤلاء أيضًا كانوا في خدمة الدولة القعيطية).

ويتحرك هذا الموكب الاحتفالي التراثي الثلاثي من أمام جامع الغيل الرئيس في الطريق العام (الصرك)، ومن متقدمي الموكب والمشاركين من أعيان البلدة، والمناصب من آل باوزير وقائم الغيل (قائم مقام السلطان) وغيرهم.



وفي مفترق الطريق يتجه زف المشائخ آل باوزير إلى دار الحضرة (تعرف الحضرة بأنها اجتماع الناس ساعة ذكر الله والصلاة وقراءة مولد محمد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم)، وإلى قبَّة (مول الجيش)، وهو ضريح أحد أحفاد مؤسس غيل باوزير، من أجل التجمُّع وقراءة الفاتحة. أمَّا بقية الموكب الاحتفالي التراثي فيواصل سيرَه برقصة المرفع والزامل حتى الوصول إلى أمام رقَّة أو ساحة الحصن الأزهر المعروف الآن، بالمدرسة الوسطى. (هذا المبنى هو سكن الحكم ومقرّه لحاكم المدينة منصر عبدالله بن عمر القعيطي، وقد شرع في بنائه عام ١٨٨٣م، تحت إشراف مهندسٍ معماريٍّ هنديٍّ).

وبعد الانتهاء من رقصاتهم الفرائحية الصباحية بمناسبة اليوم الأول من العيد، يدخل الكثير من المواطنين وخاصة الشخصيات الاجتماعية إلى الحصن ليقدِّموا التهاني للقائم بمناسبة العيد. كما تقام عصراً بالقرب من الحصن البرعة، وهي من الرقصات الشعبية اليافعية، وحاليًّا ما تزال البرعة قائمة لبضعة أيام عصراً، ولكن بشكل آخر دون أي رقصات، أي غدت كتجمع للأطفال وذويهم، والتسوق من بسطات الباعة لشراء الألعاب والحلويات وغير ذلك.

يقول الشاعر الشيخ مبارك العبد باهمز عن هذه العادات التراثية:

67
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



الصبـــح مرفع وزينه هاجر وطاسه حنينه
وذبحوا المنيحة السمينة ماهي ركيكة وعظمان
وعبـيد دولة وعسـكر معهم بـنادق وخنجر
ملّقين شـالات وعُصَر ولقـوا عالرأس رمان
والعصّر يلقّون بـــرعة ماشي غناء غير فقـعة
يأتون من كل بُقـــعة عسكر يوافع وعبدان

• اليوم الثاني والثالث من العيد:

في اليوم الثاني من العيـد يذهـب أهالـي الغيـل وضواحيها إلى النقعة (نقعة أحمد: نسبةً إلى أوَّل مَنْ سكنها، وهو الشيخ أحـمد بـن محـمد بـن سـعيد بـاوزير، صاحـب الضريح الذي كانت تقام له زيارة النقعة المشهورة عند البدو والحضر لعدة أيام- سـادت ثم بـادت). وذهاب أهالي الغيل إلى النقعة ثاني أيام العيد صباحـًا، ويطلق عليها زيارة (شيخنا جيناك)؛ لغرض معاودة المشائخ أهل النقعة، (وسابقـًا زيارة لبعض الأضرحة الآن انقرضت)، وفي هذا اليوم تقـام السـوق للتسوق وشـراء الألعاب والحلويات والمكسـرات وغيرها (كما هو الحال في اليوم الأول من العيد أمام جامع غيل بـاوزير)، كما يشـهد هذا اليوم زف آل بـاوزير مشـائخ النقـعة، وكذا بعض الألعاب الشعبية كالمرزحة، التي يقوم بها أهل القارة، وهي رقـصة ما تزال تقـام حتى اليوم في عواد النقـعة، وتسـير بحـركة بـطيئة، تتخللها الأغاني والأهازيج، حـتى تصل إلى بيت المنصب من آل باوزير، ودخولهم البيت لتناول القـهوة وتقديم التهاني والعواد بالعيد للحاضرين.

وفي ثالث أيام العيد يقـام عواد منطقـة الصداع صباحـًا في منزل الشيخ عمر بادباه، وذلك من خلال بعض الشـخصيات الدينية والاجتماعية، وخاصة من منطقـة القـارة، والجدير بالذكر أن هذه المناسبة لغرض العواد فقط دون أن تصاحبها الرقـصات الشعبية والتسـوق كما هو الحـال في اليوم الأول والثاني من العيد.. هذه هي غيل بـاوزير وضواحـيها، كانت لها عوائد تراثية جميلة، ولا يزال أثرها باقيًـا ويقام حتى اليوم وخاصة يوم الزينة التراثي أمام الجامع رغم خُلوِّه (حـاليًـا) من الزف والمرفع، مع بقاء عادة التسوق والعواد وتبادل التهاني بالعيد، أما أهل النقعة فما يزالون محافظين على زف المشائخ آل باوزير وبعض الألعاب الشعبـية، بـالإضافة إلى المراسـيم الاحتفالية في ثاني أيام العيد صباحـًا والمعروفة بـ(شيخنا جيناك). ونختم بقول الشاعر محـمد أحـمد بـن هاوي بـاوزير (بـو سـراجين) في آخر قـصيدة له يتغنى بـأرض أجداده (سـلام لك يالغيل - قالها في سبتمبر ١٩٩٧م):



سلام لك يالغيل يانعم المحلة والمقر
فيك الهوى المتقون فيك الماء والظل الظليل
يا أرض قشمر والعطيشي هيج نعمك لا هدر
وعيال بن حميد مع سوّاد لي مالهم مثيل
والدي واجدادي بنوا عاساس ماكن بالحجر
واليوم فيها طاب لي المسمر وقد طاب المقيل
وجينا من بعدهم عانسير ونقص الأثر
ومن بعدنا الأبناء والأحفاد جيلا بعد جيل
ياحضرموت الرسم والآثار حيته ما اندثر
أرض الحضارة والثقافة معدن الفن الأصيل.



• توصيات:

- لا شك أن حضرموت غنية بتراثها المادي وغير المادي، وهو المرآة التي تعكس ماضيها وحاضرها، لذلك نؤكد على أهمية التراث الحضرمي بشكل عام وارتباطه بتاريخ حضرموت وهويته، وضرورة حمايته والحفاظ عليه من محاولات العبث والطمس.

- تعد مدينة غيل باوزير إحدى المناطق الحضرية الحضرمية، وقد ارتبط تأسيسها وبناء مسجدها الأول (الجامع) بالشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير منذ قدومه إلى هذه البقاع (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م). وكان لهذه المدينة موروثها الثقافي المادي وغير المادي، الذي يمثل تاريخ أهل البلدة وتراثها وهويتها، لذلك يجب الحفاظ عليه وحمايته من العبث بقصد أو بغير قصد.

- كما نؤكد أن هذه البقعة العتيقة التي شهدت بناء نواة المدينة (منزل الشيخ وجامعه) أنها بقعة تاريخية تراثية؛ لأنها تمثل نواة المدينة، بل كانت تشهد وحتى يومنا هذا مراسيم الاحتفال بأيام العيد منذ اليوم الأول (عيدي الفطر والأضحى)، لذلك نوصي الجهات المعنية في المدينة أن تقوم بنصب لوحة جدارية في الموقع نفسه، ويُكتب عليها تاريخ قدوم الشيخ عبدالرحيم بن عمر، ووضعه اللبنات الأولى للمدينة؛ حتى يتمكن الزُّوَّار، بل أجيالنا الحاضرة والمستقبلية من التعرّف على ذلك، بل نتمنى أن تشهد المدينة إقامة عدد من اللوحات التعريفية، وخاصة في الأماكن التاريخية التراثية، كالحصن الأزهر، وسور المدينة، وبوابتيها الشرقية والغربية، والمعالم المعمارية الدينية (القباب)، التي تمثل جزءاً مهمّاً من تاريخ المدينة وهُوِيَّتها، التي تم الاعتداء عليها وهدمها، وهو ما حدث في المكلا وهدم قبة يعقوب وغيرها، ولكن الأخيار أعادوا بناءها على النمط نفسه؛ لأنها جزء مهم من تاريخ المدينة.

وعن منارة الجامع بالغيل فقد تم هدمها تحت مبرّر أنها آيلة للسقوط، ولكن اتضح عكس ذلك في أثناء محاولة الهدم.. لذلك مَنْ قام بهدمها لماذا لا يعيد بناءها بجوار المسجد.



أما الناحية التعليمية فقد شهدت المدينة حراكًا تعليميًّا بارزاً؛ إذ كانت قبلة العلم والمعرفة منذ تأسيسها، ولعل المنطقة التعليمية بالصالحية شاهدٌ على ذلك، كأول منطقة تعليمية في عموم حضرموت

في عهد السلطان صالح، وهذه بحاجة إلى لوحة تعريفية في مكان ما بالقرب من مجمع المؤسسات التعليمية بالصالحية. ولا شك أن ذلك من مهام السلطات المحلية والمجتمع المدني، خاصة أنصار التراث من شباب المدينة.

- كما نوصي الجهات المعنية العليا في المحافظة أن تولي عنايتها بتوثيق التراث، ووضع اللوحات التعريفية في أماكنها في غيل باوزير وحضرموت عامة، كما هو الحال في عددٍ من مناطق العالم، وإلا سيأتي اليوم الذي لا تعرف فيه أجيالنا شيئًا عن تاريخها؛ لأن الحفاظ على التاريخ والتراث وتوثيقه يعني الحفاظ على الهوية.

- وقبل الختام، لعل هذه التوصية هي الأهم في مقالتنا المتواضعة وهي أنَّنا نوصي السلطة المحلية وأهالي المدينة كافَّة وخاصة شبابنا من أنصار التراث أن يحافظوا على رمزية جامع الغيل الأول، وبالذات فيما يخص مناسبات العيد، كإقامة صلاة العيد في الجامع، ومن ثم تبادل التحايا والتهاني بالعيد السعيد (العواد) داخل الجامع وخارجه، وكذلك لا ننسى فرحة الأطفال في يوم (الزينة) في الساحة الملاصقة للجامع ومسجد الرباط (رباط غيل أبى وزير) حيث تنتشر البسطات المتنوعة ويتسوق منها الأطفال وأهاليهم من الرجال فقط.. إنه يوم الزينة يوم فرح ومرح لأطفالنا، يبدأ بعد صلاة العيد حتى الساعة الحادية عشرة تقريبًا.. ألاَ يستحق هذا المكان التاريخي التراثي أن يكون على خارطة السياحة الحضرمية، للزوار والأجيال الحضرمية المتعاقبة. كما يجب أن نحافظ أيضًا على هذه العادات والتقاليد الفرائحية كالعواد والتسوق، خاصة أنها قائمة منذ أكثر من ستمائة عام، كما نشكر شبابنا من أنصار التراث إقامتهم في عيد الفطر الماضي (٢٠٢٤م) لبعض الخيام في هذا المكان المعرّض لأشعة الشمس الحارة حتى يتم العواد والتسوق بشكل مريح تحت ظل هذه الخيام.

وأخيراً يجب التنويه إلى أن اهتمامنا بكل ما تقدم من الحفاظ على العادات والتقاليد، والحفاظ على معالمنا المعمارية الدينية، بهدف الحفاظ عليها كتراث مادي أو غير



مادي؛ لأنها المرآة التي تعكس تاريخ المدينة وتراثها.. وليس الهدف هو العودة إلى زيارة الأضرحة والقبور والتضرع والتقرب لها كما يدّعي أو يعتقد البعض، علمًا أن أهالي المدينة وخاصة الأجيال الحاضرة لم يتعاطوا مثل تلك التصرفات التي تخلوا عنها منذ فترة طويلة.. ورغم ذلك تعرض تراث مدينة الغيل المادي وغير المادي للعبث والطمس في حين أن غالب مناطق حضرموت لم تتعرض لأي اعتداء لمعالمها المعمارية الدينية وكذا تراثها غير المادي.. وهذا يجعلنا نتساءل، لماذا الغيل كانت أكثر المدن الحضرمية ضرراً؟ الله غالب.

---

* أستاذ التاريخ القديم - جامعة عدن.

• المراجع:

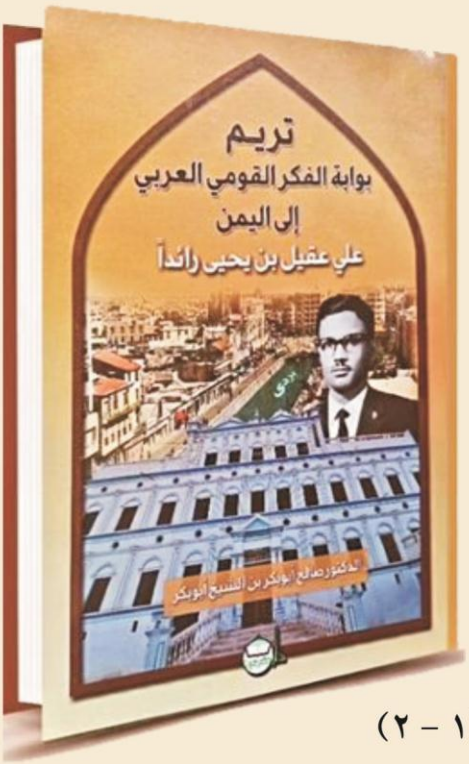
- د. محمد بن هاوي باوزير: مدينة العرفان غيل باوزير (٢٠١٠م) وكراسات في تاريخ حضرموت وتراثها (٢٠١٤م). وكتاب: بوسراجين شيخ المدارة وعاشق التراث، ط٢، (٢٠٢٠م).
- د. عدنان جروان: مدينة غيل باوزير (٢٠١٢م).
- أ. سامي بن شيخان: نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير، وأعلام ومشاهير من أسرة آل باوزير (٢٠٢١م).
- أ. عبدالله صالح حداد: تاريخ مساجد الشحر (٢٠٢١م).
- الشيخ مبارك باهمز: عادات رمضان في الغيل (مجلة التراث، عدد٤، نوفمبر٢٠٠٢م).
- سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي (٢٠١١م).

70
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

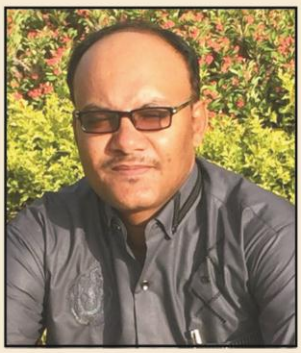
أصالةُ التَّحديث في مسار الفكر القومي عند علي عقيل

دراساته اللغوية والنقدية أنموذجاً

قراءة في كتاب
تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن



(١ - ٢)



د. زهير برك الهويمل

مهاد:

لقد أنصفَ المؤلفُ الدكتورُ صالح بن الشيخ أبو بكر عليَّ ابنَ عَقيلٍ في الكتاب المدروس الذي نحن بصدده؛ حينما جعله شريكًا له في التأليف، باعتماد بعض فصولٍ من تأليف علي عقيل ذاتِه كمادة لهذا الكتاب الذي بين أيدينا دون أن يمسَّها بيد التدخل من قريبٍ أو من بعيد.

إنّ البدايات الأولى التي تشكلت فيها بواكير الوعي الفكري لعلي عقيل كانت علاماتٍ مضيئة، يمكن للقارئ أن يقرأ من خلالها موجّهات، أسهمت في صنع مسارات ذلك الوعي الفكري، الذي أخذت السنون تغذّيه، والتجارب تنفخ في روحه حتى بدا جليّاً في مراحل متقدمة من عمر علي عقيل؛ لذا كان لا بد من الوقوف على تلك المراحل الطفولية، التي احتضنت هذه الشخصية، ورعتها حتى برزت على ما هي عليه من وعي مُتَّقِدٍ وذكاء حادٍّ، وغيرة على الأمة ومقدساتها، وقبل ذلك هويتها المسلوبة.

وقراءتنا إذ تستدعي طفولة علي عقيل لا تستدعي سرد تاريخها العام والخاص، بل تستدعي بعض المواقف التي مرَّت بها حياته، وكانت مسهمة في توجيه فكره القومي، ورسم ملامحه، وتغذية توجهاته، التي آمن بها واجتهد في سبيلها وناضل، وما ذلك بخفيٍّ على مُطّلع على سيرة الرجل، لكنَّ بحثنا سيمضي نحو وجهة محدّدة، يتتبع فيها مسار الوعي الفكري القومي، الذي بدا سبيلاً عامةً سلكها الرجل في حله، وأينعت في ترحاله؛ من خلال دراسة قضيتين محددتين، إحداهما تتعلق بالجهد اللغوي، والأخرى بالجهد النقدي عند علي عقيل. وقبل الولوج إلى مطلبَي البحث الرئيسين سيمر بحثنا بإيجاز على البدايات الأولى للبيئة، التي تشكَّل فيها الوعي الفكري لعلي عقيل عبر العنوانات الآتية.

71
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

أولاً: في قريته مسيلة آل شيخ:

في هذه القرية نمت شخصية علي عقيل في حضن أمٍّ رؤوم، كان لها الفضل الكبير في نمو شخصيته الحُرَّة، التي تمتلك قرارها من غير ما وصاية أو رسم خارطة طريق فكرية مسبقة، على الرَّغم من أنها أمٌّ غير متعلّمة كما يشير علي عقيل نفسه، وأنهما يعيشان في مجتمع محافظ ومنغلق فكريًّا، إلا أنها كانت حادة الذكاء، تعي قيمة التعليم، فحرصت على حصول ابنها على التعليم اللائق به؛ هي (السيدة مريم بنت أبي بكر شهاب الدين) من سكان منطقة الغرف، القريبة من مسيلة آل شيخ، قرية علي عقيل. أما أبوه فكان شيخًا كفيفًا، فقد تزوج من أمه وهو يفوقها سنًّا بقرابة ثلاثين عامًا، لكن علي عقيل لا يعرف عن والده إلا طَيفًا من ذكريات شيخٍ كان يتحسَّس رأسه، فتوفي وابنه ما زال طفلاً، لا يتجاوز السنوات الأربع.

كسر رتابة التقليد الفكري:

منذ صغره لم يكن علي عقيل ممّن يدينون بالولاء التام للموروث الفكري في نمط التعليم، والطاعة العمياء للحياة الفكرية التي نشأ فيها، فهو كما روت عنه ابنتاه: «**كان يكره التفكير التقليدي الضيِّق والتلقيني ويأنف منه**»(١). وهو التفكير السائد في غالب مدارس حضرموت آنذاك، سواء كانت مدارسها التعليمية، أو حتى مدرسة الحياة المجتمعية اليومية المعيشة. تعدُّ هذه النقطة مرحلة انطلاق فكريٍّ متحرِّر ينطلق منها طموح ذلك الفتى نحو آفاق من المعرفة، المواكبة لتحرُّر العقل البشري، فاختار لهذا الأفق سقفًا لا يتجاوزه فيما بعد نحو الانجراف إلى اللا قيود، فجعل سماء العروبة بما تحمله اللفظة من أبعاد جغروفكرية، هي الحد الذي لا يتجاوزه مسار تحرُّره الفكري، وتفلته عن النسق التقليدي، المنمَّط بتداعيات ورواسب فكرية تليدة، تقيد من امتداد فضائه الفكري البعيد، الممتد إلى ما يقع تحت أديم سماء العروبة.



علي عقيل بن يحيى

ثَمَّ مَلمَحٌ يجتلي فيه هذا المظهر الفكريُّ منذ طفولة علي عقيل، يبدو في سياق ابنتيه قائلتين: «**ولمْ يخلُ الأمر أحيانًا من مناقشات مرحة مع جدَّتَيْنَا اللَّتَيْنِ كانتا تحفظان القرآن، دون فهمه؛ إذ كان يسألهما عن معنى ما يقرآن، ويحاول بعد ذلك وعن طيب خاطر شرح الآيات القرآنية لهن**»(٢).

من هذا السياق يقرأ المتأمل بعمقٍ انجرار علي عقيل نحو الدلالة للنّص المقروء والمحفوظ، في حين كان البسطاء في مجتمعه منجرّين إلى الحفظ والتبرُّك بتلاوة المحفوظ. فتلمح بونًا في الأولويات الفكرية لدى علي عقيل تنبئك -وهو الطفل- عن فكرٍ مغايرٍ يحمله ومفارق ما هو مطّرَد من نهجٍ تعليمي تلقيني، وكأنه يريد أن يرسِّخ في مُعلمتَيه التقليديتَيْنِ (جدَّتَيْه) أن إعجاز القرآن يكمن في تدبُّر دلالته، وفهم معانيه حق الفهم لكل مدَّكر. وهو بذلك يشير إلى منهجية تتيح للفكر أن يعمل في التلقي العلمي، حين حاول أن يشرح بعض دلالات النص القرآني باجتهادٍ من ذاته.

كما تلمح تفتيشًا عن أسرار النّص القرآني في أسرار لغته العميقة، التي طالما فَتنتْ علي عقيل بروائع بديعها، وسحر بيانها، فكان إعجابه بجمال هذه اللغة وما تحمل من علومٍ، وأنظمة فكرية عميقة هو الدافع الأول والأبرز الذي غذّى مسارات الانبهار والانجذاب للهَمِّ العربي والقومي، حتى كبر معه في مراحل شبابه، وهو الأمر الذي سيحاول البحث بيانه في قادم الأسطر.

تيفَّعَ علي عقيل بفكر متفلِّت على رتابة الفكر التعليمي كما تنص على ذلك ابنتاه: «**لم يكن رغم صغر سنه متلقيًا، وكان يسعى دائمًا إلى ما هو أفضل؛ لهذا خرج بعقليته إلى نطاق أوسع، مختلفًا جذريًّا عمّا هو سائد من فكر تقليدي، وقد ظهر عليه هذا الفكر المنفتح بشكل واقعي وملموس طوال حياته**»[٣].

لعله لذلك لم تطل فترة دراسته في بعض الكتاتيب والمدارس الفقهية القائمة على التلقين والحفظ والتلقي؛ سواء في الغرف، أو حتى في بعض مدارس تريم، فكان انتقاله إلى مدرسة جمعية الحق التريمية؛ كونها من الجمعيات لإصلاحية والتنويرية في حضرموت عمومًا وتريم خصوصًا، فانخرط فيها كثير من الشباب المثقفين[٤].

مكتبة والده وأثرها في تنويره الفكري:

لا ينظر علي عقيل إلى اللغة العربية في مستواها التواصلي، والتخاطبي حسب، بل هي -عنده- بُعْدٌ حضاري وثقافي حيٌّ، يحكي هُوِيَّةَ قومٍ، ويتفاعل معهم في حياتهم اليومية، يتجدَّد ويتشكل كما يتجدد المجتمع ويتشكل في أبعاده الاجتماعية والأنثروبولوجية.

كان يناهز الثامنة من السنين حين طلعت به أمه إلى الطابق الثاني من البيت، وفتحت له غرفة صغيرة، كانت خزانة كتب والده، وقالت له: (أنت الآن تعرف ما هي هذه الكتب، فدونك هذه الغرفة وهذه الكتب، ولكن لا تخرجْ بكتاب منها خارجها[٥]. تشاء الأقدار أن يصاب علي عقيل بدماميل



د. صالح بن الشيخ أبو بكر

في قدمه، أقعدتْه عن الحركة إلى الخارج قرابة سنة كاملة، فكان يقضي غالب وقته خلال هذه العُزلة في غرفة الكتب، فشكلت هذه السنة في رصيده المعرفي زادًا ثرًّا نهل من علوم العربية وآدابها، فكان أكثر ما شدّه من الكتب (مقامات الحريري/ المُستطرف للأبشيهي/ العقد الفريد/ ...)

من هنا تعلَّق شغفُه القرائي بعلوم العربية وآدابها لا حفظًا وقراءة حسب، بل نظر إلى اللغة العربية بعمقٍ إلى حيث الهُوِيَّة والانتماء، خوّله ذلك النظر أن يتحمّل شيئًا من هَمِّ العرب وأحوال العروبة، فأعجب بالقومية العربية ونداءاتها الثورية وهو الشاب اليافع في مجابهة الفكر الاستعماري الخارجي؛ سواء العثماني أو الأوروبي، فكانت علاقته باللغة العربية ومحبتها تتنامى وتنامي ذلك الشغف القومي، بل هي من كانت تُغذِّيه من خلال ما سيتجلَّى من أثرٍ بَلَغتْه منه.

مفاتيح مكتبة آل بن يحيى مفاتيح وعي جديد:

على الرغم من أن قريته كانت صغيرة (مسيلة آل شيخ) لكنها كانت تجسد النقطة المضيئة التي استقى فيها علي عقيل بذرة القومية العربية، والفكر التقدمي الطليعي[٦]،

73
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

فقد كانت قريته ملتقًى لمثقفين، ولأناس طافوا العالم، واختمرت تجاربهم بمجتمعات أخرى، وعادوا ينظرون بعين النقد والإصلاح للمجتمع الحضرمي، كابن عمّته الصَّحفي الأديب محمد بن هاشم بن طاهر، وهو أحد رُوّاد التنوير في حضرموت، وأحمد بن عمر بن يحيى المثقَّف الثَّري؛ الذي أعطى علي عقيل مفاتيح مكتبة آل بن يحيى، فكان ذلك بمثابة نقلة فكرية أكثر نضجًا في حياته المعرفية، واتصاله بشخصيات، أضافت إلى ثقافته؛ إذْ نقلتْ له الخارج وعيًا وفكراً إلى قريته في الداخل، هيَّأتْ علاقته بأحمد بن عمر بن يحيى الذريعة في انتقاله المكاني إلى تريم، مع تلك النقلة المعرفية التي صاحبت ذلك.

الدراسات اللغوية في وعي علي عقيل:

سبق أنَّ للغة العربية دوراً بارزاً في توجيه مسار علي عقيل الفكري؛ لأنه وعاها وعيًا عميقًا، ولم يكن يتخذها وسيلةً تواصليةً مع الآخر حسب، بل تعمّق في سبر أغوارها مذ كان طفلاً صغيراً، يشرح معاني سور القرآن لجدَّتَيْه، وها نحن اليوم نتناول دراساتٍ لغويةً كتبها علي عقيل في الدرس اللغوي، ارتضى الدكتور صالح بن الشيخ أبو بكر أن يكون فيها علي عقيل شريكًا في تأليف كتابه الذي بين أيدينا، فكانت له فيه فصول، وإن كانت متقدمة في زمانها التأليفي على زمن الكتاب فإنها كانت فصولاً ذات مستوى راقٍ من المعرفة والفكر استطاع المؤلف (ابن الشيخ أبو بكر) أن يسبك تأليفها مع ما قدَّمه من محتوى الكتاب بأسلوب علمي رصين، بدا عليه المنحى الأبيستيمولوجي جليًّا، في منطقية الطرح، وعقلانية النقاش.

لقد عاب الحداثيون على أنصار المدّ القومي العربي رفضهم مواكبة الحداثة الوافدة من أوروبا، واتُّهِمُوا بالتقوقع والركون إلى مآثر الماضي التليد، المطوَّق جغرافيًا بحدود الأمة العربية. ومرَّ معنا مُسبَقًا منذ نشأة الوعي الفكري عند علي عقيل جنوحه إلى كسر طوق الرتابة التقليدية في التعلُّم

> **لا ينظر علي عقيل إلى اللغة العربية في مستواها التواصلي، والتخاطبي حسب، بل هي -عنده- بُعْدٌ حضاري وثقافي حيٌّ، يحكي هُوِيَّةَ قومٍ، ويتفاعل معهم في حياتهم اليومية، يتجدَّد ويتشكل كما يتجدد المجتمع ويتشكل في أبعاده الاجتماعية والأنثروبولوجية**

والفكر، والتطلُّع إلى التحرر الفكري من خلال المثاقفة العربية الواسعة ولا سيما في بلاد الشام؛ ومن هذا المنطلق كانت محدِّدات الوعي الفكري لديه تنشدُّ نحو وجهتين متقابلتين؛ وجهة الأصالة بوصفها وجهةً مجابهة للغزو الفكري الاستعماري من جهة، ورغبتها في التحرُّر من موروثات الفكر المحلي التقليدي، القائم على التلقين والحفظ من جهة أخرى، هذه المغالبة الفكرية شكَّلت لديه مساراً وسطيًّا، يقوم على قبول التحديث والتغيير ومواكبة العصر، شريطة أن ينطلق هذا التحديث من عمق الأصالة العربية، حين يعيش الواقع العربي أزمة تفاعل وتثاقف حقيقية، تفرضها اللحظة المعيشة، ولا تكون حداثة مفصَّلة جاهزة، يلبسها الأصيل دونما اندغام حياتيٍّ، ومعايشة فعلية لأزمات الواقع المعيش فكريًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا.

يمكن جلاء هذه الوجهة التحديثية الخاصة عند علي عقيل من خلال قراءة نماذج من مجهوده في الدراسات اللغوية، والأبحاث النقدية، التي كتبها واحتلت فصلين -دون مساس من يد المؤلف- في كتاب الدكتور صالح بن الشيخ أبو بكر؛ على النحو الآتي:

أولاً: أصالة التحديث في الدراسات اللغوية:

أوضح بحثُنا مدى تعلُّق علي عقيل باللغة العربية؛ وأنها الباعث الأكبر على اعتناقه الفكر القومي، إضافة إلى رفض الدخيل الأجنبي، سواءً العثماني أو الأوروبي لغزو البلاد العربية، وهي منهجية قامت القومية العربية على أساسها[٧]؛ لذا كتب علي عقيل أبحاثًا عميقة، تتناول اللغة العربية وواقعها، والمَخاطر التي مرّت بها إبَّان حركة النهضة العربية وموجات التغريب. سنقف على قضيتين منها بما يسمح به نطاق البحث؛ بهدف إجلاء منهجية الرجل التي ذكرناها في هذا العنوان.

أثر ازدهار اللغة العربية في بناء الدولة وحضاراتها:

ثمة رؤية عميقة الأبعاد، ممتدة الأثر، يكشف عنها علي عقيل في عنوان من عناوناته في دراساته اللغوية قائلاً: «أطوار نشوء العامية وعلاقة ازدهار اللغة العربية بقدرات العرب في بناء دولتهم وحضارتها»[٨].

يلحظ قارئ هذا العنوان وعيًا عميقًا ليس باللغة العربية حسب، بل بأثرها العميق حتى في تشكيل الملامح الحضارية للدولة، الأمر الذي جعل دراسة اللغة تمتدُّ على النِّطاق الأفقي بعد الغوص رأسيًا في عمقها، لتصل إلى المسار السياسي.

تلحظ هذا التحوُّلَ من المسار اللغوي إلى السياسي في فهم أبعاد اللغة العربية حين قال علي عقيل: «بدأ اللحن يفشو بين العرب عندما اختلط العجم بالعرب في تخوم الجزيرة العربية والبلاد التي فتحها المسلمون؛ كالعراق والشام ومصر، ولم يكن هناك معدى من ذلك أمام الموجات اللسانية المتلاقية، وإسراف العرب أنفسهم في الاختلاط بالأسر الأعجمية في حياتهم الداخلية عن طريق التسرّي والاستخدام ودخول الأعاجم هؤلاء في أعمال الدولة...»[٩].

هنا يقرأ القارئ امتعاضًا عند علي عقيل من الأعاجم وأثرهم، ليس اللغوي حسب، بل والسياسي، الذي جاء نتيجة اللحن اللغوي؛ وهو ما يُجليه تمامُ الفقرة السابقة: «فقد كتب أحدهم (يقصد الأعاجم) من كُتّاب أبي موسى الأشعري كتابًا فيه (من أبو موسى)، فكتب عمر بن الخطّاب إذا أتاك كتابي هذا فاجلد حامله سوطًا واعزله عن عملك»[١٠].

> **لقد كان علي عقيل من أنصار اللغة العربية الفصحى، والحفاظ عليها من موجات التغريب، وكان من مجابهي الدعوة إلى استخدام اللهجات الدارجة للتخاطب بديلاً عن اللغة المشتركة (الفصحى)، التي صمدت وظلت شامخة في وجه الاستعمار الأوروبي قديماً وحديثاً، بل ظلت هي الحصن الحصين، الذي لاذ به العرب والمسلمون خلال هجمات الصليبيين والمغول والإسبان والأتراك؛ كما يرى على عقيل بأنها اللغة لتي حَفظت للأمة العربية هُويَّتَها وشخصيتها كلما حافظ العرب عليها؛ لأنها اللغة القومية الموحِّدة لهم**

موقف علي عقيل من اللغة الدارجة:

لقد كان علي عقيل من أنصار اللغة العربية الفصحى، والحفاظ عليها من موجات التغريب، وكان من مجابهي الدعوة إلى استخدام اللهجات الدارجة للتخاطب بديلاً عن اللغة المشتركة (الفصحى)، التي صمدت وظلت شامخة في وجه الاستعمار الأوروبي قديمًا وحديثًا، بل ظلت هي الحصن الحصين، الذي لاذ به العرب والمسلمون خلال هجمات الصليبيين والمغول والإسبان والأتراك؛ كما يرى على عقيل بأنها اللغة لتي حَفظت للأمة العربية هُويَّتَها وشخصيتها كلما حافظ العرب عليها؛ لأنها اللغة القومية الموحِّدة لهم[١١].

إنَّ دراستنا تقرأ ثمَّ مكانًا وسطًا يقف فيه رأي علي عقيل الفكري نحو هذه القضية؛ وهو قبول دراسة المستشرقين للغات الدارجة للبلدان العربية التي تحكمها بلدانهم الاستعمارية آنذاك، وبعض الكُتَّاب العرب الذين نَحَوْا نحوهم؛ فهو يقول: **«ليس ثمة ما يحول دون دراسة اللغات الدارجة إذا تحدَّد هدفها الإيجابي، فالدراسة العلمية التي تحاول البحث في تطور ظهور هذه اللغة الدارجة وأسبابه، وربما ما تتضمنه من روح شعبية أو تسجيل أحداث تاريخية، وتحاول أن تتقصّى بقايا الكلمات الجاهلية أو المفردات ذات الأصل الفصيح، إن هذا النمط من الدراسة مطلوب؛ لأنه يفيد اللغة العربية الأم، وهذه مهمة من مهام خدمة التراث العربي، وآداب العربية نفسها... لكن الجانب السلبي الذي نهجه بعض المستشرقين في دراستهم للغة الدارجة هو الميل لتكريسها، وهو هدف مدمِّر للثقافة العربية»**(١٢).

إذن مما تقدَّم نعي أن منهجية علي عقيل لا تتصادى مع صيحات دعاة إحياء اللغات الدارجة، وتكريسها لتحل مع المشتركة الفصحى، وهو في المقابل أيضًا ليس مجابهًا لدراسة سياقات نشوء هذه اللغات، وقراءة الحضارات المصاحبة لتشكّلها، ومدى اتصالها باللغة الأم وافتراقها عنها.

تلك معطيات تضعنا أمام منهجية واعية منفتحة على التحديث ومواكبة دعاة قراءة اللغات الدارجة، لكنها في الوقت نفسه حذرة كلَّ الحذر من محاولات دسِّ السُّم في العسل من لدن المستشرقين؛ بمحاولة تكريس اللغات أو اللهجات الدارجة لتكون بديلة عن الفصحى؛ لأن هذا الأمر كفيل بأن يصيب اللغة المشتركة (الفصحى) في مقتل.

كما يبيّن علي عقيل بوعي عميقٍ خطرَ تكريسِ اللغات الدارجة، ووقوعها تحت هيمنة الثقافة الأوروبية، وإحلالها بديلاً عن الفصحى، في عزل العقل العربي عن تراثه وحضارته وثقافته؛ قائلاً: **«الإبقاء على اللغة العامية وهي لغة الأمية تعني الحيلولة ألاّ يقرأ الإنسان العربي أيَّ شيء عن ذخائر تراثه وحضارته وجهله بهذه الذخائر، حتى لو عرف العربية تجعله يعتقد أن المعرفة والعلم والثقافة تبدأ من أمة أخرى غير الأمة العربية، وفي تاريخ معيّن لا علاقة له بعصور الحضارة العربية...»**(١٣).

ومّما يؤكد وسطية الرؤية لدى علي عقيل فيما يتعلق بالصراع بين اللغة الدارجة والفصحى، مدحه ظهور لغة وسطى بين الفصحى التي يُتكلَّفُ فيها، والعامية الأمية؛ ويعني باللغة الوسطى لغة الإعلاميين والمثقفين في المؤتمرات والندوات، التي تجمع مشاركين من مختلف الأقطار العربية؛ حيث يتحدثون لغة وسطى: **«ليست بالعامية الخاصة بأقطارهم، وليست الفصحى المُعرّبة التي يظهر فيها التصنُّع والتكلُّف حتى يحين تطبيعها نهائيًا، وربما بالشكل المعرب دون ملاحظة أي تقعّر، وهذه خطوة واسعة إلى الأمام ولو لم تكن للمؤتمرات جدوى كثيرة إلا إشاعة هذه اللغة لكان ذلك في حد ذاته مفيداً»**(١٤).

من هنا نعي أن منهجية علي عقيل الفكرية ليست عقلية متحجرة متصلبة عند حدود الموروث التليد، بل هي عقلية منفتحة على التحديث، لكن شريطة أن يكون هذا التحديث منطلقًا من عمق الأصالة، ولا يكون ارتماءةً في أحضان الوافد الدخيل بالقول: (هيتَ لك) من دون أن نشقَّ عنه جيوب التفتيش والبحث والتحليل.

الهوامش:

(١) تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن، علي عقيل أنموذجًا: ص: ٧.

(٢) السابق: ٧.

(٣) السابق: ٦.

(٤) ينظر، السابق: ٥٤.

(٥) السابق: ٤٩.

(٦) السابق: ٦.

(٧) ينظر، القومية العربية والوحدة الكبرى: أنور الجندي، الدار القومية للطباعة والنشر، ص٣.

(٨) تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن: ٢٧٩.

(٩) السابق: ٢٧٠.

(١٠) السابق نفسه.

(١١) ينظر، السابق: ٢٧٨.

(١٢) السابق نفسه.

(١٣) السابق: ٢٨١.

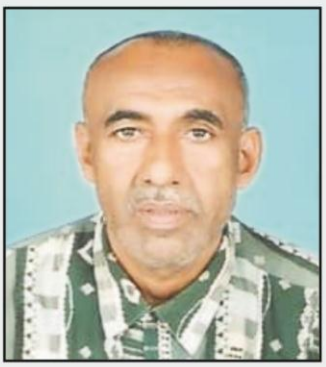
(١٤) السابق: ٢٨٤.

76
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

تعليم البنات بتاربة



(الجزء الثالث - الأخير)



عوض سالم غريبان

كيف سار التعليم النظامي للبنات في منطقة تاربة في بدايته الأولى؟

في واقع اكتنفه الجهل كان من الطبيعي أن تكون البداية صعبة، وأن تكون طريق تعليم البنات ليست مفروشة بالورد والرياحين، وقد برزت ملامحه في:

- تركة مثقلة من الجهل.
- مقاومة بعض الأسر لإدخال بناتها للتعليم النظامي الحكومي.
- قلة أعداد مَنْ يلتحقْنَ بالتعليم.
- تسرب التلميذات من الدراسة بشكل كبير.
- الإجراءات الشديدة التي اتخذت من السلطة الثورية من أجل تعليم البنات.

لقد كان العام الدراسي الأول ١٩٧٠/ ١٩٧١م مباركًا، وكان العدد مقبولاً للدفعة المؤسسة لتعليم البنات في منطقتنا تاربة في مثل هذا الواقع، غير أن طرق متابعة غياب المنقطعات عن الدراسة، ثم إجراءات السلطة بهذا الشأن، واختلاط الجنسين (بنين وبنات) بعد ذلك قلل أعداد الملتحقات بالمدرسة الابتدائية للبنات بتاربة، ثم في فترة أخرى وبعد أن نقصت وتلاشت تلك المعوقات صار الالتحاق بمدارس البنات حسنًا.

وللتمثيل على الإجراءات التي صدرت ومثَّلت خوفًا وقلقًا للآباء من إلحاق البنات بالتعليم في مرحلة البداية، وهي تنطبق على عدد من المدارس والمناطق، وبرزت في القرى أكثر من المدن:

- ففي عام ١٩٧٣م صدر قرار محافظ المحافظة الخامسة بمنع سفر العائلات، وبالتحديد تلك التي أطفالها في سن الدراسة، أو الخريجين في الكليات، ودار المعلمين والمعلمات.

- في رسالة من مشرف التعليم بالمديرية الشمالية إلى إدارة المدرسة الابتدائية للبنات بتاربة محررة بتاريخ ٣/ ٤/ ١٩٧٦م: ((على خطابكم... المختص بزواج الطالبة أعلاه... عليكم إعطائها إجازة مدة أسبوع فقط بعد كتابة تعهد على زوجها وأبيها باستمرارها بالمدرسة حتى الصف السادس الابتدائي)).

مثل هذا الإجراء يمثل حالة طيبة بما فيه من مرونة، ولكن هل ظلت هذه الحالة مستمرة؟

- في منشور من وزارة العدل والأوقاف في عام ١٩٧٧م: ((يمنع تزويج الفتيات اللواتي في مرحلة الدراسة الإعدادية ولو بلغنَ السن القانونية)).

- وفي رسالة موجَّهة من رئيس المحكمة الجزئية بسيئون بتاريخ ١٤/ ٢/ ١٩٧٧م إلى المأذون الشرعي بحي تاربة: ((وعليه وبناء على المنشور رقم (٢) لعام ١٩٧٧م أوقفوا عقد النكاح للبنت المذكورة... حتى تكمل الدراسة الإعدادية)).

بالتأكيد أن مثل هذه الإجراءات والقوانين ستولّد حالة من الخوف والقلق لدى الأسر، وستسمع من الآباء من يقول: لماذا ألحق ابنتي بالمدرسة، وسأتعرض لكل تلك الإجراءات؟ أليس من الأفضل أن أتركها تتعلم في الكتّاب، أو في المدرسة الأهلية؟

وبعد تجاوز هذه المرحلة، وبوعي الأسر وإدراكها أهمية التعليم زادت نسب الالتحاق بالتعليم الابتدائي، ثم الإعدادي والثانوي والجامعي في يومنا هذا، ولا مجال للمقارنة بين أعداد الملتحقات بالتعليم في أعوام التأسيس وفي يومنا هذا.

وحتى تكون الصورة واضحة وغير مخفية يمكن إبراز بعض الأرقام لأعداد الدارسات في بعض السنوات في الثمانينيات وما بعدها، وبما في ذلك سنوات التعليم المختلط.

> في عام 1973م صدر قرار محافظ المحافظة الخامسة بمنع سفر العائلات، وبالتحديد تلك التي أطفالها في سن الدراسة، أو الخريجين في الكليات، ودار المعلمين والمعلمات

> في منشور من وزارة العدل والأوقاف في عام 1977م: ((يمنع تزويج الفتيات اللواتي في مرحلة الدراسة الإعدادية ولو بلغنَ السن القانونية))

أنشطة متنوعة ومراكز متقدمة

عند تأسيس المدارس النظامية في بلادنا شهدت تلك المدارس أنشطة متنوعة، وكان للمدرسين والطلاب الدور البارز في إنجاح هذه الأنشطة؛ إذ يتوزع الطلاب على جمعيات الأنشطة الموجودة في المدارس منذ بدء العام الدراسي، ويشرف أعضاء الهيئة التعليمية على هذه الجمعيات، كما تقيم المدرسة المعارض العلمية والفنية والتراثية، والأعياد المدرسية والرحلات الاستطلاعية.

ومدارس البنات ليست غائبة عن هذه الأنشطة، فلها نصيبها وأنشطتها المتنوعة والمتميزة، مثل: أنشطة الجمعيات العلمية، والصحافة المدرسية، والجلسات الأدبية، والفنون والرسم، ولعبة الطاولة والريشة.

ولم يقف الأمر عند ممارسة هذه الأنشطة في المدارس، بل تقام المنافسات فيما بينها، وتحصد بعضها مراكز متقدمة، ومدرسة السيدة فاطمة الزهراء بتاربة واحدة من تلك المدارس التي وصلت إلى تلك المراكز المتقدمة، وانتزعت عدداً من البطولات في سنوات مختلفة، ولا عجب في أنها حققت المركز الأول في ثلاث منافسات من المنافسات التي نظمت في الأسبوع التربوي العاشر: في عمل المجسَّمات، وفي المسرح، وفي المسابقة الثقافية، والشهادات التقديرية والدروع التي منحت للمدرسة هي خير شاهد على ما نقول.

والجمعيات التي نشطت بالمدرسة خلال السنوات الماضية هي:

- جمعية القرآن والتربية الإسلامية.
- جمعية الثقافة والجلسات الأدبية.
- جمعية الصحافة.
- جمعية الإذاعة المدرسية.
- جمعية النظافة والصحة.
- جمعية التدبير المنزلي.
- جمعية الأعمال والزينات.

ومن أنشطة مدرسة السيدة فاطمة الزهراء بتاربة التي تمارس في واقع المدرسة:

الإذاعة المدرسية:

لقد أسهمت الإذاعة المدرسية بمدرسة السيدة فاطمة الزهراء للبنات بتاربة في إبراز الأنشطة والفعاليات المدرسية من خلال الآتي:

- تبني برنامج الطابور الصباحي اليومي بتنوع مادته المقروءة.
- قراءة الأخبار والتوجيهات الصادرة من إدارة المدرسة، ومكتب التربية والتعليم.
- قراءة أسئلة المسابقات الثقافية والمنهجية.
- قراءة فقرات الجلسات الأدبية.
- قراءة برامج الاحتفالات، والتكريم، والأعياد المدرسية.

الصحافة المدرسية:

وهذه لها دورها في نشر المعرفة والوعي لدى الطلاب والطالبات، وإبراز مواهبهم في مجال الخط والرسم، وفي كتابة المقال والشعر والقصة والمسرحية، ويتجلى ذلك من خلال مجلة الصف الدراسي (المجلات الحائطية)، ومجلة المدرسة، والنشرات المطبوعة المتنوعة.

ومن النشرات المطبوعة التي أصدرتها المدرسة:

- **الزهراء**: وتصدر عن المدرسة في المناسبات والأعياد المدرسية.
- **الصحة**: وتصدر عن جمعية الصحة المدرسية.
- **المائدة الطيبة**: وتصدر عن جمعية التدبير المنزلي.
- **الموروث الأدبي**: فكرة وإعداد المدرِّسة نجلاء صالح عبدالله العامري.
- **نشرة في مدرستنا إبداع**: فكرة وإعداد وكيل المدرسة الأستاذ: خالد عوض مطيري حميد، وتبرز منافسة الطالبات في مجال كتابة المسرحية.
- **نشرة مسابقة شاعرة المدرسة**: فكرة وإعداد وكيل المدرسة الأستاذ خالد عوض مطيري حميد، ويتم من خلالها إبراز إبداعات الطالبات في مجال كتابة القصيدة، وتقديم الحافز لأفضل نص شعري على مستوى المدرسة.

المسابقات الثقافية والمنهجية:

وهذه يتم من خلالها شحذ عقول التلميذات، وتوجيههن إلى البحث عن المعلومة، ومراجعة الدروس، وقد تنوعت هذه المسابقات لتحقق الفائدة منها، فكان منها:

- المسابقة المنهجية.
- المسابقة الثقافية العامة.
- مسابقة الصف النموذجي.
- مسابقة شاعرة المدرسة.
- مسابقة كتابة النص المسرحي.

أما الجمعيات الأخرى فلها نشاط، ولكنه يبرز من فترة لأخرى، أو من عام لآخر، وفي الأعياد المدرسية.

79
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

الملاحق

جداول إحصائية

المدراء والوكلاء والاختصاصيون الذين عملوا بمدرسة السيدة فاطمة الزهراء للبنات بتاربة من عام التأسيس ١٩٧٠/ ١٩٧١حتى ٢٠٢٠/ ٢٠٢١م

المدير	الوكيل	الاختصاصي الاجتماعي	الأعوام
الأستاذة: سماحة سالم باجبير			١٩٧٠/ ١٩٧١م
الأستاذة: صفية أحمد مبارك			١٩٧٠/ ١٩٧١-١٩٧٤/ ١٩٧٥م
الأستاذة: شفيقة أحمد شملول			١٩٧٥/ ١٩٧٦م
الأستاذ عبدالرحمن مصطفى العيدروس			١٩٧٥/ ١٩٧٦م
الأستاذة: زينب صالح بن جبير			١٩٧٦/ ١٩٧٧م
الأستاذ: هاشم عامر العامري			١٩٩٢/ ١٩٩٣-١٩٩٦/ ١٩٩٧م
الأستاذ: عبدالرحمن مصطفى العيدروس			١٩٩٧/ ١٩٩٨-٢٠٠٠/ ٢٠٠١م
الأستاذ: سالم أحمد السكوتي			٢٠٠١/ ٢٠٠٢-٢٠١٩/ ٢٠٢٠م
الأستاذ: خالد عوض مطيري حميد			٢٠٢٠/ ٢٠٢١م
	الأستاذ: أبو بكر أحمد الزبيدي		١٩٩٢/ ١٩٩٣-١٩٩٤/ ١٩٩٥م
	الأستاذ: سالم عرفان الشيخ		١٩٩٥/ ١٩٩٦-١٩٩٦/ ١٩٩٧+
			٢٠٠٢/ ٢٠٠٣-٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م
	الأستاذ: سالم أحمد السكوتي		١٩٩٧/ ١٩٩٨-٢٠٠٠/ ٢٠٠١م
	الأستاذة: نجلاء صالح العامري		١٩٩٨/ ١٩٩٩م
	الأستاذة: زهراء عبيد عليان		٢٠٠٠/ ٢٠٠١-٢٠٢٠/ ٢٠٢١م
	الأستاذ:خالد عوض مطيري حميد		٢٠١٣/ ٢٠١٤-٢٠١٩/ ٢٠٢٠م
		الأستاذة: نجلاء صالح العامري	٢٠٠٧/ ٢٠٠٨-٢٠٢٠/ ٢٠٢١م

أما المدرسة الموحدة بتاربة للبنين، فيمكن الرجوع إلى كتابنا (الهيئات التعليمية بالمدرسة الابتدائية بتاربة) الصفحات (٤٠ - ٧١).

جدول يبين تطور أعداد الدارسات لثماني سنوات من عام التأسيس ١٩٧٠/ ١٩٧١حتى ٢٠١٩/ ٢٠٢٠م

العام	الشعب	العدد	ملاحظات
١٩٧٠/ ١٩٧١م	شعبة واحدة	٣٧	عام التأسيس
١٩٧٥/ ١٩٧٦م	خمس	٢٠٢	
١٩٨٣/ ١٩٨٤م	-	١١١ بنات ٤١٤ بنين	المرحلة الموحدة تعليم مختلط
١٩٨٩/ ١٩٩٠م	-	٢٧٩ بنات ٥٨٨ بنين	المرحلة الموحدة تعليم مختلط
١٩٩٢/ ١٩٩٣م	١٠	٣٧٤	
١٩٩٧/ ١٩٩٨م		٥٤٤	
٢٠١١/ ٢٠١٢م	١٦	٨٠٤	
٢٠١٩/ ٢٠٢٠م	١٨	٨٤٥	

ملاحظات :

- عام التأسيس كانت البداية طيبة، إذ كان التعليم مستقلاً عن البنين حتى العام الدراسي ١٩٧٦/ ١٩٧٧م.
- الأعوام من ١٩٧٧/ ١٩٧٨ حتى ١٩٩١/ ١٩٩٢م تغير السلم التعليمي (المرحلة الموحدة)، وصار التعليم مختلطًا، فقل دخول الدارسات، وظهر ذلك خلال عامين من أعوام الاختلاط.
- العام الدراسي ١٩٩٢/ ١٩٩٣م استقلت مدرسة البنات عن البنين إداريًا وفنيًا، فكانت الزيادة في إقبال الفتيات على التعليم.

جدول يبين أعداد التلميذات من مجموع أعداد التلاميذ لأربع سنوات من سنوات التعليم المختلط

العام الدراسي	عدد التلاميذ	عدد التلميذات	المجموع	النسبة	ملاحظات
١٩٨٣/ ١٩٨٤م	٤١٤	١١١	٥٢٥	٢١٪	
١٩٨٥/ ١٩٨٦م	٥١٨	١٧٤	٦٩٢	٢٥٪	
١٩٨٦/ ١٩٨٧م	٥٣٨	٢١٧	٧٥٥	٢٩٪	
١٩٨٩/ ١٩٩٠م	٥٨٨	٢٧٩	٨٦٧	٣٢٪	
الإجمالي	٢٠٥٨	٧٨١	٢٨٣٩	٢٨٪	

مدارس البنات النظامية (الحكومية) بتاربة

م	المدرسة	عام التأسيس
١	مدرسة البنات الابتدائية/ مدرسة السيدة فاطمة الزهراء بتاربة	١٩٧٠/ ١٩٧١م
٢	ثانوية البنات بتاربة [١]	١٩٩٩/ ٢٠٠٠م
٣	مدرسة حراد للبنات بتاربة [٢]	٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م
٤	مدرسة القارة للبنات بتاربة [٣]	٢٠٠٩/ ٢٠١٠م

١) بدأت بإدارة مشتركة مع البنين، ثم عينت مديرة لها الأستاذة سامية أحمد سالم بن سلمان في العام الدراسي ٢٠٠٦/ ٢٠٠٥م، وكانت قد عينت وكيلة مع الإدارة المشتركة لعامين سابقين، وهي المديرة في عامنا الدراسي هذا.

٢) بدأ التعليم مختلطا مع مدرسة الوادي بتاربة، ثم استقل تعليم البنات عن هذه المدرسة في العام المحدد أعلاه.

٣) بدأ التعليم مختلطًا في هذه المدرسة في العام الدراسي ١٩٩٠/ ١٩٨٩م، ثم استقلت في العام المحدد أعلاه.

جدول يبين أعداد التلميذات لخمسة أعوام متتالية بمدرسة السيدة فاطمة الزهراء للبنات بتاربة ٢٠١٢ /٢٠١١حتى ٢٠١٥/ ٢٠١٦م / الصفوف أولى - ثامنة

العام الدراسي	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة	سادسة	سابعة	ثامنة	الإجمالي
٢٠١١/ ٢٠١٢م	١٠٤	١٠٤	١١٦	٩٢	١٠٧	١٠٨	٩٠	٨٣	٨٠٤
٢٠١٢/ ٢٠١٣م	٧٤	١٠٥	١٠٣	١١٣	٩٥	٩٧	١٠٦	٨٥	٧٧٨
٢٠١٣/ ٢٠١٤م	١٠٠	٧١	١٠٦	١٠٠	١٠٧	٩٨	٩٥	١١٣	٧٩٠
٢٠١٤/ ٢٠١٥م	١٠٧	٩٩	٧٠	١١١	٩١	١٠٤	٩٨	٩٩	٧٧٩
٢٠١٥/ ٢٠١٦م	٨١	١٠٦	٩٧	٦٦	١١٢	٩٢	١٠٢	٩٤	٧٥٠
الإجمالي	٤٦٦	٤٨٥	٤٩٢	٤٨٢	٥١٢	٤٩٩	٤٩١	٤٧٤	٣٩٠١

الخاتمة

بتوفيق من الله العلي القدير وصلت إلى نهاية بحثي هذا عن (تعليم البنات بتاربة)، وقد عملت من خلاله على الابتعاد عن الطريقة التي اتبعتها في سرد الهيئات التعليمية كالكتب السابقة التي أصدرتها عن بعض مدارس تاربة لخصوصية تعليم البنت من ناحية، ولأن عدداً من الإدارات والهيئات التعليمية كانت مشتركة للبنين والبنات عندما أخذ بالسلم التعليمي نظام ثماني سنوات، وعرف بالمرحلة الموحدة من ناحية ثانية.

لقد تركز البحث في ثلاثة عنوانات أساسية، هي:

- تعليم البنات في الكتاتيب.
- تعليم البنات في المدارس الأهلية.
- تعليم البنات في المدرسة النظامية (الحكومية) بتاربة، والمدرسة الابتدائية للبنات/ مدرسة السيدة فاطمة الزهراء بتاربة أنموذجًا.

وفي نهاية البحث قدمت بعض الملاحق كشواهد على تطور تعليم البنات بتاربة، وأنشطة المدرسة، وذلك من خلال الجداول الإحصائية.

أرجو الله تعالى أن ينفع بهذا العمل الذي وثقت من خلاله تاريخ تعليم البنات بتاربة كل من قرأه، وأن يجازيني به الجزاء الأوفى، إنه سميع مجيب.

مراجع البحث

- أحمد علي الحاج محمد، التعليم اليمني جذور تشكله واتجاهات تطوره/ دار الشوكاني للطباعة والنشر – صنعاء.
- عوض سالم غريبان، الهيئات التعليمية بالمدرسة الابتدائية بتاربة ١٩٦٣/ ١٩٦٢م/ إصدار محلي ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
- عبداللطيف عبد الله الكسادي، التعليم في حضرموت .. الحامي نموذجًا دار الحامي للدراسات والنشر/ الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- ملف سير التعليم بمدارس مركز سيئون رقم ١٠٢/ س/ ٧٦/ ٧٧ – أرشيف التربية بنادي المعلم بسيئون.
- ملف سير التعليم بالمدرسة الابتدائية للبنات بتاربة رقم ٢٦/ س/ ٧٠/ ٧١ أرشيف التربية بنادي المعلم بسيئون.
- ملف أدوات مدرسة تاربة الابتدائية للبنات رقم ١٥/ د/ ٧٠/ ٧١ – أرشيف التربية بنادي المعلم بسيئون.
- ملف سير التعليم بالمدارس الأهلية بأرشيف التربية بنادي المعلم بسيئون.
- ملف التنقلات بمدرسة السيدة فاطمة الزهراء بتاربة – منشور برقم ٤٦/ ٣٢/ ٢٩/ أبتاريخ ١٧/ ٢/ ١٤١٣هـ الموافق ١٥/ ٨/ ١٩٩٢م.
- كشف بتنقلات مدراء المدارس ومساعديهم والنواب السياسيين بمدارس المديرية الشمالية صادر بتاريخ ١/ ٣/ ١٩٧٧م.
- مجلة (التنوير) الصادرة عن رباط تاربة (المدرسة العيدروسية)/ العدد (الأول) من مقال للأستاذ حسين إسماعيل محمد العيدروس.
- مقابلات مع بعض الشخصيات التي ارتبطت بمدرسة البنات بتاربة.

تنويه واعتذار

تعتذر هيئة تحرير مجلة (حضرموت الثقافية) عن وضع اسم إنجرامس سهوا تحت صورة الشيخ العبد بن يماني في العدد (32)، ص 53 من مقال (تحول الهوية العرقية والطائفية لسكان حضرموت في القرنين العشرين والحادي والعشرين).

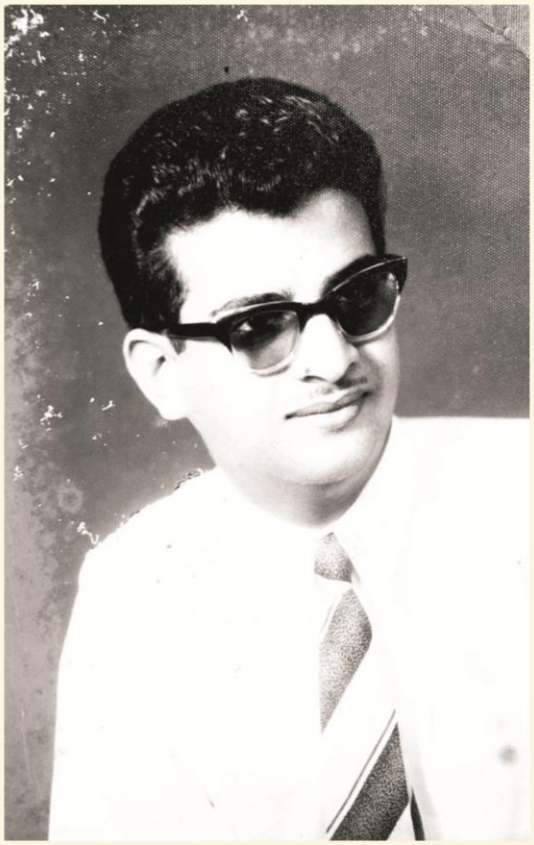


الشيخ العبد بن يماني

82
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

أضواء على أديب حضرمي أهملته الأضواء

علي محمد حميد



ولد علي محمد حميد سنة ١٩٤٣م في مدينة الشحر، على ساحل حضرموت بجنوب الجزيرة العربية، استأثرت به الهجرة في بلدان وسط الجزيرة والخليج العربي، فهاجر مبكراً إلى الحجاز، حيث عاش شطراً من عمره في مدينة جدة، على ساحل البحر الأحمر، ثم عاد إلى مدينة الشحر، حيث اختار شريكة حياته، وتزوج في صيف عام ١٩٦٦م.

لكن عنت له ظروف جعلتْه يغادر مرة أخرى، فانطلق إلى الكويت لحين من الزمان، ثم سافر إلى مدينة أبوظبي، واستقر به العيش هناك مع عائلته، واكتسب الجنسية الإماراتية العربية، ومكث في مدينة دبي يعمل في التجارة.



د. أحمد هادي باحارثة

نبُه علي حميد ككاتب عربي حصيف في صحافة الستينيات من القرن المنصرم، امتازت كتاباته بقوة النقد الاجتماعي، ووضوح الرؤية الفكرية، وقد تنوعت مجالات الكتابة عنده من النقد الأدبي، إلى القصة القصيرة، إلى المقالة التي عالج فيها شؤونًا اجتماعية وسياسية وقضايا عامة، وكان ينشر مقالاته باسمه الصريح غالبًا، لكنه عند معيشته المبكرة في الحجاز بمدينة جدة كان يرسل مقالاته إلى الصحف لتنشرها باسم مستعار هو (ابن الشاطئ)، وتخلى عنه بعد عودته للشحر، إذ استأنف الكتابة باسمه الصريح مجدداً.

وفي نهاية الستينيات انشغل عن الكتابة بأمور حياتية أخرى شغلته عن الاستمرار فيها، أي إن عطاءه في الكتابة كان في ما بين العقد الثاني والثالث من عمره، وهي التي تمثل لباب

تاريخه الثقافي والأدبي الذي وإن قصر زمانًا زخر عطاءً وإبداعًا، ولاسيما في كتابة المقالة.

أما الصحف التي وضع فيها حميد كتاباته فهي صحف الطليعة، والرائد، والرأي العام، وجميعها صدرت بمدينة المكلا في الفترة ما بين مايو ١٩٥٩م، وديسمبر ١٩٦٧م، كانت المكلا حينها عاصمة لسلطنة تدعى السلطنة القعيطية في حضرموت، وكان من مدنها مدينة الشحر مسقط رأس حميد ومثوى عائلته، وهي تعد من أقدم الموانئ العربية في جنوب جزيرة العرب، وأنجبت عدداً من المثقفين البارزين، الذين انطلقوا منها إلى مهاجر مختلفة في الخليج والبلاد العربية وجنوب شرق آسيا.

وأكثر صحيفة كتب بها هي الرأي العام، تليها الرائد، وكان له في هذه عمود تحت عنوان (مجرد رأي)، ثم اتخذ له في الرأي العام باباً بعنوان (كلمات تمر)، غالباً يكتب فيه عن أكثر من موضوع تحت عناوين فرعية، ولم يكن حميد متفرغًا للكتابة؛ إذ كانت له انشغالاته في طلب رزقه، ولم يكن يرى في نفسه كاتباً محترفًا يلتزم لصحيفة بالكتابة؛ لذا قد يتعرض للوم محرريها على انقطاعه في الكتابة، فيقول حميد:

"يطالبني بالكتابة المستمرة الدائمة وكأنني محترف، أو كأنني أحد محرري الرأي العام، ناسيًا أو أخاله متجاهلاً ارتباطي الصميم بعمل أقضي سحابة نهاري كله منكبًا على إنجازه، وأحيانًا بعض ساعات ليلي، ومنه وحده أقتات، ومن ناتج جهدي في نطاقه أعيش، ومطالبته إياي بالكتابة ولومه أحيانًا بل وتقريعه أحيانًا أخرى لتقاعسي دليل حسن ظن لا أملك إزاءه إلا الثناء والتقدير". كلمات، علي محمد حميد، الرأي العام ع١١٥، ١٣/ ٧/ ١٩٦٦م، ٦.

ثم قال: في ذات الوقت الذي تتعاظم فيه الحاجة عندي إلى وأد هذه الغرسة اللعينة، إلى قتلها، إلى الخلاص منها كليًا، إن ثمة وجوداً حقيقيًا لها. نفسه.


كيف نوجد حركة وطنية .. ومن اين نبدأ؟

إحدى مقالات علي محمد حميد في صحيفة (الرائد)

وهو ما صنعه حميد أخيراً، فوأد عنده غرسة الكتابة، وتخلص منها كليًا، بعد رحلة مع الكتابة استمرت نحو ثماني سنوات، وذلك عند استقراره مواطنًا في دبي، حيث عكف على العمل التجاري منذ السبعينيات في مدينة انفتحت لها أبواب الرزق، وغدت قبلة للتجارة العالمية، وثاني مدن دولة الإمارات العربية المتحدة، فهو أشبه بمشروع كاتب وأديب كبير لم يكتمل، واستودع ما تقدم من حصاده الثقافي في ذمة أوراق الصحف.

امتلك علي محمد حميد ناصية الكتابة الأدبية في سن مبكرة، مع ثقافة عميقة، وفهم واسع لأبعاد الصياغة الأدبية، وسبل نقدها، وإذا كان أول مقال له نراه منشوراً كان في عام ١٩٥٩م بدا فيه رصينًا في مضمونه، محكمًا في صياغته، فإننا قد نشك في تاريخ ميلاده بسنة ١٩٤٣م، أي إن سنه لم يكن تجاوز السادسة عشرة، وهذا لا يتحقق إلا لشخصية فذة

بحيث نشرت تلك الأفكار والآراء العميقة، والمتعددة الاتجاهات في سن قياسي، استوعب خلاله مقاليد الكتابة، وتفاعل فيه مع مقتضيات عصره، ومتطلبات مجتمعه.

ففي المقالة امتاز برشاقة الكلمات، وإحكام سبك العبارة، وعمق في التحليل، وانسيابية في الطرح ينبئ عن قلم يمتح من قلب صادق، وينضح بالغيرة على ما يتناوله، والإخلاص لقضاياه التي يتبناها، وفي القصة القصيرة نراه يكتبها عن وعي لشرائطها، وإدراك لمعالمها، وإن التزم في أسلوبها بناء واحداً، فهذا دال على أنه وجده لصيقًا بنفسه، قادراً عبره على إشباع رسائله المتوخاة من قصصه.

وقد هيمن الطابع الاجتماعي على كتاباته القصصية والمقالية على السواء، فهو منذ يفاعته وهو غير راض عن ما يعتمل في مجتمعه الذي عاش فيه، فقام بتسخير إبداعه في واجب النصح، والتوجيه عبر الكلمة الأدبية بفنَّي المقالة والقصة.

فمما عالجه في كتاباته قضايا التجار وتلاعبهم بالأسعار، واستغلال الآخرين في المعاملات الجائرة، وأشار لسوء تعامل بعض موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين مع مواطنيهم، وتطرَّق لموضوع مكانة المرأة في مجتمعها بين مَنْ يدعوها للانحلال، وبين من لا يرضى لها سوى الأغلال، وعرَّج على وظيفة الصحف ورسالتها التنويرية، وتعبيرها عن تطلعات المجتمع، وتناول قضايا أخرى متنوعة.

كما كتب علي حميد المقالة النقدية، فانتقد أربع قصص قصيرة، نشرت في صحف المكلا، لعدد من القصَّاص، وانتقد مسرحيتين، إحداهما اجتماعية بعنوان (آخر ربوع) نشرت في صحيفة الطليعة، والأخرى مسرحية تاريخية عن معركة القادسية، مثلت على خشبة المسرح بمدينة المكلا في حضرموت.

أما القصة القصيرة فكتب علي حميد أربعًا منها، عناوينها هي (صورة الطفل)، و(بقايا امرأة)، و(قمة الشقاء)، و(عمتي مع السلامة)، فولج عبرها إلى ما يحدث بين جدران

امتلك علي محمد حميد ناصية الكتابة الأدبية في سن مبكرة، مع ثقافة عميقة، وفهم واسع لأبعاد الصياغة الأدبية، وسبل نقدها، وإذا كان أول مقال له نراه منشوراً كان في عام 1959م بدا فيه رصيناً في مضمونه، محكماً في صياغته، فإننا قد نشك في تاريخ ميلاده بسنة 1943م، أي إن سنه لم يكن تجاوز السادسة عشرة، وهذا لا يتحقق إلا لشخصية فذة بحيث نشرت تلك الأفكار والآراء العميقة، والمتعددة الاتجاهات في سن قياسي، استوعب خلاله مقاليد الكتابة، وتفاعل فيه مع مقتضيات عصره، ومتطلبات مجتمعه

البيوت من مآس، ناتجة عن غياب رب الأسرة بسبب وفاته أو هجرته، أو عن مكايد سيدة البيت مع زوجة ابنها، أو قسوتها مع بعض خدم البيت.

حتى إذا ما اطمأن حميد أنه قد قال كلمته في مجتمعه الكبير، واستعمل إبداعه في بذل نصحه، التفت لنفسه ولمجتمعه الصغير العائلي؛ فكما هي عادة العربي في الترحال عن الديار، والبحث عن بدائل للاستقرار، أعمل حميد إبداعه في سوق التجارة؛ ليضمن لأسرته العيش الرغيد والمقام الكريم، وقد بادلته دولة الإمارات المتحدة الوفاء بالوفاء، فحاز جنسيتها، ونال امتيازاتها، حتى أنه قد سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعلاج على حسابها في آخر عمره، لكن واتته المنية التي لا تطيش سهامها سنة ١٩٩٩م، وحمل جثمانه إلى مدينته دبي؛ ليستقر في مقبرة القصيص. ولعل جهداً يلم شتات هذا الأديب المجهول، ويسلط عليه دراسة وافية وعميقة.

85
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

مِن أخبَارِ الشَّيخِ المَكّي:
سَعِيْد بن صِدِّيق جَان بِحَضْرَمَوْت ١

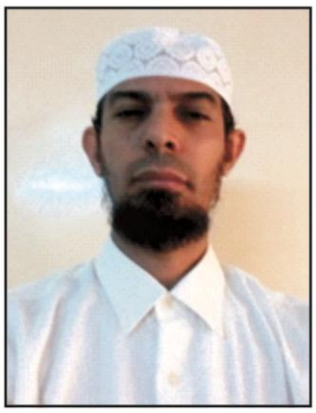


مُقدِّمَة:

الحَمْدُ لله الواحد المَنَّان، خالق الإنس والجَان، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد وَلَد عَدْنَان، المَبْعوث رَحْمَةً للأكْوَان، وعَلَى آله الطَّاهرين، وصَحْبِه الأعْيَان، والتَّابعين لَهمْ بإحْسَانٍ عَلَى مَدَى الدُّهُور، وكَرِّ الأزْمَان.

وبَعْدُ: فهذه جُملةٌ من أخْبَار شَيْخ شُيُوخنا: الشَّيْخ سَعِيد بن صِدِّيق جَان، سَمَّيتُهَا: (سَلَّةَ المُرْجَان في جمع بَعْض أخْبَار الشَّيْخ سَعِيد جَان)، وأسألُ اللهَ أنْ ينفعَ بِهَا القاصي والدَّان؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ واسعُ الجُود والرَّحْمَة والرِّضْوان.

وهذا أوانُ الشُّروعِ في المَقْصُود.



محسن علوي أبوبكر باعلوي

اسمُهُ:

هو الشَّيخ سَعِيد بن صِدِّيق بن مُحَمَّد سَعِيد بن جان السُّليمَاني.

أصُولُهُ:

أصوله من تركيا كما أخبرني بذلك بعضُ أحفاده نقلاً عن أمه، ابنة الشَّيخ سعيد جان، وقال نقلاً عنها: إنَّ له بعض الأقارب في بلدة إستانبول التُّركية، ولا يزال بعض أقاربه هناك إلى يومنا هذا.

قلت: ومن خلال البحث في الويكيبيديا تبيَّن أنَّ كلمة (جان) تُكتب باللغة التركية (can)، وهو اسم ولقب تركي وأذربيجاني وشركسي شائع، ويعني الروح أو الحياة.

نِسْبَتُهُ:

يُنسب الشَّيخ سعيد إلى السُّليماني، ويحتمل أن تكون هذه النسبة إلى مكان؛ فإنه يوجد بمكة حي يشرف على مقبرة المَعْلاة يقال له حي السليمانية [١]، وقد تكون النسبة إلى شخص.

وينسب نفسه في توقيعاته إلى مكَّة، فيكتب: (سَعيد بن صدِّيق جَان المكّي الحَنَفي)، ونَسَبَه شيخُنا المُؤرخ عبدالرَّحمن بكير في (إنباء الرواة) إلى حضرموت بالإضافة إلى مكة، فقال: (الشَّيْخ سَعيد صدِّيق بن مُحَمَّد جان المكّي الحضْرَمي)[٢]، ونسبته إلى حضرموت هي باعتبار النزول والتَّديّر، والإقامة.

وأحيانًا ينسب نفسه إلى طريقته، فيكتب السليماني النقشبندي.

مَن اشتهرَ مِنْ أُسْرَةِ الشَّيْخ سَعِيد جَان:

١- جدُّه الشَّيخ جان السُّليماني النقشبندي (ت١٢٦٧هـ):

العالم الفاضل، الناسك العابد، جاء في كتاب (المُختصر من كتاب نشر النُّور والزّهر) ما نصه: (الشيخ جان السُّليماني، نزيل البلد الحرام، الحنفي النقشبندي، قدم مكة المشرفة وتوطنها، وكثر مريدوه، وكان على قدم ثابت من الصلاح، ملازمًا على العبادة والطاعة، وإرشاد المريدين، وبيان إسناد سلسلته في الطريقة النقشبندية، ذكره تلميذه العلامة السيد محمد قاوقجي دفين المَعْلاة في بعض تصانيفه، وأفاد بعض أفاضل المؤرخين من المكيين بأن المُترجَم توفي بمكة المعظمة، سنة سبع وستين ومائتين وألف، ودفن بالمعلاة بجانب ضريح سيدنا عبدالرَّحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق -رضي الله تعالى عنهما- انتهى، قلت: وخلَّف ابنه الشيخ محمد سعيد جان)اهـ[٣].

٢- الشَّيْخ مُحَمَّد سَعِيد جَان المكّي:

واسمُه سعيد وذكْرُ محمد للتبرك، ذَكَرَه في (المُختصر من كتاب نشر النُّور والزّهر) في ترجمة والده الشَّيْخ جَان السليماني، وقال: (ثم توفي الشَّيخ مُحمَّد سعيد المذكور، وعقب ابنًا واحداً، وهو الشَّيخ صديق)اهـ.[٤]


الشيخ/ سَعِيْد بن صدِّيق جَان
في آخر أيامه

كذا جاء فيه، وأخبرني بعض أحفاد الشيخ سعيد جان أن للشيخ سعيد عمًّا بمكة يسمى عليًّا خلف ابنين، هما محمد وصالح يعيشان بمكة[٥].

وجاء في بعض التراجم: (وخلف المترجَم - يعني الشيخ جان السليماني - ابنه الشيخ محمد سعيد جان؛ إلا أنه كان مترفهًا مداخلاً للناس، وأما والده فقد كان متقشّفًا ذا خمول).

٣- الشَّيْخ صدِّيق بن مُحمَّد سَعِيد جان المكّي:

والد صاحب الترجمة، ذكر في (المُختصر من كتاب نشر النُّور والزّهر)، وقد سبق النقل منه قريباً.

مَذْهبُهُ وطَرِيقتُهُ:

مذهب الشيخ سعيد جان حنفي - على مذهب الإمام أبي حنيفة النُعمان بن ثابت الكُوفي، (ت: ١٥٠هـ) -، وهو ينسب نفسه إلى مذهبه في توقيعاته، فيكتب: (سعيد بن صديق جان المكي الحنفي) كما سبق، وتارة يكتب: (الحنفي المكي)، وفي فتاويه ينقل من كتب الأحناف، وكتبَ للسيِّد العلامة

محسن أبي نُمي، (ت:١٣٧٩ هـ) الكتب المعتمدة الفقهية في مذهب أبي حنيفة[٦]، وقد اطلعت على فتوى له سُئل فيها عن مسألة، قال السائل في آخر سؤاله: (أفيدونا بما يوافق أي مذهب من المذاهب الأربعة خصوصاً مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان).

وأما طريقته فهو على الطريقة النقشبندية؛ وهي إحدى الطرق الصوفية منسوبة إلى الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند، (ت ٧٩١هـ)، وهذه الطريقة انتشرت في الهند، ومصر، وإيران، وما جاورها من بلدان آسيا.

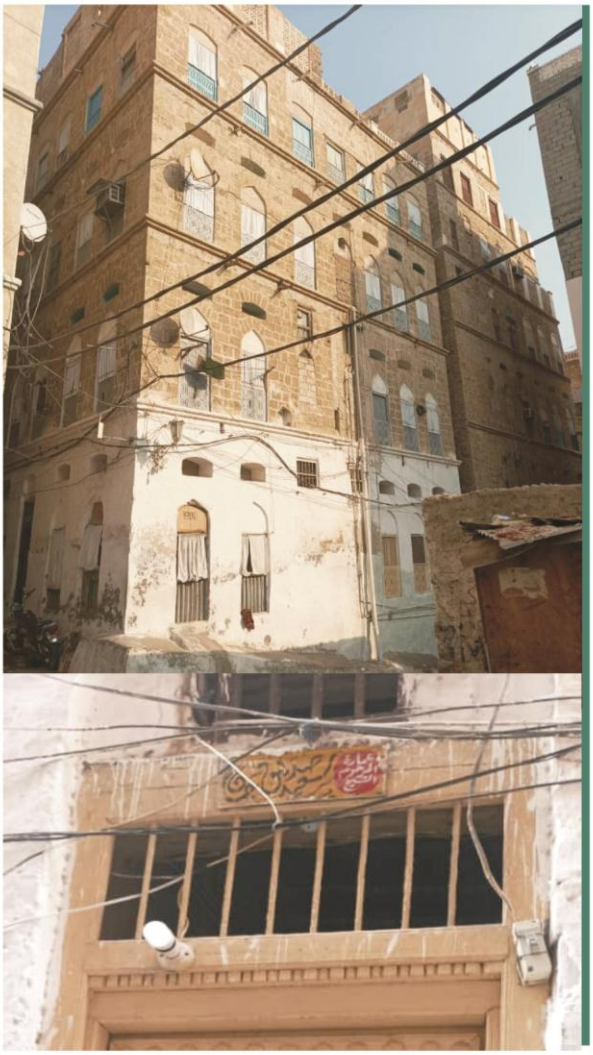
خُرُوجُهُ مِنَ الحِجَاز، وقدومُهُ إلى حَضْرَموت:

قال شيخُنا المُؤرخ عبدالرَّحمن بكير: (الشَّيخ سَعِيد صدِّيق جان: عالم من علماء الحجازيين، قدم إلى حضرموت وقت دخول الملك عبدالعزيز آل سعود إلى الحجاز)اهـ[٧].

قلت: يعني أنه كان من العلماء الذين هربوا من الحجاز كما أخبرني شيخنا المذكور في بعض مجالسنا معه، مثله مثل الشَّيخ المحدث عمر بن حمدان المحرسي، والملك عبدالعزيز دخل الحجاز في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥م/ ١٣٤٤هـ، والظن أن الشيخ سعيد جان قدم حضرموت في حدود سنة (١٣٤٣ هـ).

سكنُهُ:

سكن في بيت محمد بن سالم بازرعة، الواقع برع السِّدّة (حي السَّلام) بالمكلا، وهو مقابل لبيتي: باسيف، وسعيد باحاج، ثم بعد مدة تحصل على ورث من الحجاز، فاشترى به بيتاً من عوض باعوم - تاجر المواد الغذائية - بـ(٨٠) ألف شلن، وهو مكون من أربعة طوابق، وكان يسكن هذا البيت آل باحبارة بالإيجار، فلما اشترى الشيخ سعيد البيت لم يقم بإخراج آل باحبارة من البيت؛ بل تركهم فيه، وبقي هو في بيت بازرعة[٨]، وهذا من كرمه وزهده في الدنيا، وبقي هو في بيت بازرعة إلى أن مات، وبعد موته انتقلت زوجته وابنتاه وأولادهما إلى بيته.



ويقع البيت الذي اشتراه في (حي السلام)، مجاوراً لبيت المقدَّم أحمد بن عمر باصرة في الجهة الجنوبية الشرقية لمسجد ابن علوي، بينه وبين بيت بازرعة الذي يسكنه ثلاثة بيوت: بيت باسيف، وبيت بلحارث، وبيت المقدم باصرة.

زواجُهُ:

تزوج الشَّيخ سعيد جان فاطمة ابنة عمر بابعير[٩]، وهي أخت صالح عمر بابعير -رحمه الله- مؤذن جامع عمر بالمكلا، ووالد الدكتور عبدالله صالح عمر بابعير، وقد أنجبت له ثلاث بنات.

ثم تزوَّجها السَّيد علوي المحضار، ثمَّ فارقها، فتزوَّجها بعد ذلك عثمان بن إبراهيم الشيباني (العدني)، أصله من تعز، وعاش بعدن، ثم تديَّر المكلا، وخلفت له خمسة أبناء، وبنتين، وتوفيت في عقده، ودفنت في تربة يعقوب[١٣].

أوصافُهُ وأخلاقُهُ[١٤]:

كان - رحمه الله - أبيض شديد البياض، طويلاً ضخمًا، جميل الهيئة والمنظر، كثَّ اللحية تملأ عارضيه، بيضاء، على وجهه النور وملامح الطاعة، ووجهه لا هو مستدير ولا مستدق، وصوته منخفض يتكلم بهدوء، ذو لسان منطلق، وكلامه فصيح وموزون، إذا سألته يرد عليك بجواب كلامك دون زيادة، وتغلب عليه لهجة أهل مكة، ملازمًا للبس القميص، ويلبس عليه الجبة، وعمامته كبيرة ملونة من جنس عمائم أهل مكة، ويكوِّرها على طريقتهم، وأحيانًا تكون بيضاء، ويمشي بالباكورة، وبيده سبحة طويلة، وأحيانًا يحمل معه كتابًا، له هيبة عند الناس، إذا مر بين الناس قاموا له وصافحوه، ولا يحب الاختلاط بالناس، ولا كثرة الكلام، وكان رجلاً متواضعًا، يقضي حاجاته بنفسه، ورعًا زاهداً على الحقيقة لم يحاول الاقتراب من الأمور التي توصل إلى الشهرة، مستقيم الطريقة، طيب الأخلاق، نزيهٌ متصوفٌ، يحب السادة العلويين، وله فيهم اعتقاد قوي، ومن زهده - رحمه الله - أنه لمَّا تسلَّم ورثه من الحجاز وضعه عند الصراف عبدالله عبيد بامطرف، وكان كل شهر يأخذ من هذا المال، ويرسله إلى أسر فقيرة في حضرموت، إلى أن قال له بامطرف: كيف تصرف المال، وأنت معك أسرة وبنات؟ ونصحه بأن يشتري بيتًا، وحثَّه على ذلك وكرر له النصيحة إلى أن اشترى البيت المعروف، ومع ذلك لم يسكنه إلى أن مات، إذ لم يرغب في إخراج المستأجرين منه.

وكان - رحمه الله - على ما أخبرني جمعٌ أنَّه ضعيف السمع، يسمع بتعب؛ لكن شيخنا عبدالرَّحمن بكير ذكر أنَّه إنما كان يتظاهر بذلك، قال - رحمه الله - : (وكان كثيراً ما يتظاهر بالصَّمم، وما هو بأصم)[١٥].

وكان - رحمه الله - لديه إلمام ومتابعة بالواقع، ومعرفة بالأمور العصرية، والاختراعات المستحدثة، يشهد على ذلك كتابه: (تفسير الآيات القرآنية بالآيات الكونية)،



وكذلك فتواه في التصوير الفوتوغرافي، ولمَّا وقعت حرب السويس على مصر سنة (١٩٥٦م) كان يقوم في المساجد، ويقول في كلامه: (الناس في المعركة، وأنتم في المخدرة)، وكان في ذلك الوقت قد انتشرت المخادر في الأعراس[١٦].

شُيُوخُهُ:

أخذ الشيخ سعيد العلم بمكة وله بها شيوخ، ولم نقفْ على شيوخه هناك، أما شيوخه بحضرموت فالذي علمناه منهم:

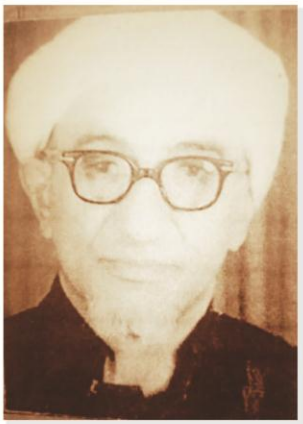
١- صهره السيد عبدالله بن طاهر الحداد، (ت:١٣٦٨): ذكره الشَّيخ سعيد في كتابه (تفسير الآيات القرآنية بالآيات الكونية)، فقال: (وأتذكر هنا كلمة شيخنا الأستاذ الإمام الحبيب: عبدالله بن طاهر الحداد ...) إلخ[١٧].

٢-الشَّيْخ المُعمَّر عُمر بن مبارك بادُبّاه، (ت:١٣٦٧هـ): رحل إليه الشيخ سعيد برفقة صديقه الشَّيخ صالح العامري سنة (١٣٥٨هـ)، وسأله عن بعض الأسئلة في التفسير، قال شيخنا المؤرخ عبدالرَّحمن بكير في (إنباء الرواة): (قال الشَّيخ سعيد صدِّيق بن مُحمَّد جان المكّي الحضرمي في زيارة له للشَّيخ عُمر - يعني عمر بادباه - ... بعد أن استمع لإجابات من سيدنا الشَّيخ على بعض أسئلة وجَّهها إليه بخصوص بعض آيات قرآنية: إنَّ الشيخ آية عظيمة في التفسير، والفهم فبعض المعاني التي أوردها لبعض الآيات، لم يسبق لنا سماع بها، أو اطلاع عليها؛ إنه فتح إلهي، وعلم لدني)[١٨].

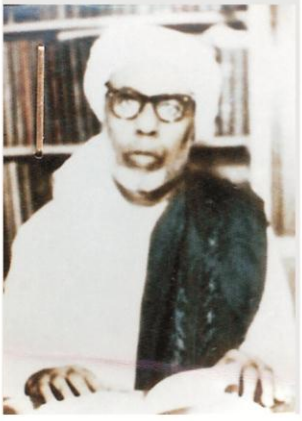
أصْدِقاؤُهُ:

من أصدقاء الشَّيخ سَعيد جَان:

١- **الشَّيْخ صالح بن مُحمَّد العامري**: كان بينهما صحبة قوية كما أخبرني بذلك شيخنا عبدالرحمن بكير، وكان يذهب معه في رحلات دعوية إلى بعض المدن الحضرمية، ومن ذلك رحلتهما إلى الصداع لزيارة الشَّيخ عمر بادُبّاه، (ت:١٣٦٧هـ).



٢- **الشَّيخ عبدالقادِر بن سَعِيد ابن علي الحَاج**، (ت:١٤٢٠هـ)، وقد ذكرنا ذلك في ترجمتنا له والمسماة بـ(الابتهاج)[١٩].



٣- **الشَّيخ القاضي عوض بن عبدالله بكير** (ت:١٣٩٩هـ)، كان الشيخ سعيد كثيراً ما يزور الشيخ عبدالله بكير في مسكنه بالحارة، وكان الشيخ عبدالله يحبه ويقدِّره[٢٠].



٤- **السيد محسن بن جعفر أبونمي**، (ت:١٣٧٩هـ): وللشيخ سعيد مكاتبة مع السيد محسن، أوردها السيد محسن في كتابه (سمير السفر)[٢١].

الأعْمَالُ الدّعويَّة:

عمل - رحمه الله - في مجلات دعوية عدة، منها:

أ- التدريس: تولى - رحمه الله - التدريس في مدرسة الفلاح في المكلا التي افتتحها السادة آل الدباغ[٢٢]، وقال شيخنا عبدالرحمن بكير في مذكراته: (كما تولى التدريس في المدارس الحكومية، وشبه الرسمية آنذاك)[٢٣].

ب- التدريس في مساجد المكلا: قال شيخنا عبدالرَّحمن بكير: (وتولَّى التدريس العام في مساجد المكلا)[٢٣].

ج- التدريس في المكتبة السُّلطانية: وكان يحضر دروسه بها جمعٌ من طلاب العلم[٢٤].

د- إلقاء المحاضرات والمواعظ في مساجد المكلا، وفي المناسبات الدينية: فكان يقوم بالنصح والتوجيه في أغلب مساجد المكلا الشهيرة؛ كمسجد عمر، ومسجد الروضة، وجامع البلاد، ويقوم بالنصح في المناسبات الدينية كالمولد، والمعراج، قال شيخنا عبدالرحمن بكير: (وكان صريحًا في خطبه ومواعظه بحذر شديد، وكثيراً ما كان يرسل نصائحه وتوجيهاته من خلال مخاطبة الجماهير؛ ولأنه لا يعنيها إلا هي، مع بعد في الرأي)[٢٣].

هـ- المشاركة في إنكار المنكرات: فقد كان من الموقّعين مع مجموعة من العلماء والوجهاء على وثيقة لإزالة بعض المنكرات بالمكلا، وكان من الموقّعين عليها السيد محسن أبونمي، (ت:١٣٧٩هـ) والشيخ عبدالله بكير، (ت:١٣٩٩هـ)، والشيخ عوض بن سالم بلقدي، (ت:١٣٥٤هـ)، وقد نشرنا الوثيقة في كتابنا (مختصر الغيث الهمي في ترجمة العلامة السيد محسن أبي نمي ص١٣٩-١٤٠.

وكان من الموقّعين كذلك على وثيقة إنكار اليانصيب مع السيد محسن أبي نمي، (ت:١٣٧٩هـ)، والقاضي علي بامخرمة، (ت:١٣٨٩هـ)، والقاضي عبدالله بكير، (ت:١٣٩٩هـ)، والقاضي محمد عبدالله باجنيد، (ت:١٣٩٥هـ).

و- المشاركة في احتفال المولد الكبير الذي يقيمه السُّلطان القعيطي في ساحة قصره:

وهذا الاحتفال يقام سنويًا تقيمه وتعده لجنة خاصة تسمى (لجنة المولد الشَّريف)، ورئيس اللجنة هو الشيخ عبدالله بكير، وقد جاء في وثيقة لجنة المولد الشَّريف لعام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ما نصه: (عقدت لجنة المولد النبوي الشَّريف جلستها السنوية بمكتب معالي وزير السَّلطنة لترتيب الاحتفال بالمولد النبوي الشَّريف... وكان الاجتماع في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء ٥/ ربيع أول سنة ١٣٧٩هـ/ الموافق ٨/ سبتمبر ١٩٥٩م، وتقرر ما يلي:

١- خروج طلبة المدارس الحكومية للبنين حوالي الساعة الثامنة من صباح يوم ١٢/ ربيع أول ١٣٧٩هـ بأناشيد مناسبة بالشوارع العامة.

٢- الاحتفال يكون بعد صلاة العصر الساعة ٤٥/ ٣ بساحة القصر كالعادة، ويبدأ بقراءة قصة المولد في الساعة ٤/ ٠ من مساء يوم ١١/ ربيع أول سنة ١٣٧٩هـ.

٣- قراءة قصة المولد من قبل الشَّيخ عبدالرَّحمن صالح باعشن، وجماعته في الميعاد المحدد.

٤- قراءة البرنامج من قبل الشَّيخ مسلَّم عوض بلْعلا كما يلي:

أ- قراءة ما تيسر من القرآن الكريم من قبل الشيخ عبدالله سعيد باعنقود.

ب- كلمة الافتتاح من قبل فضيلة الشيخ عبدالله عوض بكير.

ج- كلمة من قبل الشيخ محمد عبدالله باجنيد.

د- كلمة من قبل الشيخ عبدالله أحمد الناخبي.

هـ- كلمة مندوب المعارف.

و- كلمة من قبل عيسى مسلم بلعلا.

ز- يختم الحفل الشيخ سعيد صديق جان.

وفيه دليل على أنَّ الشَّيخ سعيداً كان حيًّا في هذا الزمن وهو ١٢/ ٣/ ١٣٧٩هـ.

واطَّلعْتُ على وثيقة الاحتفال لسنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، والمتكلمون هم المتكلمون أنفسهم هنا، وترتيب المتكلمين مثل ترتيبهم في وثيقة ١٣٧٩هـ، غير أن عدد المتكلمين ستة، وعقب بما نصه: (وإذا بقي من الوقت متسع فسيلقي الشيخ سعيد صديق جان كلمة مناسبة).

تلاميذُهُ:

للشيخ سعيد تلامذة كثر في مكة وفي حضرموت، فقد (كانت له دروس بالمسجد الحرام)[٢٥] قبل نزوله إلى حضرموت، وفي المكلا درَّس في مدرسة الفلاح، وفي حلقات مسجد عمر، وممن أخذ عنه في حضرموت:



١- الشيخ المؤرخ عبدالله بن أحمد الناخبي، (ت:١٤٢٨هـ): قال العلامة الدكتور محمد باذيب: (وفي المكلا كان للشيخ سعيد صولات وجولات في ميادين العلم، فكانت له دروس في المكتبة السلطانية الضخمة المعروفة، وكان يحضر دروسه جمع من طلاب العلم والمعرفة، منهم: شيخنا العلامة عبدالله بن أحمد الناخبي كما أخبرني بنفسه)اهـ[٢٦].



٢- شيخنا المؤرخ عبدالرَّحمن بن عوض بكير، (ت:١٤٣٧هـ): قال في مذكراته: (جالسناه -يعني الشيخ سعيداً- في مجالسه العامة، واستمعنا إليه في مجالسه الخاصة، وفي دروسه في الحلقات، رغم إننا ما كنا في ذلك السن ندرك إلا القليل القليل مما كان يلقيه، ومما كان يمليه، مما يريد إيصاله لمستمعيه، وإلى علية القوم من مريديه)اهـ[٢٧].

٣- العلّامة السيد سالم بن حفيظ بن الشّيخ أبي بكر بن سالم، (ت:١٣٧٨هـ):

قال في ثبته: (منحة الإله ص ٢٧١: اتصلت به، وكان اجتماعي به ببندر المكلا مع توجهي إلى الحرمين الشريفين، في أواخر شوال سنة (١٣٥٥هـ)، وطلبت منه الإجازة فأجازني إجازة خاصة وعامة في العلوم والأعمال والدعوة إلى الله تعالى والأذكار، والأحزاب، وغير ذلك لنا ولأولادنا، وأذن أن نجيز من طلب ذلك منا).

وأولاده الذين أجاز لهم؛ هم: محمد، وحسين، وحفيظ، وأحمد.

مؤلفاتُهُ:

١- الجَوْهَر الفريد في عقائد الإسلام والتّوحيد:

على طريقة السؤال والجواب، طبع سنة (١٣٤٦هـ) بالهند، وكان مقرّراً لطلاب مدرسة الفلاح بالمكلا[٢٨].

قال شيخنا المؤرخ عبدالرحمن بكير في مذكراته: (وله مؤلفات فيها؛ لا سيما كتابه المشهور في العقائد الذي اعتمد ككتابـاً في تلك المادة يدرس في المدارس والمعاهد بنظر الحكومة القعيطية).

٢- تفسير الآيات القرآنية بالآيات الكونية:

رسالة صغيرة، تكلم فيها على بعض الآيات التي يرى أنها أشارت إلى الظواهر الكونية الحديثة، يذكر أولاً عنوانًا، ثم يشير إلى الآيات القرآنية الدالة عليه، كقوله: (إشارة القرآن العظيم إلى البوليس السِّري، ثم يورد الآيات، وكقوله: إشارة القرآن العظيم، والذكر الحكيم إلى البترول والقنابل، ثم أورد الآية، وكقوله: إشارة القرآن العظيم، والكتاب المبين إلى هذه الفتوحات العلمية، والمدنية الغربية، وأورد فيه جملة آيات منها قوله تعالى: (فلمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ).

٣- رسالة في حكم التصوير الفوتوغرافي:

وهي مكاتبة مع الشيخ عبدالله بكير، طلب منه النظر في جواب له عن التصوير الفوتوغرافي، سيأتي ذكرها بنصها.

٤- فتوى حول ما يكتبه البياع في دفاتره على نفسه بأن عنده لفلان كذا وكذا من الدراهم، وخطوطه المرسلة لمن يعامله بأن لكم بطرفنا كذا وكذا، ووصل لكم من المال كذا وكذا... إلخ، وتقع الفتوى مع السؤال في صفحة.

وفاتُهُ:

كان -رحمه الله- حيًّا بتاريخ ١٢/ ربيع الأول سنة (١٣٧٩هـ) ١٥/ ١٢/ ١٩٥٩م وشارك في احتفال المولد النبوي حينها، بدليل الوثيقة التي أوردناها، وفي هذا دليل على أن وفاته كانت بعد هذا التاريخ، وغالب ظنِّي أنه توفي في حدود (١٩٦١م، أو ١٩٦٢م، والله أعلم، وقد توفي -رحمه الله- في بيت بازرعة، ودفن في مقبرة المحجوب بجانب مسجد بازرعة.

الهوامش:

(١) معالم مكة التاريخية لعاتق البلادي ١/ ٢٢٣.

(٢) إنباء الرواة - مخطوط - ص١٢٢.

(٣) المختصر من كتاب نشر النور والزهر، اختصار وترتيب محمد العامودي، وأحمد علي ص١٥٣.

(٤) المرجع السابق ص١٥٣.

(٥) إفادة من حفيده غازي باصرة.

(٦) سمير السفر للسيد محسن أبي نمي مخطوط ١/ ٤٠١.

(٧) مذكرات الشيخ عبدالله بكير مخطوط.

(٨) إفادة من حفيده غازي باصرة.

(٩) إفادة من حفيده غازي باصرة.

(١٠) إفادة من حفيده غازي باصرة.

(١١) إفادة من حفيده غازي باصرة.

(١٢) تحقيق الدكتور محمد باذيب لمنحة الإله للسيد سالم بن حفيظ ص٢٧١.

(١٣) إفادة من حفيده غازي باصرة.

(١٤) إفادة من أستاذنا عبود باضريس، وأستاذنا سعيد بن عبدالله بكير، ومن حفيده غازي باصرة، وعبدالله بازار.

(١٥) مذكرات الشيخ عبدالرحمن بكير مخطوط.

(١٦) إفادة من عبدالله بازار.

(١٧) تفسير الآيات القرآنية بالآيات الكونية مخطوط.

(١٨) إنباء الرواة مخطوط ص١٢٢-١٢٣.

(١٩) منشورة في مجلة حضرموت الثقافية عدد١٨.

(٢٠) إفادة من أستاذنا سعيد بكير.

(٢١) سمير السفر للسيد محسن أبي نمي مخطوط ١/ ٤٠٠.

(٢٢) تحقيق الدكتور محمد باذيب لمنحة الإله ص٢٧١.

(٢٣) مذكرات الشيخ عبدالرحمن بكير مخطوط.

(٢٤) تحقيق الدكتور محمد باذيب لمنحة الإله ص٢٧١.

(٢٥) تحقيق الدكتور محمد باذيب لمنحة الإله ص٢٧١.

(٢٦) تحقيق الدكتور محمد باذيب لمنحة الإله ص٢٧١.

(٢٧) مذكرات الشيخ عبدالرحمن بكير مخطوط.

(٢٨) تحقيق الدكتور محمد باذيب لمنحة الإله ص٢٧٢.

92
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

رباط باعشن

إحدى أقدم مناطق دوعن وأكبرها وبها أول مدرسة تعليم حكومية



استطلاع يوسف عمر باسنبل - تصوير/ محمد حسن باعشن



يوسف عمر باسنبل

الموقع و التسمية

تقع منطقة رباط باعشن في أقصى وادي دوعن الأيمن، بعد الانتهاء من منطقة قرن باحكيم، مع نهاية الخط الأسفلتي، حيث تتربع على صدر الجبل، وتنكشف أمام الزُّوَّار القادمين إليها، وقد بنى أهلُها البيوت على ارتفاع بعيدٍ عن مجرى السيل، وتتبوَّأ الرباط واجهة الواديين، وتتشعب بعدها عدد من الأودية، التي تتبع منطقة الرباط، حيث نجد من الناحية القِبلية أودية حموضة ووادي النبي وتنسبة ومدّة، ومن الناحية الجنوبية حمضة وقرهن وترعن، ومن الناحية الشرقية وادي منوة وقرهن وظلهم، وهي الأودية التي تتشكل منها مياه سيول وادي دوعن الأيمن، وتحيط بالرباط أشجار النخيل والجبال من جهتي الجنوب والغرب، ويحدُّها من جهة الشرق في اتجاه وادي منوة منطقة حصن باصم وسيدة، ومن الشمال قرن باحكيم والخريبة، وتتكون منطقة الرباط من عددٍ من المناطق التي تعد من ضواحيها (سيدة ، قرن باحكيم، الحسوسة ، المنصورة، بادر، حصن باصم، غيل باحكوم، قرحة باحميش)، وتوجد في أقصى الوادي بعد منطقة غيل باحكوم منطقة تسمى أهل الصعيد الباعشن، يوجد بها قبور لآل باعشن ومسجد،

93
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



وهي منطقة قديمة في أعلى الوادي، ومنها ينحدر الوادي، بها قبور الصالحين من أسلاف آل باعشن ومن المناطق المهمة، وقد ترجم لها علوي بن طاهر الحداد في كتابه الشامل، وترجم لها العلامة الحبيب عمر بن حامد الجيلاني عند ترجمته للشيخ سعيد بن عبدالله باعشن: (مدفون في محل اسمه الصعيد، حيث قبور الأقدمين من المشائخ آل باعشن في وادي دوعن)، ويعود سبب هجرتهم إلى الاضطرابات التي شهدتْها الجزيرة العربية آنذاك والاختلافات السياسية والعقائدية، ويوجد هناك بالقرب من الصعيد منطقة المحسا.

وعن سبب التسمية، فكلمة رباط تعني المكان أو المدرسة التي ينقطع إليها الطلاب للعلم، وجمعُها أربطة، التي كانت تؤدي رسالة العلوم الشرعية والعربية، لذا سميت (رباط باعشن) بهذا الاسم لأنه تم فيها بناء أول رباط للعلم الشرعي، بناه أحد المشائخ من آل باعشن، ويقال إن مؤسس الرباط هو الشيخ عبدالله بن أبي بكر باعشن، صاحب مسجد الجامع بالرباط، وأراد أن يكون رباطًا علميًا لطلاب العلم فسميت باسم آل باعشن؛ لأنهم من أوائل من سكنوا فيها، وجعلوا منها رباطًا علميًا، ولما لهم من مكانة علمية؛ إذ كانت بلدتهم ملاذاً لطلاب العلم، وكان رباط باعشن من أشهر الأربطة العلمية في وادي دوعن منذ القرن السابع الهجري، وكان مقصداً لطلاب العلم، لذلك سميت بالرباط تشبيهًا بالمرابطين الذين يُعَدُّون لحماية الدين من الأعداء، وقيل إن الرباط سميت بذلك للترابط بين الأشياء، لربطها بعنق الوادي فهي تربط الأودية الثلاثة.

السكان



الشيخ/ حسن محمد بادقيل باعشن
رئيس اللجنة المجتمعية في المنطقة

تعد منطقة رباط باعشن من المناطق الآهلة بالسكان منذ القدم في وادي دوعن قبل القرن السابع الهجري، الذي شهد تأسيس أول رباط علمي، ويسكنها عددٌ من القبائل الحضرمية العريقة، ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٠ ألف نسمة مع ضواحيها بحسب إفادة رئيس اللجنة المجتمعية في المنطقة الشيخ/ حسن محمد بادقيل باعشن، وتعد من أكبر مناطق الوادي كثافة بالسكان، حيث إن اللحمة المجتمعية تضم الرباط وجميع ضواحيها من القرن إلى الغيل والقرحة والحصن.



وأهل الرباط مثل باقي مناطق دوعن هاجروا منها إلى دول الجوار وإلى المدن اليمنية، فكوَّنوا تجارة هناك، ولا يزالون إلى اليوم يغادرون في إطار الهجرة الداخلية إلى مدينة عدن، التي تعد الحاضنة للآلاف من أهالي رباط باعشن وضواحيها، فأهل الرباط عرفوا الهجرة الداخلية والخارجية.

ويشتغل سكان منطقة الرباط بمهنة الزراعة، من خلال اهتمامهم بالأراضي الزراعية، والبعض في التجارة وأعمال



البناء والنجارة، وقيل إن الشيخ عبد الله بن أبي بكر باعشن كان مزارعًا وتاجراً، وقد أنفق ما أدخره لبناء الجامع.

ومن الأسر التي تسكن رباط باعشن اليوم آل باعشن وباسندوة والعمودي والعطاس والجفري والصافي وباسليم والبريكي وبارزيق وباني وباعظيم وبن زقر وبلحق وباكلة وبن سلمان وبامحيمود وباعويضان وباسعد والمدودي والعميري وسويد وبايعشوت وباقادر والعماري وباماجد وبن جبل وبادكوك وباهويني وباطرفي وبارمضان وبامردوف، إضافة إلى أسر أخرى، وهناك قبائل كانت موجودة مثل ابن لادن، الذين أسسوا شركات، وذاع صيتهم في المملكة العربية السعودية، وذكر السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في كتابه معجم بلدان حضرموت أنهم آل بلاذن واليوم يعرفون باسم بن لادن، وجاءُوا إلى الرباط من رخية، وهم عائلة واحدة، فاستقروا في الرباط؛ لأن أخوالهم آل المدودي موجودون بالمنطقة، وكانت الرباط تحت سيطرة آل العمودي، ولا تزال حصونهم موجودة آثارها إلى اليوم، وهي حصن سيدة وحصن باجرف.

التعليم في رباط باعشن

يعد أول رباط علم في دوعن وربما في حضرموت الذي أسسه الشيخ/ عبدالله بن أبي بكر باعشن في القرن السابع الهجري، ويعود تأسيس منطقة رباط باعشن لغرض علمي في ذلك الوقت، ويظهر ذلك من خلال اسمها (رباط)، وكان يأتي إليها طلبة العلم من جميع مناطق دوعن، ومن مناطق أخرى لطلب العلم الشرعي، وكان لها دورٌ حافلٌ ومتميزٌ، وهذا ما كان ينشده مؤسس الرباط، وقد خرج من ذريته وأهله من حمل شرف العلم، ومن أشهر علماء الباعشن الشيخ/ محمد باعشن، من علماء دوعن في القرن العاشر، والشيخ أحمد عبدالقادر باعشن المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ، والشيخ عبدالله بن عبدالله باعشن المتوفى سنة ١١٧٢ هـ، والشيخ سعيد بن عمر باعشن المتوفى سنة ١٢٥٣ هـ،


جامع الرباط

والشيخ أحمد سعيد باعشن المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ بمدينة شبام، والشيخ سعيد بن محمد باعشن المحقّق والعالم اللغوي صاحب كتاب (بشرى الكريم)، وكانت العُلَم موجودة في رباط باعشن، وأقدمها عُلمة الشيخ/ سعيد عبدالله بن سلمان، وعُلمة الشيخ/ حسن أحمد بن سلمان،

95
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م



وعُلمة الشيخ/ عبدالله حسن بن سلمان، وعُلمة الشيخ/ أحمد بن حسن بن سلمان، وكانت بأجر رمزي.

وفي الرباط أيضًا علماء آخرون، منهم السيد/ عبدالله بن محسن العطاس، والشيخ المحقق/ عبدالله بن سعيد العمودي، والشيخ/ عبدالرحمن المسكتي باعشن، ومن علمائها المتأخرين في العصر الحديث الشيخ أحمد بن محمد العميري، المتوفى في سبعينيات القرن الماضي، الذي كان محافظًا على إقامة دروس الفقه في المساجد.

وأما التعليم الحديث فكان التعليم قد تطور نسبيًا في مدرسة المحضرة التي تأسست في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م على وجه التقريب، وفي عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤١م قام الشيخ الدكتور محمد سعيد القدّال ناظر المعارف بالسلطنة القعيطية بتحويلها إلى الإشراف الحكومي لتصبح أول مدرسة حكومية في دوعن، وتتكون من طابقين، وكان من أقدم المدرسين فيها محمد وعمر خرد، ثم تولى التدريس فيها الشيخ/ محمد بافرحان واستمر حتى عام ١٩٤٦م عندما تولى إدارتها الأستاذ/ حسين بن محمد البار، ومحمد الجفري، ثم تم إنشاء إدارة جماعية لها برئاسة الأستاذ/ سالم خميس حبليل، بمعاونة الأستاذ/ أحمد سعيد جوبان، ومن المدرسين والأساتذة بهذه المدرسة أيضًا الأستاذ عباس السقاف، الذي عُيّن مديراً فيما بعد، ومحمد هاشم السقاف، وعبدالرحمن الملاحي، وأحمد بن مخاشن، والشيخ نصر مرسال، وغيرهم.

وكانت بداية المدرسة من العُلمة التي كانت في محضرة الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ البيتي، ونتيجة لكثرة الإقبال عليها تم تأسيس المدرسة بتعاون الأهالي، وتمَّ البناء على يد المعلم أحمد باصريح، وأحمد باسلوم المدودي وإخوانه، وأشرف على التنفيذ السيد/ مصطفى أحمد الحامد، وعبدالقادر بادحمان باعشن، والسيد محمد الصافي، وكان ذلك عام ١٣٥٥هـ، وبعد ذلك ضُمَّت إليها المدرسة الوسطى عام ١٩٦٣م التي كانت في بيت ابن لادن، ثم انتقلت المدرسة الوسطى إلى بيت السيد عمر باحسين العطاس، وكان أول مدير للمدرسة الوسطى الأستاذ عبدالكريم الملاحي، وظلّ منزل آل ابن لادن مدرسة إعدادية حتى بداية عام ١٩٩٠م، عندما تم بناء مدرسة حديثة، وتسميتها بمدرسة جيل الثورة برباط باعشن، وهي من أكبر مدارس دوعن، وتضم ما يقارب ١٠٠٠ طالب، وتم أيضًا بناء صفوف إضافية في المدرسة، وتزويدها بمختبر علمي حديث. ويوجد في الرباط مدرسة للبنات بُنيت عام ٢٠١٩م على نفقة فاعلة خير من آل باسودان، وتسمى مدرسة دار الذكر للبنات، وكان مما يذكره الأهالي في السابق أن **الشيخة/ عائشة باسندوة** قد قامت بتدريس البنات في بيتها بدون مقابل.

وفي قرحة باحميش أسس الشيخ علي باصبرين رباطًا دينيًا على نفقته عام ١٨٦٣هـ، يقوم بتدريس الطلاب الذين يفدون عليه من دوعن ومن خارجها، وانتهى الرباط واندثر بتعدد أسفار مؤسسه ثم وفاته مع أن أحفاده قاموا بترميم الرباط في سبعينيات القرن الرابع عشر الهجري، غير أن الإهمال قد قضى عليه. ثم ظهرت العُلَم التي كان يشترط فيمن يلتحق بها أن يكون إمامًا بالمسجد ومعلّمًا للصِّبية بالقرحة، ومن أشهر المعلّمين الشيخ عبدالله موسى من رباط باعشن،

والشيخ أحمد فرج العماري، والشيخ عمر محمد باحشوان من قرن باحكيم، والشيخ محمد سالم العطاس من سدبة، والشيخ سالم محمد باحشوان من قرن باحكيم، والشيخ سالم باعباد من الغرفة، ومن أشهر خريجي هذه المدرسة أحمد يسلم باحميش من أكبر تجار الطعام في عدن.

كانت منطقة قرن باحكيم رغم صغرها بها حركة تعليمية غير عادية، وظهرت العُلم بها، منها عُلمة القويري باهديلة في محل حياكته في بيته، وهو من تلاميذ مولى الجبلية العلامة صالح العطاس، وعُلمة الأستاذين/ أحمد وعبدالله باهديلة في محل حياكتهم، وقد عاصرهم الشيخان أحمد ومحمد سعيد بامقدم باحكيم، اللذان كانا على جانب كبير من المعرفة الدينية، وكانا يقومان بتعليم الأولاد القرآن الكريم في مسجد الجامع، ثم جاء سالم بادحمان باحشوان، وكان يقوم بتعليم الأولاد في غرفة تابعة للشيخ العطاس، ثم خلفه الأستاذ/ أحمد عبدالله بأفضل، والأستاذ عمر بارجاء عام ١٩٤٥م، وكانت نفقات المعلمين على حساب الأهالي، وكان الأستاذان/ عبدالله ومحمد باحشوان يعلّمان الأولاد في بيتيهما.

وكان لتعليم البنت في قرن باحكيم نصيبٌ، بعد بذل جهودٍ من قبل الشيخ/ مُحمد أحمد يسلم الجويد باحكيم؛ إذ أسس في أواخر الستينيات من القرن الرابع عشر الهجري (مدرسة البنات بقرن باحكيم)، وكانت أول مدرّسة ومديرة لها السيدة الفاضلة شفاء بن مالك (ملوكة) - رحمة الله عليها -، واستطاعت تدريس البنات، فأصبحن بعد ذلك مدرسات مساعدات لها، وكانت المقررات المنهجية التي تُدرَّسُ بها هي القرآن وعلومه، واللغة العربية وفروعها، إضافة إلى المتون، ثم طرأ جديد في حياة المدرسة وإدخال التدبير المنزلي، وقام الجويد باحكيم بتزويد المدرسة بمكائن خياطة، وُزّعت على الطالبات؛ بهدف مساعدة أزواجهن في أعباء الحياة، واستمرت المدرسة إلى بدايات القرن الخامس عشر الهجري.

سوق الجمعة الأسبوعي بالرباط



تشتهر منطقة رباط باعشن بسوقها اليومي الصباحي، وتكون ذروته خاصة في يومي الخميس والجمعة، ويسمى بـ(سوق مسيبح) الذي أسس قبل مئات السنين، ويعد واحداً من أقدم الأسواق في الوادي، وتوجد بالقرب منه قلعة باسم السوق نفسه، لكن لا يعرف سبب التسمية، وتبدأ الحركة في السوق من الساعات الأولى للصباح، وتسمع أصوات البيع والشراء تملأ المكان، ويستقبل السوقُ الباعةَ من مختلف مناطق دوعن وخارجها الذين يعرضون مختلف البضائع، بما فيها المواد الغذائية، ولحوم الأغنام والجمال، ويشتهر السوق بوجود المقاهي الشعبية في منطقة الرباط، ويضيف الشيخ حسن بادقيل باعشن أن العمال في السابق كانوا يتوجهون إلى السوق بشكل يومي للتسوق لأخذ حاجاتهم بعد انتهاء وقت العمل (الزوال) الذي يعرفونه عند وصول الشمس إلى حصاة موجودة في جبل سيدة، المقابل للرباط، وتسمى الجعرى.

97
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م


بيت بن لادن

معالم الرباط

من أبرز معالم الرباط بيت ابن لادن، الذي بناه المعلم/ عبدالله عوض بن لادن لأسرته، على مساحة كبيرة، قبل أن يغادر أرض الوطن إلى المملكة العربية السعودية، وهو عبارة عن عدد من البيوت المتجاورة، بنيت بطريقة هندسية رائعة، وجعلوا خلالها ممراً لمياه السيول التي تتدفق من الجبل، واستخدم هذا البيت في السابق جزءاً منه مدرسة للتعليم الأساسي، وكان في البيت فناء (وصر) يتم استخدامه في المناسبات العامة التي تنظمها السلطات آنذاك، ولا يزال البيت قائماً إلى اليوم، وتسكنه بعض الأسر.

ومن معالم المنطقة مسجد الجامع الذي بناه الشيخ عبدالله أبوبكر باعشن قبل إعادة تجديده، وفي المنطقة مساجد قديمة، مثل مسجد البيتي، المعروف بمسجد الكسير، ومسجد بازخم، ومسجد الشيخ عبدالله بن سعيد العمودي، المعروف لدى الأهالي باسم مسجد بن سعيد، ويتداولون عنه حكاية هي أن سقف المسجد بناه الجن بسبب تشكيلة الخشب الغريبة



في السقف إضافة إلى الخشب المستخدم في السقف ليس من الأخشاب المتوافرة في ذلك الوقت، وهو مسجد تراثي، وفي منطقة الحسوسة يوجد مسجد صغير، يعد جامع المنطقة، وهو أقدم مسجد في منطقة الرباط وضواحيها، وقيل إن عمره أكثر من ٨٠٠ سنة.


مسجد العمودي الذي يقال أن الجن ساعدوا في بناء السقف



المشاريع الخيرية في المنطقة

لأهل الخير من أبناء منطقة رباط باعشن اليد الطولى في عدد من المشاريع الخيرية، من أهمها التي شيدها المغتربون في المنطقة مشروع مياه ابن لادن الخيري وإيصال المياه إلى البيوت على يد المعلم الشيخ/ عبدالله عوض بن لادن عام ١٩٦٣م، تم تنفيذ مشروع مياه رباط باعشن بإشراف المعلم عبدالله عوض بن لادن وتمويله، يعد هذا المشروع أحد أكبر مشاريع المياه على مستوى وادي دوعن، إذ تم ربط مواسير المياه من الوادي إلى القرى إلى منازل المواطنين في الرباط وضواحيها، حتى وصل إلى منطقة الخريبة والرشيد، وبهذا

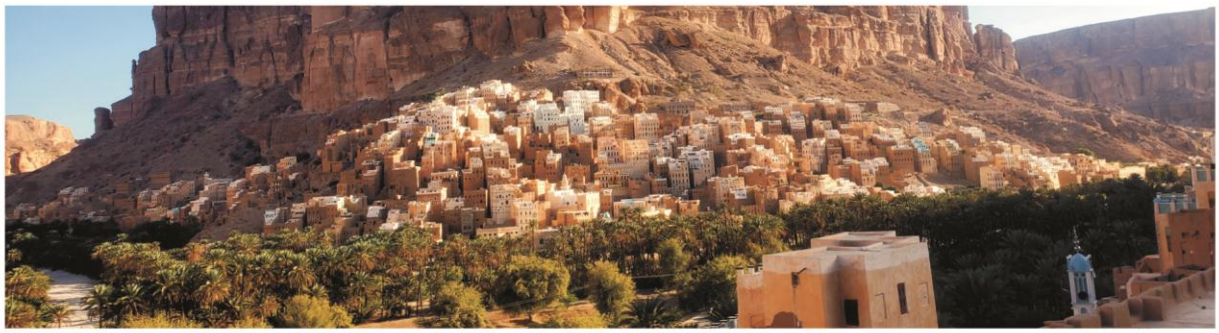
المشروع تكون الرباط قد سبقت المدن على مستوى المحافظة في ذلك الوقت، وتم بناء خزانات لحفظ المياه أعلى الجبل، وفي السنوات الأخيرة تم حفر آبار ارتوازية على نفقة بعض رجال الخير، منهم الشيخ محمد بابيضان، والشيخ سعيد عمر القري باسليم، وآخرون، وتم بناء سد كبير في وادي تنسبة عام ٢٠٠٣م بسعيٍ من الشيخ/ عمر محمد بن زقر -رحمه الله -، وبناء سد آخر في تنسبة بمساعي الشيخ محمد حسن العمودي، عضو مجلس النواب، وبناء خزانات، إضافة إلى إدخال الكهرباء أيام مشاريع الكهرباء الأهلية في مناطق دوعن، وبناء مدرسة دار الذكر للبنات.

قبائل الرباط وأبرز شخصياتها

من الأسر التي تسكن رباط باعشن قبيلة آل باعشن، وهم من مشايخ العلم والدين كما هو متعارف عند الحضارم، ولهم عدة بُطُون، منهم (بادقيل، وبايعقوب، وبابراهم، وبن قاسم، وباعثمان، وباطويل، وبارحيم، وآل الشيخ سعيد، وباصالح، وبن الشيخ، والشيخ عمر، وغيرهم)، وذكر علماء الأنساب أنهم من أصول قرشية، إذ هم ينتسبون إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - كما ذكر الشيخ/ سعيد باعشن في أحد كتبه أن نسبه وسيرته إلى سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وأسهموا في الحركة العلمية في حضرموت في شتى العلوم وفي فقه المذهب الشافعي، وقد تخرج منهم جملة من العلماء والدعاة، كالشيخ سعيد بن محمد باعشن الذي يعد أحد أئمة المذهب الشافعي في عصره، والشيخ محمد بن عمر باعشن، أحد أعيان القرن العاشر، والشيخ أحمد بن عبدالقادر باعشن الذي وصفه المؤرخ المحبي بإمام أهل العرفان في عصره، والشيخ سعيد بن عبدالله باعشن، واشتهرت في آل باعشن مقولة مفتي حضرموت عبد اللاه عبدالرحمن السقاف: (آل باعشن بيت علم، ومغرس فضل، ومنبت صلاح). وانتشرت الأسرة في سائر الأقطار الإسلامية، مثل جدة، وشرق آسيا، وإندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة، والهند، ولا يزالون مستقرين فيها، وكانت هجرتهم إلى جدة قبل القرن ١٢ الهجري، وحظوا بمكانة كبيرة منذ العهد العثماني فأصبحوا من أعيان مدينة جدة ورجالاتها، فقد حظي الشيخ علي بن عبدالله باعشن بلقب - شيخ التجار - في عام ١٢٧٧ هـ، وأيضاً عُيّن الشيخ عثمان باعثمان باعشن رئيساً للعين العزيزية من قبل الملك فيصل تشريفاً له بعد أن تولى مجلس رئاسة البلدية، وكان أيضاً الشيخ محمد صالح باعشن من أعيان جدة وكبار تجارها، وهو ممن استقبلوا المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود عند دخوله مدينة جدة.

ويوجد الباعشن أيضاً في مناطق العُكة والعيبل والمسيل والحنكة في مديرية الضليعة.

ويسكن مع آل باعشن في الرباط عوائل منها، أسرة باسليم، التي تعد من الأسر الكبيرة في المنطقة وينتسب إليها آل مقيص والزريعي والقري والبكوري، وتخرج منها عدد من الشخصيات التي تتولى مناصب قيادية على مستوى الوطن، مثل الدكتور خالد عمر باسليم، وكيل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي للشؤون التعليمية، وكذا تبوأ أشقاؤه مناصب، منهم الأستاذ/



حسين عمر باسليم نائب وزير الإعلام، والدكتور/ محمد عمر باسليم المدير التنفيذي للمؤسسة العامة لمطابع الكتاب المدرسي بوزارة التربية والتعليم، والدكتورة/ هدى عمر باسليم نائب عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي لشؤون الكليات الطبية والعلمية، والمرحوم الكابتن طيار صالح محمد باسليم أحد كوادر طيران شركة اليمدا البارزين.

وأشهر شخصيات الرباط وأميزها:

١- **الشيخ أحمد عبدالقادر باعشن**، من مواليد بلدة رباط باعشن، عاش فيها طفلاً وشابًا وشيخًا، ويلقّب بالشافعي لتفقهه بمذهبه وضبطه مسائله، وتوفي عام ١٠٥٢ هـ في الرباط، تلقَّى العلم والمعرفة في الرباط على يد علماء عصره، برع في العلوم، وهو فقيه وأديب ومحقق، له عدد من الشروحات والمصنفات والرسائل الفقهية والأدبية منها (الورد الإلهي المعنوي المربوط شرح مشكلات الأمر المبسوط)، و(باب المناجاة).

٢- **الشيخ المحقق سعيد محمد علي باعشن**، الذي وُلِدَ في الرباط في حوالي مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وعاش حياته فيها، وتلقى تعليمه بعد أن رحل إلى مصر سنة ١٢٢٠ هـ، فأخذ من علمائها هناك، منهم العلامة الفقيه/ إبراهيم الباجوري المصري الأزهري، والشيخ عبدالله الشرقاوي، وغيرهما من علماء مصر، ثم عاد إلى بلدته وأقام فيها، فكان مقصوداً بالأخذ عنه والارتحال إليه لطلب العلم، وممن تتلمذ على يديه السيد صالح بن عبدالله العطاس، والسيد/ أحمد محمد المحضار، والسيد/ أحمد باصبرين، وآخرون.

توفي ليلة الثلاثاء في جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠ هـ، له عدد من المؤلفات، منها (بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم)، و(سُلَّم الطلاب شرح قلائد الإعراب)، و(مواهب الديان شرح فتح الرحمن) الذي طبع في دار المنهاج للدراسات والنشر بجدة سنة ٢٠٠١م.

٣- **الشاعر والأديب عبدالقادر عبد الله باسندوة**، الذي ولد في الرباط سنة ١١٨٠ هـ، ويعد من الفقهاء الناسكين، تلقَّى تعليمه في الرباط على يد علمائه في عصره، وأنشأ صداقات مع بعض علماء عصره، أمثال الشيخ عبد الله أحمد باسودان، والشيخ حسن بن فارس باقيس، والسيد عمر البار مولى جلاجل. توفي باسندوة عام ١٢٤٥ هـ، له عدد من القصائد الشعرية.

٤- **المعلم الشيخ/ محمد عوض بن لادن وأخوه عبدالله عوض بن لادن**،


الشيخ/ محمد بن لادن

خرجا إلى الحجاز وكانت لهما تجارة واسعة وأعمال كثيرة ومشاريع خيرية، ولخبرة المعلم محمد عوض بن لادن أوكلت إليه الحكومة السعودية أعمالاً متعددة، منها خدمة الحرمين الشريفين والتوسعة منذ عهد المؤسس الأول للمملكة الملك عبدالعزيز آل سعود، وخلال عهده في عام ١٩٣١م قام المعلم محمد بن لادن بالبدء في مجال المقاولات، وفي عام ١٩٥٠م منحه الملك عبدالعزيز شرف تجسيد أمنيته والقيام بأول توسعة سعودية للحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة، وقد امتد العمل بهذه التوسعة إلى عهد الملك سعود بن عبدالعزيز وانتهى بنجاح تام، ونتيجة لهذا النجاح تم تكليف المعلم محمد بن لادن بتوسعة المسجد الحرام في مكة المكرمة لتكون أول توسعة يشهدها التاريخ منذ ألف عام، وفي عام ١٩٦٤م كان الشرف للمعلم محمد بن لادن عندما تم تكليفه بالعمل في أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وذلك لإعادة تغطية قبة الصخرة في القدس الشريف، توفي الشيخ محمد بن لادن في حادث طائرة عام ١٣٨٦ هـ.

وأما أخوه الشيخ عبدالله فله مشروعات خيرية كبيرة في وادي دوعن ومنطقته الرباط خاصة، منها فتح بيته للمناسبات، الذي صار مدرسة بعد ذلك في منتصف القرن الماضي، ومشروع إيصال الماء للبيوت في الرباط وضواحيها، وشق عقبة شتنة (طريق رحاب المكلا)، وله مساعٍ في بناء مستشفى الجحي، توفي فجر الخميس ٧ محرم ١٤٢٣ هـ، وكان دائمًا يردد بيتًا شعريًا جميلاً، يقول فيه:

إلهي نجني من كل ضيق بجاه المصطفى مولى الجميع
وهب لي في مدينته قراراً ورزقاً ثم دفناً في البقيع

٥- **الشيخ عبدالله محمد بافرحان**، ولد في الرباط، وتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح التي كان يديرها آل الدباغ بالمكلا، ثم عمل مدرسًا في مدرسة رباط باعشن، ثم ترك مهنة التدريس عام ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م لضآلة الراتب، ثم عمل في صحيفة الأمل لصاحبها الشيخ/ محفوظ بن عبدّه، ثم هاجر إلى الحجاز وعمل في شركة الزاهد، ثم مدير أعمال شركة باخشب للسيارات، وتوفي في العقد التاسع من القرن العشرين.

٦- **الأستاذ التربوي صالح محمد باكلة**، ولد في الرباط عام ١٩٤١م، ويعد أحد الكوادر التربوية ومن رواد التعليم بمحافظة حضرموت عامة ومديرية دوعن خاصة، ومن مؤسسي إدارة التربية والتعليم بمديرية دوعن بعد أن شغل أول منصب في حياته في مكتب المالية بدوعن عام ١٩٥٤م، ثم انتقل إلى مكتب التفتيش التربوي بلواء دوعن وحجر عام ١٩٦٥م، الذي كان يضم مديريات دوعن وحجر وحريضة وعمد ووادي العين والضليعة والطلح، وعمل مع عدد من المفتشين والمشرفين التربويين منذ انتقاله للعمل في مكتب التفتيش التربوي مروراً بافتتاح مكتب تربية دوعن في حريضة، وانتقاله إلى دوعن فيما بعد وتقلّده عدداً من المناصب التربوية حتى تقاعده بعد ٤١ عامًا من خدمته للتعليم، وافاه الأجل صباح يوم الأحد بمنطقة رباط باعشن ١٣ ديسمبر ٢٠٢٠م.

٧- **الشيخ/ عمر محمد بن زقر (عمر حمّاد)**: من مواليد منطقة رباط باعشن، تربى فيها، وترعرع بين أزقتها، وتعلم في معلامتها، ولمّا كان وحيد الأسرة فقد سافر إلى مدينة عدن وهو في سنٍّ مبكرةٍ بحثًا عن لقمة العيش، فاشتغل هناك، ثم سافر إلى السعودية بحراً


الشيخ/ عمر بن زقر (حمّاد)

وعمل هناك في أكثر من محل في عددٍ من المشاريع الخيرية في المياه (في بناء السدود، وحفر الآبار، وغيرها)، وفي مجال الصحة (مساعدة المرضى ماديًا، والتبرع بأجهزة طبية للمستشفيات)، وفي مجال التعليم، والزراعة، والطُّرُق، توفي في ٢٩ أغسطس ٢٠٢٠م.

ومن أعلام الرباط في الوقت الحالي الأستاذ سالم عبدالله بن سلمان، الكاتب والشاعر صاحب دار حضرموت للدراسات والنشر، الذي له عددٌ من المؤلفات عن دوعن، منها (دوعن الوادي الجميل).

وهناك الكثير من الشخصيات في الداخل والخارج لا يتسع المجال لذكرهم.

المراجع:

١) الحداد، علوي بن طاهر، الشامل في تاريخ حضرموت، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.

٢) السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٢م.

٣) باحمدان، محمد سالم، التعليم الأهلي في دوعن، ٢٠٠٨.

٤) مجلة شعاع الأمل، العدد ٨٨ يناير ٢٠٠٩م.

101
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

التشكيل البصري لسيميائية علامات الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات)

للشاعر سالم عبدالله بن سلمان (١ - ٢)

ملخص البحث:

إن علامات الترقيم في إطار الشعرية لها دلالتها الخاصة، وذلك في مسارين، مسار السيميائية للدلالة الشعرية، وهذه دلالة شعرية عامة، ومسار الدلالة التي يفرضها الشاعر على شعره، بل قصيدته، وهذه دلالة خاصة؛ وعلى هذا فالبحث يقوم على مبحثين، وفي كل مبحث مطلبان.

المبحث الأول: التشكيل البصري وعلامات الترقيم، وفيه مطلبان: المطلب الأول: التشكيل البصري، والمطلب الثاني: علامات الترقيم.

المبحث الثاني: التشكل البصري لسيميائية علامات الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات)، وفيه مطلبان: المطلب الأول: إحصائية الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات)، والمطلب الثاني: سيميائية الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات).

وختم الباحث بحثه بالنتائج والتوصيات، وكان أهمها: أن الشعراء المعاصرين على مستوى كبير من تقنية استعمال علامات الترقيم، وأن بعضهم يستعملها باحتراف خاص، يصعب على المتلقي اليقين بدلالاتها، والجزم بسيميائيتها، لهذا ينبغي للنقاد دراسة هذا الموضوع بعناية أكبر في شعر الشعراء المعاصرين.



عبدالله رجب عمر باصدّيق

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله الأمين. أما بعد،،

فإن علامات الترقيم في إطار الشعرية لها دلالتها الخاصة، وذلك في مسارين، مسار السيميائية للدلالة الشعرية، وهذه دلالة شعرية عامة، ومسار الدلالة التي يفرضها الشاعر على شعره عامة، وقصيدته خاصة، وهذا المسار له دلالة خاصة.

وإن كان الثاني يصعب على المتلقي إدراك دلالة الشاعر إلا بشدة التأويل الذي لا يصل فيه إلى اليقين؛ إذ إن تركيبها في سياق الدلالة -إن صحّت العبارة- يقرب من السيريالية في تنافر العلامة مع ما وضعت معه؛ لهذا ((يصعب الاهتداء إلى ما ترمز إليه، وكأن الشاعر أخرجها من نثار الشعور بلا ضابط))[1]،

فإن الأول أقل صعوبة؛ إذ تدخل في إطار الدلالة الشعرية المتعارف عليها عند الشعراء.

مشكلة البحث: وتكمن في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم التشكيل البصري لسيميائية علامات الترقيم في الشعر؟
- ما مفهوم علامات الترقيم الشعرية؟
- ما الفرق بينها وبين علامات الترقيم الإملائية؟
- هل لهذه العلامات وجود في ديوان العشق في حضرة الكلمات؟
- ما دلالة هذه العلامات في ديوان العشق في حضرة الكلمات؟

أسباب اختيار البحث:

الهدف الأساسي من اختيار هذا البحث هو تكليف كُلّف به الباحث في مقرر (تحولات القصيدة العربية)، ضمن برنامج الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة حضرموت من قبل د. عبدالقادر علي باعيسى فوقع الاختيار على تحولات سيميائية علامات الترقيم الشعرية؛ وذلك لقلة الطارقين لهذا الجانب من التحولات، ولاهتمام الشعراء المعاصرين به في كتابة شعرهم.

أهمية البحث وأهدافه: يرى الباحث أن أهمية البحث تكمن في تحقيق الأهداف الآتية:

١- تبيين مفهوم التشكيل البصري لسيميائية علامات الترقيم.

٢- تبيين مفهوم علامات الترقيم الشعرية.

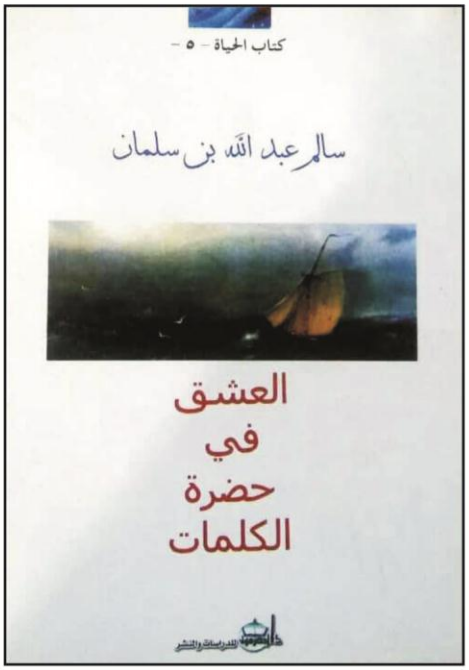
٣- إحصاء علامات الترقيم الشعرية في ديوان (العشق في حضرة الكلمات) ودلالتها العامة.

٤- دلالة علامات الترقيم الشعرية في ديوان (العشق في حضرة الكلمات).

منهج البحث: يقوم البحث في دراسته على المنهج السيميائي.

الدراسات السابقة: هي بحوث في مجلات ودراسات في مؤلفات، منها:

- التشكيل البصري في شعر بلند الحيدري، للأستاذ المساعد/ طيبة سيفي وطلاب الماجستير/ مهدي فاضلي



ومهدي آبرون، بحث منشور في مجلة بحوث في اللغة العربية، المجلد: ١٤، العدد: ٢٧، أكتوبر ٢٠٢٢م، طهران.

- التشكيل البصري في نصوص الشاعر جاسم آل حمد الجياشي، الكاتب حسين عجيل الساعدي. موقع الحوار المتمدن على الشبكة العنكبوتية.

- دلالة التشكيل البصري الكتابي في النص الشعري الحديث، علاء الدين علي ناصر، مجلة الأثر، العدد: ٢٩، ديسمبر ٢٠١٧م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، سوريا.

- جماليات التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر - مقاربة جمالية لعلامات الترقيم، الكاتبة فتيحة العزوني. على الشبكة العنكبوتية.

- التشكيل البصري في قصيدة ماجدة غضبان، إعداد الطالب: محمد فاضل جدوع، رسالة علمية من جامعة المثنى، كلية التربية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

المبحث الأول: التشكيل البصري وعلامات الترقيم

المطلب الأول: التشكيل البصري:

مفهومه:

يأتي التشكيل في اللغة بمعنى التصوير، ومنه الشكل أي الصورة، ومنه الإعراب والحركات كما في قولهم: شكلت الكتاب،

103
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

أي وضعت في كلماته الحركات وعلامات الإعراب[٢]، وعليه فالتشكيل البصري هو: ((كل ما يمنحه النص للرؤية سواء أكانت الرؤية على مستوى البصر (العين المجردة) أم على مستوى البصيرة (عين الخيال)))[٣]؛ ليُعطى دلالة عند المتلقي.

إن انتقال الشعر العربي من الشفاهية التي كان عليها في عهده القديم إلى الكتابية تبرز تحولاً في القصيدة الحديثة، ينشأ عن ذلك التحول تغيرٌ في مفاهيم الأداء الشعري للقصيدة، فقد كان الإلقاء وما فيه من تنغيم ونبر وتعابير وجه، وحركات أيد دلالات مغلقة على المنطوق، تسهم في حصر الدلالة.

فاتّجه التحول من ذلك الذي ذكر وما شاكله إلى الاهتمام بالكتابة والطباعة، مثل: أشكال الخط وهندسته وما يتعلق بالإخراج الطباعي كعتبات النص، والسطر الشعري وتقسيم الصفحات وعلامات الترقيم والتقنيات السينمائية، مثل تقنيات اللقطة وتقنيتي المونتاج والسيناريو[٤].

لقد عرف العرب التشكيل البصري قديمًا خاصة في كتابة الشعر، ويظهر ذلك في الآتي:

١) **البياض**: اعتاد الكتاب للشعر قديمًا على أن يكتبوه في صورة ما يطلق عليها عمود الشعر بشطرين: الصدر والعجز، فيقف القارئ عند نهاية الشطر الأول، كما يقف عند نهاية البيت، ويُترك مساحة بياض بعد انتهاء تفعيلات الشطر الأول، وكذلك بعد انتهاء تفعيلات الشطر الثاني علامة على الوقف، الوقف الأول يدل على الوقف القصير، ما يسمى في الإملاء بالفاصلة، الدالة على الوقف القصير، والوقف الثاني يدل على الوقف الطويل، ما يسمى في الإملاء بالنقطة، الدالة على الوقف؛ لانتهاء الجملة أو الفقرة، حتى وإن كان في البيت تضمينٌ.

٢) **الحشو**: هو أن القارئ ((يستطيع أن يقف أو يسكت سكتات خفيفة في حشو البيت التقليدي من خلال إدارك بناء الجملة العربية، ومن خلال الإيقاع أو التقفية للبيت الشعري (الترصيع)، أو حسن التقسيم أو التذييل، بالإضافة إلى مراعاة



الشاعر سالم عبدالله بن سلمان

النبر والتنغيم، فلنستمع إلى صوت الخنساء تنعي صخراً))[٥]:

حمَّال ألوية، هبَّاط أودية شهَّاد أنجية، للجيش جرَّار[٦]

ولا يوجد في هذا الوقف علامة كتابية – سابقًا – غير الإيقاع الصوتي، وتمام الجملة، ووضوح دلالتها، أما حديثًا فقد استفادوا من علامات الترقيم، فوضعوا علامة الفاصلة (،) دلالة على الوقفة القصيرة.

المطلب الثاني: علامات الترقيم:

المفهوم:

يُعدُّ أحمد زكي باشا أول من وضع هذه العلامات بعد أن رجع إلى الكتب العربية التي وضعها النابغون من السلف في الوقف والابتداء، وما تواضع عليه الإفرنج في هذا المعنى، فكان منه ما يقرُّ الخاطر ويسر الناظر، وقد وجد أن غالب المصلحات في ذلك متقاربة[٧].

لقد عرَّف أحمد زكي باشا علامات الترقيم بقوله: ((**الترقيم هو وضع رموز مخصوصة في أثناء الكتابة؛ لتعيين مواقع الفصل والوقف والابتداء، وأنواع النبرات الصوتية، والأغراض الكلامية في أثناء القراءة**))[٨].

من خلال ما سبق يتبين أن هذه العلامات انحدرت إلى الكتابة العربية من الكتابة الإفرنجية والأوروبية خاصة مع انتشار الكتب المطبوعة في العالم العربي في هذا العصر، مع وجود أصلها العام في الكتابة العربية[٩].

هنا السؤال الذي يفرض نفسه: ما الأصل العام لعلامات الترقيم في الكتابة العربية القديمة؟ وهل كانت الكتابة العربية خالية من وسائل لتقسيم الكلام إلى فقرات وجمل لإيضاحه؟

الحقيقة أن الكتابة العربية لم تكن خالية من ذلك، ودليل ذلك ما يجده المحققون للمخطوطات القديمة من نقطة أو دائرة أو علامة خاصة بين أجزاء الكلام، كما نجد عناية علماء الحديث النبوي بوضع علامات بين الحديث والحديث[١٠]، لكنه لم يكن على قواعد وضوابط يُتعارف عليها، كما نجده في الفراغات أو البياضات التي بين الكلمات والجمل وعلامة الدائرة والخطوط المائلة وغير ذلك[١١]. يقول أحمد زكي عن علامات الترقيم: ((وجدت بعض هذه العلامات قد استعملها النساخون المصريون في كثير من الكتب العربية كما تشهد به الآثار المحفوظة بدار الكتب الخديوية، وكما تشهد به الآثار المنقولة بطريق التصوير الشمسي))[١٢]، وعلامات الترقيم التي اصطلح عليها لا تخفى على أحد، كما لا يخفى أن لكلٍ مواضعها التي تستعمل فيها، وأهمها: الفاصلة (،)، والفاصلة المنقوطة (؛)، والنقطة (.)، والنقطتان الرأسيتان (:)، والشرطة (-)، وعلامة الاستفهام (؟)، وعلامة التأثير والتعجب (!)، وعلامة التنصيص ((( )))، وعلامة الحذف (...)، والقوسان (( )).

علاقة الترقيم بعلم الوقف والابتداء:

ذُكر - آنفًا - أنه عند وضع ضوابط علامات الترقيم استند على مراجع من كتب السلف في ما يتعلق بعلم الوقف والابتداء، مثل: منار الهدى في الوقف والابتداء للأشموني، والوقف والابتداء للإمام السجاوندي، والبحث المعروف في معرفة الوقوف للداني، وكتاب الوقوف للشاطبي، وكتب علوم



أحمد زكي باشا

القرآن كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وكتب التجويد كشروح المقدمة في ما على قارئه أن يعلمه، والقول المفيد في علم التجويد، وغيرها من أمهات الكتب في هذا الباب[١٣]؛ لهذا نجد أحمد زكي يطلق على وقوف علامات الترقيم مصطلحات علم الوقف والابتداء، كالوقف على الفاصلة التي أطلق عليها شولة والفاصلة المنقوطة والنقطة، بالوقف الناقص والكافي والتام، ((والملاحظ أن أحمد زكي باشا قد سمى الفاصلة (،) الوقف الناقص وبيَّن مواضعها، وسمى الفاصلة المنقوطة (؛) الوقف الكافي وبيَّن مواضعها، وسمى النقطة (.) الوقف التام))[١٤] التي تكون في آخر الفقرة أو نهاية الحديث.

علامات الترقيم الشعرية:

هي العلامات المعروفة المستعملة في الشعر، ((فعلامات الترقيم دوالٌ بصرية، تتفاعل مع الدوالِّ اللغوية في إتمام المعنى وإنتاج الدلالة، وتنظيم المفاصل المهمة في الخطاب الشعري))[١٥]، على حسب ما يقصده الشاعر. والسؤال الذي يقدم نفسه ههنا هو: هل العلامات الشعرية في الترقيم هي نفسها علامات الترقيم؟ وإذا كانت هي علامات الترقيم نفسها فهل الوظائف الدلالية من علامات الترقيم في الشعر هي نفسها الوظائف الدلالية لها في الكتابة النثرية؟

فأمَّا جواب السؤال الأول: فـ(نعم)، وربما أضيف لها علامات أخرى ليست من علامات الترقيم، مثل: الخط المائل (/) أو الشرطة المائلة؛ للدلالة على تعدد الوزن داخل القصيدة الواحدة، فتدل هذه العلامة على علامة الوقف المميزة والمشيرة إلى ذلك[١٦]. وأما جواب السؤال الثاني: فقد ((استدرج الشعر العربي الحديث علامات الترقيم لخدمة منحاه الإبداعي التجاوزي وعاملها معاملة الدوال اللغوية، وذلك بشحنها بدلالات ووظائف جديدة تحيد عن المألوف من دلالاتها ووظائفها))[١٧]، فهو يستمد تقنياته الإبداعية من إبداع منشئه بكسر المألوف من انحرافاته الأسلوبية، إضافة إلى أن الشعر العربي الحديث أضحى من خصائصه الإفلات من قيود تحصر إبداعه حتى وإن كانت علامات الترقيم. لكن الشاعر الحديث بفطنته الإبداعية استغل هذه العلامات وطوَّرها شعريًا.

لقد قسم محمد الصفراني هذه العلامات قسمين: محور علامات الوقف، ومحور علامات الحصر[١٨]، معتمداً على دلالة الاستعمال:

١- محور علامات الوقف:

وهي العلامات التي ((توضع لضبط معاني الجمل بفصل بعضها عن بعض، وتمكّن القارئ من الوقوف عند بعض المحطات الدلالية والتزود بالنَّفَسِ الضروري لمواصلة عملية القراءة، وتضم: النقطة، الفاصلة، علامة الاستفهام، علامة الانفعال، نقطتا التفسير، نقط الحذف))[١٩]، وقد استعملت في الشعر متجاوزة دلالتها المعروفة مع الاحتفاظ بتلك الدلالات أحيانًا.

٢- محور علامات الحصر:

وهي علامات الترقيم التي يستعملها الشاعر لحصر جزء من النص الشعري، وهي تسهم في فهم دلالته المسكوت عنها، ولها أيضًا أهمية في تنظيم المكتوب، وهي تشمل: الشرطة(-) الشرطتين، (--) العارضة الرأسية المائلة، (/) المزدوجتين: علامة التنصيص (( ))، وقد ذكر الصفراني أنها لم ترصد لها أيُّ توظيف فني جديد في استعمالها في الشعر العربي الحديث[٢٠]، والشاعر المعاصر أكبر من أن يظل عاجزاً عن إيجاد دلالة أو دلالات شعرية لهذه العلامة، الهلالان: وهما القوسان.

---

* طالب دكتوراه جامعة حضرموت.

الهوامش:

١) أساليب الشعرية المعاصرة، د. صلاح فضل، الطبعة الأولى، دار الآداب، ١٩٩٥م، بيروت: ١١٧.

٢) ينظر: لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، القاهر: ٥/ ١٦٩ -١٧١.

٣) ينظر: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠م- ٢٠٠٤م)، الدكتور محمد الصفراوي، الطبعة الأولى، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ٢٠٠٨م: ١٨.

٤) ينظر: المرجع السابق.

٥) الوقف والابتداء في الجملة العربية، دكتور فكري عبدالمنعم النجار، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الأردن: ٢٢٠.

٦) ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، بيروت: ٤٦.

٧) ينظر: الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، أحمد زكي، صدر هذا الكتاب ١٩١٢م، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م، المملكة المتحدة: ١٢.

٨) المرجع السابق: ١٢.

٩) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، القاهرة: ٨٥.

١٠) ينظر: علم الكتابة العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى، دار عماد للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الأردن: ٩٧.

١١) ينظر: الوقف والابتداء في الجملة العربية، مرجع سابق: ١٠٠.

١٢) الترقيم وعلاماته، مرجع سابق: ١١.

١٣) ينظر: المصدر السابق: ٩.

١٤) الوقف والابتداء في الجملة العربية، مرجع سابق: ١٠١.

١٥) التشكيل البصري في الشعر العربي، مرجع سابق: ٢٠٠.

١٦) ينظر: الوقف والابتداء في الجملة العربية، مرجع سابق: ٢٠٤.

١٧) التشكيل البصري في الشعر العربي، مرجع سابق: ٢٠١.

١٨) ينظر: المرجع السابق.

١٩) دلائل الإملاء وأسرار الترقيم، عمر أوكان، الطبعة الأولى، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م، طرابلس: ١٠٥.

٢٠) ينظر: التشكيل البصري في الشعر العربي، مرجع سابق: ٢٢١.

106
العدد (32)
إبريل
يونيو
2024م

أقبلت تمشي رويداً

أم أعرضت عني قليلا !! رجاءً يأهل القرن دلّونا



غالب صالح بن علي الحامد

سيئون عروسة الوادي معشوقتي، بل معشوقة الكثيرين من سيئون أو خارجها، يزين فيها الغزل والتغني، فهي مصدر إلهام الكثيرين، قرن سيئون ذا فصل يأهل القرن شلونا، واطرحونا حيث ما تبغون، هو المصيف برومانسيته الخلاّبة، نخيله وأشجاره وزهوره ومسابحه، حيث تحاصر البيوت الدكك البيضاء، وتشم من عليها روائح الرياحين وأشجار الليم والتين والنيم والعلوب والنخيل، وأصوات الطيور وعجلة السناوة زمان، والجو العام المبعث للنشوة، اختمر الواقع الرومانسي السيئوني بعواطف ومشاعر حسّاسة معبّرة، أملاها صدق التجربة حُبًّا وعشقًا، فصنعت ذلك الحلم الموحى من الخيال، إذ سبح الشاعر بخياله منتشيًا، فنظم تلك المولودة القصيدة، التي برزت بالخمسينيات من القرن الماضي في نطاق ضيق، بواقع اجتماعي محافظ، يغمره الحياء، فكان يتهامس بذكرها الشباب، من كانوا يميلون لشعر الغزل والآداب، فأسرع الفنان الدكتور أبوبكر سالم بلفقيه بالتقاطها لحدسه الشعري والفني، مبادراً فغنّاها بعد أن أبدع في تلحينها، وهو محتضن آلة الإيقاع، التي يجيدها حينها، فهي مولودة واقعٍ فرض نفسه على الشاعر، وهيمن على الخيال، فاضت به المشاعر؛ لتحكي واقعه، تألق الشاعرُ في وصف دواخلها كفلم سينمائي خيالي، لحكاية أقبلت تمشي رويداً، فتخيَّلها شاعرنا ها هي أقبلتْ وهو مغمضٌ عينينه سابحًا، فخفق القلب وازدادت سرعة نبضه، كاد أن يغادر مكانه، وانشرح الصدر فهي تمشي رويداً دون عجلة من أمرها، وبغنج في خطواتها، فقد أتت مُقبلةً تنجز ما وعدت، كان الوعد كالرعد، خاصة وأنها غائبة عن خياله منذ وقت وفراق طويل، مما زاد الشوق والوجد، فكم كان متعلّقًا بها، مشتاقًا شوق الهيام، هنا ينضحُ بما يجيش به صدرُه، ويَبُوحُ بمشاعر، يتألق أيضًا بها مستوى الشاعر لغويًا وأديبًا، فهو سليل عائلة علمٍ ودينٍ وأدبٍ وثقافة، فكانت هي القصيدة الوحيدة للشاعر، بل وحيدة لسيئون بأكملها، التي لم تشهد من قبل وصفًا لحكايةِ غرامٍ سيئونية بذلك المستوى وتلك الأوصاف الغرامية، ومن المفردات الراقية وجرأة الألفاظ وصراحة التخاطب.

107
العدد (32)
إبريل
يونيو
2024م

كُنَّا نحن صغاراً، لكن نقارنها بأغنية أخرى لأبي بكر سالم، كلماتها لأبي القاسم الشابي: اسكني ياجراح، واسكتي ياشجون، مع فارق واختلاف. عُرف عن منطقة قرن سيئون برودتها كبقعة زراعيه خضراء، لذا يغادرها بالشتاء من أتوها متصيفين، القرن مَصيفُ سيئون، ياالقرن ياليتك تقع لي وطن، والقلب يتمنى في القرن ليلة.

شاعرنا يقيم بالقرن بكل الفصول، حيث مكان اللقاء المتخيّل، الذي أقبلت فيه المحبوبة، وكان الطقس برداً، إلا أنَّ دِفْءَ الأجساد استبدل حالةَ البُؤسِ إلى دفء اللقاء الساخن، إلى حالة من السعادة، التي غمرت تلك اللحظات المنتظرة، التي لم تأت إلا بعد تَمَادٍ في عذاب المحبوب.

كم كان أبوبكر سالم يفاخر ويعتزُّ بأغنية (أقبلت)، ويشيدُ بكلماتها ونجاحه في تلحينها، ودورها في إبراز أبي بكر وشهرته.

تلك الأغنية قد تجاوزت السبعين عاماً، ولا تزال محتفظة بعنفوان شبابها، نحفظها عن ظهر قلب، فنحن نفتخر بها أيضاً كسيئونيين..

لو ترى حين تلاقينا وكان الطقس بردا

دفئت أجسامنا واستبدلت بالبؤس سعدا

الشاعر حسن بن سقاف بن محمد بن بصري السقاف، من مواليد صولو ١٩٢٢م، وتوفي بالأحساء ١٩٨١م، متزوج من ابنة الحبيب عبدالرحمن بن جعفر السقاف، عادةً يُطلَق عليه ابن بصري، واشتهروا بالعلوم الدينية والأدب، وتميزوا بعيونهم الزرقاء، فهي عطاءات من رب العالمين، وكانت أغنية (أقبلت) مدعاة شهرتهم رغم تعدد تفسير المقاصد واختلافها من الكلمات، في نقاشاتنا مع ابن الشاعر محمد حسن، غير أنه كان يقول إن هناك قصيدة أخرى لوالده سمع عنها، يبدأ مطلعها بـ(أدبرت)، أي نقيضة لسابقتها (أقبلت). حتى تفاجأت اليوم وبعد عشرات السنين بخبر العثور عليها بين أوراق المرحوم، كما ورد برسالة حفيد الشاعر لي،



الفنان أبو بكر سالم بلفقيه

الأستاذ علي محمد أن والده كان يبعثر بين الأوراق القديمة فإذا بقصاصة بها القصيدة المرفقة الرائعه مطلعها:

(**أعرضت عنِّي قليلاً**)، وهي على نسق (**أقبلت تمشي رويدا**) نفسه، وعلى البحر الشعري نفسه، لذا فلحن الأغنية ينطبق عليها إذا جاز القول.

لماذا كانت نقيضاً لسابقتها؟ لقد أعرضت في مخيلة شاعرنا المحبوبة، وما عادت تنجزُ وعدَها، وتحوَّلت الأحلام والتخيُّلات والتهيُّؤات بجنة اللقاءات إلى صدود، وقد أعرضت عن اللقاء فساءت حالة المحبوب، وكاد أن يسقط قتيل حبه لها، إلا أنه – ولله الحمد – لم يمت إلا بعد أن أنجب السيد محمداً ومحسناً وأربعَ بنات، متميزين بأشكالهم، كان أبوعلي متميزاً بشكله، تجده بمسجد الروش، وله أربعة من الأبناء، هم: الموجِّه والإداريُّ التربويُّ علي، والأستاذ سقاف وقد تعرَّض لحادث مروري أعاق حركته نسبيّاً، وعبدالرحمن، وحامد، أما ابن الشاعر الأصغر فهو الشاعر محسن حسن بن سقاف بن بصري، وقد توفي بالسعودية، وله ابن شاعر أيضاً اسمه حسن، نحن أخوال أولاده، ولنا به

معرفة وعلاقة، كان يتبادل الأشعار مع أخي محمد، فزوجتُه ابنتُنا شقيقة الأميرة السيئونية، التي اقتحمت قصورَ تريم، زوجة المرحوم عمر بن شيخ الكاف.

وحتى لا تتفاجأ بمشاهدة عيون زرقاء بآخرين من سيئون، فللحبيب الشاعر حسن بن بصري أربع بناتٍ أيضًا، متزوجات من كلٍ من السيد حسن عبدالله السقاف بن حسين، وأبي بكر بن شيخ المساوى، والمرحوم أبي بكر علي بن محمد بن هادي، والمرحوم علوي بن أحمد السقاف (آل الطعام) زميلي بالدراسة منذ مدرسة النهضة.

شاعرُنا ابن بصري وقد دارت الأيام بقرن سيئون عاد يشكو ويبكي، إذ لمْ يدمْ حال أيامٍ، إقبالُها في سكون الليل في مخيلته، ولم يطلب فيه غير قبلات التهاني بُودلَتْ خَدّاً فخَدّاً، قائلاً متأسّيًا: لم تعد أقبلتْ كعادتها إنما هي أعرضت عني قليلاً، منفعلاً قائلاً: ويحَ مَنْ أقبلتْ زمانًا ماذا دهاها وللصد والهجران بلغتْ منتهاها، هل هو سوءُ ظنٍّ؟! أو شكوك، أو اعتقدتْ أني ملول! لماذا الصد لماذا الإعراض عني لماذا أدبرتْ عني؟ لا أرتضي عنها بديلاً!!

أعرضت عني قليلاً ... فغدا جسمي عليلاً
كيف لو زادت نفوراً ... سوف تردين قتيلاً
عوَّدْتني دائمًا من ... طبعها الوصل الجميلا
وصفاء الودِّ كمْ ... أعهده فيها أصيلا
وَيْحَها ماذا دهاها ... أرأتْ منِّي عذولا
ربما ظنت بأني ... صرتُ في عشقي ملولا
(إن بعض الظن إثم) ... يُورِثُ الوزرَ الثقيلا
وأنا الصبُّ الذي لا ... أرتضي عنها بديلا
فهو لا يدري إلى غير ... التي يهوى سبيلا
فهي نجم في سمائي ... لا أرى منه أفولا

"(أعرضت عنِّي قليلاً)، وهي على نسق (أقبلت تمشي رويدا) نفسه، وعلى البحر الشعري نفسه، لذا فلحن الأغنية ينطبق عليها إذا جاز القول"

تلك الكلمات الرائعة هل تجد مِنْ مُلحِّنٍ لها، يرتقي إلى مستواها، فهي ستشق له طريقًا مُعَبَّداً مكْسُوّاً بالزهور، كما كان عليه حالُ شقيقتها (أقبلتْ).

لا يزالون يُقيمُونَ بقرن سيئون، وستجد مَنْ يَدُلُّكَ عليهم إذا سألتَه عن أهل أغنية (أقبلتْ)، واليوم أضِفْ إليها شقيقتها (أعرضتْ عنِّي قليلاً).

رجاءً يأهل القرن دلّونا.

أقبلت تمشي رويدا
ودنت تنجز وعدا
وأتت بعد فراق
زادني شوقًا ووجدا
كم تمادتْ في عذاب
أكثرت صدّاً وبعدا
وقست حتى كأني
خِلْتُها تُضمِرُ حِقدا
لو ترى حين تلاقينا
وكان الطقسُ بردا
دفئت أجسامنا
واستبدلت بالبؤس سعدا
التقينا في سكون الليل
لا نطلب قصدا
غير قبلات التهاني
بودلت خدا فخدا

109
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

قصة قصيرة

ستروميريا



خالد لحمدي

منذُ أيام قلائل وأنا أشعر بانقباضة مفاجئة لمْ أعهَدْها، وصِرتُ لا أنام إلاَّ قليلاً، وأشعر بروح ريتا تحوم حولي وتطاردني، تقف على مضايق الطرقات التي أمرُّ خلالها، تنتصب أمامي في كل وجهة أذهب إليها، تدعوني وتؤشر نحوي بيدها، وما إن أقترب نحوها تختفي مثل سراب.

ريتا العذبة الشهيّة لم تغادرني، ولا تزال تسكن أعماق روحي، ولم أتخلّص منها البتة، لا تزال مثل ما عرفتها أول مرّة، ولم يتغيّر فيها شيءٌ.

متوسطة القامة، بيضاء البشرة، ناحلة قليلاً، لها نظرة عذبة وآسرة، وعينان حارتان ومثيرتان، وشفتان طريّتان، تعض أوقاتًا بأسنانها ذات البياض الناصع على شفتها السفلى.

لا تُغطّي يديها، وتظهر أطراف أصبعيها النحيلين الأبيضين، اللذين يظهر دائمًا على أطرافهما المناكير ذات الحمرة الداكنة.

حديثُها لا يُمَل أبداً، ووجهها لا تكشفه إلاَّ في أثناء عملها ودوامها الرسمي، وتُغطّيه بخمارٍ أسود حين تنوي مغادرة المستشفى إلى الخارج.

لها نهدان صغيران نافران، يكادان يتحدّيان عباءتها السوداء، وينتصبان أكثر حينما ترتدي البالطو الأبيض الخاص بالأطبّاء والمُمرِّضين.

تلبس حذاءً أسودَ، وينكشف ما فوق قدميها من بياض، وعلى ساقيها ينبت شعرٌ خفيف مائل إلى الاصفرار.

أو هلوسات روح نالها القلق والتعب أم هي تصدّعات المرحلة، ونتائج إفرازاتها الخاطئة قد ألقتْ بظلالها على الروح والذاكرة، أم تشظّيات العمر، وانزياحات الزمن البائس المهترئ؟

وما بين أطياف وتهاويم ريتا التي لم تكُفَّ عن مطاردتي، ظلّتْ إلزا تلاحقني باتصالاتها شبه اليومية، ما جعل أمي تقول لي أكثر من مرّة:

- إذا أردْتَها تقدَّمْ لخطبتها، أوْ دَعْها تَعِشْ حياتها كما تشاء.

وكانت أمي محقّة فيما ذهبت إليه، في حين ظلّ قلبي يرتجف شغفًا وتخوُّفًا، ولم أعد أدري بمناحي خطوي ودروبي، وقد قُلت لها في آخر اتصال بيننا.

أمَا تدركين معنى أن يعيش قلب سنينًا من الجفاف والجدب في انتظار المطر، وما إن تتشكّل في الأفق سحب الوصل حتّى يتشظّى ويبتئس توجُّعًا؟

قالت لي توّاً بتساؤل وبلهفة:

- أوَ أنتَ لي وحدك أم ...؟

- أم ماذا؟

- إلزا.

- نعم.

كيف تسألين سؤالاً كهذا، أو لم أؤكد لكِ مرّات أنني لستُ منشغلاً عنكِ وإن أخذني العمل وأبعدني كثيراً، لكن لم يتغيّر بداخلي شيء، بل رُبّما تزايد شغفي وحنيني إليك.

وأضفت جازمًا:

فلتعلمي أن من ينتمي لهذه الأرض، محالٌ أن ينسى أو يتنكّر أو يخون، ومن شبَّ على الحُب حتمًا سيموت عليه.

أنا القلب المُفخّخ بالشوق، المُبلَّل بالأماني والاشتهاءات المستحيلة.

أنا الجرح الذي يُبذّر ثروة اشتياقه وحُلمه، ويضع مواثيق تقي العُشّاق التعثّر والانزلاقات المفاجئة.

لذلك دعي عنكِ توجّسك وقلقك، ودعي ريتا وسخافاتها المستفزّة، ولا تظهري على ملامحك غضبًا أو توتراً.

هي تود أن تشعلك غَيرةً، وتشعُرك أنني غير مبالٍ بكِ.

لقد أخبرتُك عنها منذ الوهلة الأولى لعودتك من الاتحاد السوفييتي، واقتنعتِ بما قُلتُ لكِ، كيف الآن بدأت التوتّرات تزداد بداخلك؟

رغم ذلك أُطمئنك أنّه لن يحدث شيء يُغضبكِ، وسأخبرها بعدم ارتكاب أشياء كهذه مرّة أخرى.

منذ أيام وأنا أسعى للوصول إليكِ، بعد أن وعدْتني بلقائي في آخر مرّة كنّا معًا داخل أروقة مكتبة ١٤ اكتوبر، أو تذكرين، أم نسيتِ كلماتك لي يومها:

- لن نتوقّف عمّا بدأناه وحلمْنا به.

كان يومًا هادئًا وجميلاً، خاليًا من الشك والتخوّف وانتكاسات الروح الخائفة.

فكّرتُ طويلاً وأنا أبحث عن رقم هاتف بيتكم، ورفعتُ سمّاعة الهاتف مرّات عدّةً، وأدخلتُ رقمَكِ في الهاتف، ثم أعود وأطبق السماعة بكثير من الخوف والتردّد، ولا أدري حتى اللحظة كيف تغلّبتُ على حيائي وتردُّدي.

ليست الأمور كما تظنّين، أو كما تهيَّأتْ لكِ، فثمّة أشياء قد لا تخطر ببالك، بل رُبّما لا تتخيَّلين أن تحدث أو تصادفك يومًا.

لقد جفَّ حلقي ولساني، وأوشكت جسور روحي على الانهيار والسقوط، ولا وقتَ للتداعي والانحدار، فقد تبدّلت حولنا كثير من الأشياء، وتفتّقت المرحلة عن أمور تسير لصالحنا، فلنغتنمْ ذلك، ولا نعير التأرجحات وعبء الحاضر المنزلق أي نظرة أو اهتمام.

دعي الأمس وراءَنا، وانظري لمرآة العمر، ستخبرك عمّا يجب فعله بعد عصرٍ من الجدب والذبول.

ما أسعدني!

انسياب ضحكاتك تصلني وتهيّئني لخوض المعركة بثقة وجدارة.

تُرى من سيبدأ الهجوم، كي نحدّد مواقع الدفاعات لصد



الغزوات والارتجاعات المفاجئة؟

فلتعذريني عزيزتي، ذلك أن قلبي هو الذي يقودني إليكِ، لذلك رُبّما أخفق في بعض الأشياء، أنا الذي لم أعرف حُبًّا سواكِ.

فلتجيبي إذن.

لِمَ هذا الصمت السحيق؟ فليكفني حرائقَ واشتعالاً، ولتَكُفُّي عنّي انهمارات صمتك، كي لا تتوشَّح أرواحنا بالفتور والعطب، ولكي لا نُصاب بلوثة التراجع والانهزام.

فلتجيبي قبل أن أطبق سماعة الهاتف، حينها ستبحثين عنّي ولن تجديني، وقد أغادر القطن ولرُبّما لا أعود إليها، وسيجيئك خبر موتي بغتةً، فتعيشي العُمر في كمدٍ وتحسّرٍ شديدين.

- ما جعلكَ تقول هذا؟

- أخيراً جاء صوتُك.

- أُحلّفكَ أن تخبرني الحقيقة.

- هههههه.

- هكذا أنتُنَّ معشر النساء.

حين يخبركن أحد بالصدق تتغافلن، ولا تُعرْنَهُ اهتمامًا، وحين يحيد عن الواقع والحقيقة، ترتفع أصواتكن، وتنصتن لكل ما يقول.

- كاااه.

- سامي، أكُنتَ تضحك علي؟
- نعم.
- كي أجعلك تغادرين صمتَكِ المُملَّ.
- خوّفتني كثيراً.
- هههههه.

أعرف قلبك وما يجيش بداخله، ولكن لا أعلم بما أصابكِ بعد لقائنا آخر مرّة.

- سأخبرك، ولكن ثق جيداً أن ليس لي فيما سأقوله أيُّ يدٍ أو قرار.
- تكلّمي، أنا أسمعك.
- الحافةُ كُلُّها تتحدّث عن قصتنا، وبلغ ذلك مسامع عائلتي.
- أهاااا.

تعلمين جيداً أنني أعشقك، ولكن قانون البلد لا يسمح للرجل بالزواج بأكثر من امرأة.

- أو هل لديك زوجة ولم أعرف بذلك؟
- ليس هكذا، ولكن ريتا تقف على الضفّة الأخرى تنتظر.
- ما العمل إذاً؟
- سأضع لذلك حلاً.
- ومن وضع هذا القانون؟
- الحكومة هي من وضعته، حفاظاً على كرامة المرأة وحقوقها، ولكن، ستتغيّر الأمور في الأيام القادمة.
- سااااامي.
- الله، أريد أن أسمعها مرّة أخرى.
- سمونتيبي.
- أشعر براحة الآن.
- أعلم ذلك.
- هذه القُبلة لك.
- وصلتْ.
- أيووووه.
- صوتك يتلاشى وينسحب:
- أمي تناديني.
- سنلتقي في وقت آخر.

وأغلقت الهاتف، وفي داخلي لهفة لامرأة هاربة، ما جعلني أهجس بوله وتمنٍّ:

ومض التذكّر مؤلم للقلب كثيراً؛ إذ لم أنسَ أيامنا قبل سفرك للدراسة، ولم أنسَ أيضاً كيف قضيتُ خمس سنين في انتظارك. أنت لا تَعينَ ذلك، في حين لا تزال روحي تذكر كل شيء.

أودُّ أن أصرخ بملء فمي، فأعود خائفاً من أن تنعتني أمي وسوسن وزميلتها صفيّة المحورق بالهبل والجنون.

لا أملك سوى الصبر والتأمل، ذلك أن الإنسان وحده من يصنع حياته، ووحده يدرك ما يفعل وما يريد، ويعلم كيف يتقدّم، ومتى يبقى منزوياً وحيداً.

فلتدعني أيها الوقت أُفتّش عن حُلمي وملاذي، والإمساك ببعض أطيافي الهاربة، فلم يعد هناك متسعٌ للجدل وضغائن المقت والافتراء. المناحي والسُبُل واحدة، أما الأهداف فقد تنحو إلى مسالك ودروب أخرى متعدّدة، ويجب على البلد، بعد هذه التجربة التي عاشها أن يمسك بدروب النصر وألاَّ ينتكس أبداً.

لقد تبدّى جليّاً مزاجية العقل حين يشحذ مدية الموت، ويسقط المنطق مضرّجاً بالتبلّد دون نقاش أو رؤية صائبة.

تختلط حينها الحقائق بشعارات الثورة التي تلتهم رجالها بنَهَم دون تردُّد أو تخوُّف ومواربة.

يرتفع حينها صوت المأساة عالياً:

- لا تصالح بعد اليوم، وليعش الحاضر كيفما يريد.

الأرض تطعن دواخلي، وتزيدني جرحاً ومقتاً، وبين حاضري وانزياغات غدي، أظل منغمساً في حيرتي وتساؤلاتي العاتبة.

- كيف لجسور المجد أن تسقط بغتةً، أهو الخطاب التقدّمي أم هشاشة الثورة الوليدة؟

لقد خَفَتَ النور، ولجم عن الكلام، ولم تعد ثمّة دروب تنهض بخطى المعنى، ومسارات الفجيعة القاتلة، وأصبح العُشّاق قتلى ومفقودين، وحُرِقت جميع الأدلّة والخرائط التي قد ترشدنا وتوصلنا إليهم، ما جعلني أصرخ حُزناً وتحسُّراً، ولا مجيب سوى جدران غرفتي العابسة.

أطلُّ من نافذتي على الخلاء المتّسع، فتدعوني أمي بصوت مضطرب، فذهبت نحوها فوجدتها ممسكة بسماعة الهاتف قائلة بصوت منسحب:

- رد على من يتصل بك.

وأردفت بامتعاض:

- أُخرج عن سجنك المُملّ.

وحدث ما لم أكن أتوقع أن يحدث يومًا؛ إذ أخبرتني الدكتورة أن ثمّة خبراً، مفادُه أن الدكتورة ريتا قد غادرت القطن برفقة والدها وأمها، ولم أُصدّق ما سمعتُ، فقلت بحيرة وتوجُّسٍ:

- كيف حدث هذا؟

قالت إلزا بإسهاب ووضوح:

- لقد سمعت أنّه قام بتهريبها وأُسرتها أحد البدو ليلاً عبر الهضبة الشمالية، حتّى أوصلهم تخوم صنعاء.

- ولِمَ حدث ذلك؟

- قيل: إنّها خافت على أبيها من الملاحقة والمساءلة.

وأردفت بتساؤل ممض:

- أو لم تعلم باختفاء الكثيرين من رجال البلد وملاحقتهم، ممن ينتسبون للمرحلة السابقة؟

وأضافت ببرود وتصنّع:

- ماذا ستصنع الآن؟

- فيمَ؟

- فيما كان ولا يزال بيننا.

قُلت للتو:

- نحنُ مكبَّلون بقيودٍ، لم نتحرّر منها بعد.

وأردفت بجدٍّ:

- ولا نزال نجرُّ خلفنا سلالات القهر والتبلّد، ولا أدري هل نقايض بقِيَمنَا، أو نظل مُمسكينَ بعَجْزِنا وقداسة الكبت والاحتواء؟

بل نحنُ مهدَّدون بالانقراض والتلاشي، وقد يصعب تحرّرنا وانبعاثنا ثانية، ولن نعود كزمنٍ مضى، وسيبقى المستقبل ملفَّعًا بالنقص والهزائم المتلاحقة، وقد يعجّل ذلك بسقوطنا فنلقى حتفَنا، ومؤكد ثمّة من ينتظرنا كي نذهب إليه.

ماذا حدث ويحدث؟

لمْ أعُد اللحظةَ أُدركُ أو أعي شيئًا، أكنتُ في بيتي وبين جدران غرفتي، أم في مكان آخر لا أعرفه، شيء واحد فقط لم يغبْ عن ناظري، هو رؤيتي لإلزا التي لم تتركني وحيداً، وظلّت تناولني العقاقير والأدوية، وقد تبدّت أكثر إشراقًا وجمالاً، ولم أعُدْ أرَها ترتدي البالطو الأبيضَ وقد كشفتْ عن شعرها الكثيف، وظلّتْ جالسة إلى جواري، وإنْ بَدَت الأشياء تتراءى أمامي بضبابية وعتمة حالكة كالحة.

قصة قصيرة

هدنة

صالح بحرق



اتفق عادل مع زوجته يُسرَى على هدنة لمدة أربعة أيام، لترتيب البيت قبل حلول شهر رمضان، ووافقت يسرى سريعًا، وقد وجدتْ في هذه الهدنة فرصة للعناية ببشرتها.

أمَّا زوجها عادل فقد وجد في هذه الهدنة، فرصة لتصليح سيارته من الأعطال المتكرِّرة.

في الأيام الأولى اشترت يسرى عدداً من مراهم إذابة الدهون، وتبييض البشرة، فأصبحت أوقات وقوفها أمام المرآة أطول من ذي قبل، حتى إنها ذات يوم صاحت بأعلى صوتها:

- عادل بالله عليك شوف اللحمة على الشولة أني مش فاضية!

لم يستمع عادل إلى ما قالت له يسرى، فقد كان يفكر في فرامل السيارة، واستهلاك البنزين، وسخونة التانكي المستمرة، والعجلات، حتى ابنه الوحيد ثامر يظل الساعات الطوال أمام التلفاز ولا أحد ينتبه له.

ومع الأيام تمخَّضت الهدنة عن نتائج فادحة، فقد اتسع التباعد بينهما، وتعمَّقت الخصوصية، لكنه من جهة أخرى، عرف كلٌّ واحد منهما شخصية الآخر عن كثب، فيُسرى اكتشفت أن عادلاً يحتاج إلى أوقات يخلو فيها مع نفسه، ليُعيد التفكير في الأمور التي أقدَمَ عليها.

أما عادل فقد اكتشف أن عالم يسرى مليء بالدهشة والجمال والتغيير، ولذلك يجب أن تتسع مساحة الحب!

وفي أواخر أيام الهدنة، اقترب كل منهما من الآخر، وتعانقا، واستعدا لهدنة قادمة جديدة.

113
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م





د. أبو بكر محسن
الحامد

"رمضان"! يا شهرًا، تنزل فيه قرآن الإله!
رمضان! يا شهر التأمل والتدبر والصلاه!
يا"ليلة القدر" التي فيها الملائك كالسراه:
يتنزلون من السماء، إلى السماء، إلى ذراه!
يتنزلون بكل "أمر" مارؤاه! . . وما مداه!
فتنزلت: ذكرًا، حكيمًا، طيبًا،
كالعطر ريانٌ شذاه!

فتلقَّفتْه أكنة، تصبو إليه: إلى صفاه!
وتعرضت شوقًا إلى نفحات ربي في علاه!
هرعت إلى تلك المساجد نفحة ترجو، صلاه!
ليس المساجد في المكان، قلوبهم أيضًا رباه!
ورأت هنا في آيه،
ضوء الحقيقة والحياه!
وتهيأت للرشد، هذا الرشد أضواء السراه!
وتضرعت بالليل تسأله ولم تسأل سواه!
وتضرعت عند العشي، وفي البكور، وفي الغداه!
قال: أدعني! فأنا المجيب، أشق أغوار الفلاه!
ياتيك بالمعراج، كم لبى، وأنجد من دعاه!

* * *

رباه! أسرار الحياة، تحيط بي. موجًا أراه!
موجًا تقاذف بي، يهددني أذاه!
رباه! أكتم ما أريد، ويصدم الحرف الشفاه!
عقلي تحدر من عقول الناس، فاختلفت مناه!
والعقل ذاك خليفة الرحمن، معجزة براه!
رباه! عقلي: كنه هذا الكون!
ميزان الحياه!

العقل يحيا في الصراع،
موسوسًا، ماذا دهاه!
إبليس "خناس" الهوى،
إبليس يوغل في دماه!
إبليس "خناس" القلوب، فكم هنا عبدًا غواه!
لم يغفل القلب النقي، ولم يكبكبه هواه!
لم يفرط العقل الزكي، ولم يضلله الغواه!
هيهات للإفراط أن يلهو بما كتبت يداه!
أو يستطيع الصبر، من
زلت به: دنيا وجاه!

114
العدد (33)
يوليو
سبتمبر
2024م

"لو نشبت يا فصيح لا تصيح"



أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

تزخر الثقافة الشفاهية الشعبية بالكثير من الأمثلة والمقولات (النصايحية) الاستباقية التي تحث على التريث قبل الدخول في أمور غير واضحة العواقب من ذلك قولهم: "**أحسب للدخول مرة وللخروج عشر**" و "**قايس عشر واقطع مرة**" و"**باب يجي منه الريح سده واستريح**" وغالبًا تصاغ هذه المقولات بأسلوب مباشر لتفعل فعلها الإيجابي المنبه بوصفها من الكوابح الثقافية الضابطة لحركة الأفراد الجامحة، لكن في مواقف وظروف ممكن وصفها بالاستثنائية تتطلب بعض المقولات أساليب مغايرة تتسم بالطرح التحذيري الحاد المشوب أحيانًا بالألفاظ الساخرة من ذلك مقولة عنوان هذا المقال، وهي في الأصل نصيحة استباقية من ناصح أو ناصحين إلى منصوح وأحيانًا تختصر إلى: (يا فصيح لا تصيح) لاسيما عندما يسقط (الفصيح) في المحذور، وتقع الفأس في الرأس.

والمقولة في نصها الكامل عبارة عن جملة شرطية تامة أو متكاملة الأطراف لكنها قابلة للتحريك فلفظة (نشبت) قد تحضر في محلها مفردات مثل: (حنبت) أو (وقعت) أما الثابت فهو جواب الشرط (لا تصيح) الذي إذا جمعناه مع المنادى (يا فصيح) يكونان جملة قابلة لتصير مقولة مستقلة كاملة السيادة. وتحيل لفظة يا فصيح إلى مشهد متخيل لجدال اجتهد فيه (الفصيح) في إثبات سلامة فكرته لكنه لم يجد لكلماته آذانًا صاغية عند (الناصحين) الذين رموه بتهمة (الفصاحة) التي تشير إلى السخرية بحسب سياقها المتداول عند عامة الناس، ويشبه ذلك تلبيسهم لتهمة (التفلسف) الساخرة لمن اشتهر باللباقة في الكلام لهذا كثيرًا ما يقطع العامة أو أشباه المتعلمين حديثه بقولهم: "**خل الفلسفة حقك**" أي تكلم بوضوح، ودع عنك الكلام غير المفهوم.

ولو نُظر إلى دلالات ألفاظ المقولة من زوايا نظر متعددة ستفتح مسارات افتراضية لتصنيفها إلى ثنائيتين غير متسقتين، ومثيرتين للجدل بين فريقين هما: أصحاب (التحذير) الذين يشتغلون من داخل المقولة على فرضية الفشل الاستباقية فيرون أنفسهم في موقع الناصح الأمين الواضح في أطروحاته التي تحمّل (الفصيح) كل التبعات بعد (النشبة) بل يلمّحون بأنهم سيكونون غير مكترثين لحال (الفصيح) عندما ينادي مناديه. أما أصحاب (التشجيع) فيرون في المقولة مفسدة كبيرة تقتل روح المغامرة عند الأفراد، وتحبط الرغبة في الاكتشاف، وتحطّم شرف التجربة بوصفها من أفضل السبل للتعلم، والإبداع، وتحقيق الذات.

وأحيانًا لا يكتفي أصحاب (التحذير) بمقولتهم الرادعة خاصة بعد أن يصرّ (الفصيح) على موقفه فيعززون حجتهم بمقولات ذات مآلات مؤلمة، وربما مخيفة نحو: "**الحصاة من القاع والدم من كورك [رأسك]**" لتكون خاتمة الجدال وبهذا يكون أمام (الفصيح) خياران لا ثالث لهما إما أن يمضي نحو الأهداف التي رسمها لنفسه وحلم بها، واقتنع بسلامة دروبها نحو صناعة ذاته، وتطوير مجتمعه، أو يخضع للأفكار المثبطة التي تجعله يراوح حول نفسه لاسيما عندما يتخيل أنه مستنفر لوقف نزيف الدماء المنهمرة من رأسه كسيل قادم من علٍ، أو وهو يسمع صيحاته القادمة من بعيد بصدى قهقهة فريق التحذير الشامتة.



لوحة للفنان

أصيل حسين صالح الحامد

مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

مُنتدى عميد الوفاء الثقافي

Ameed Alwaffa Cultural Forum